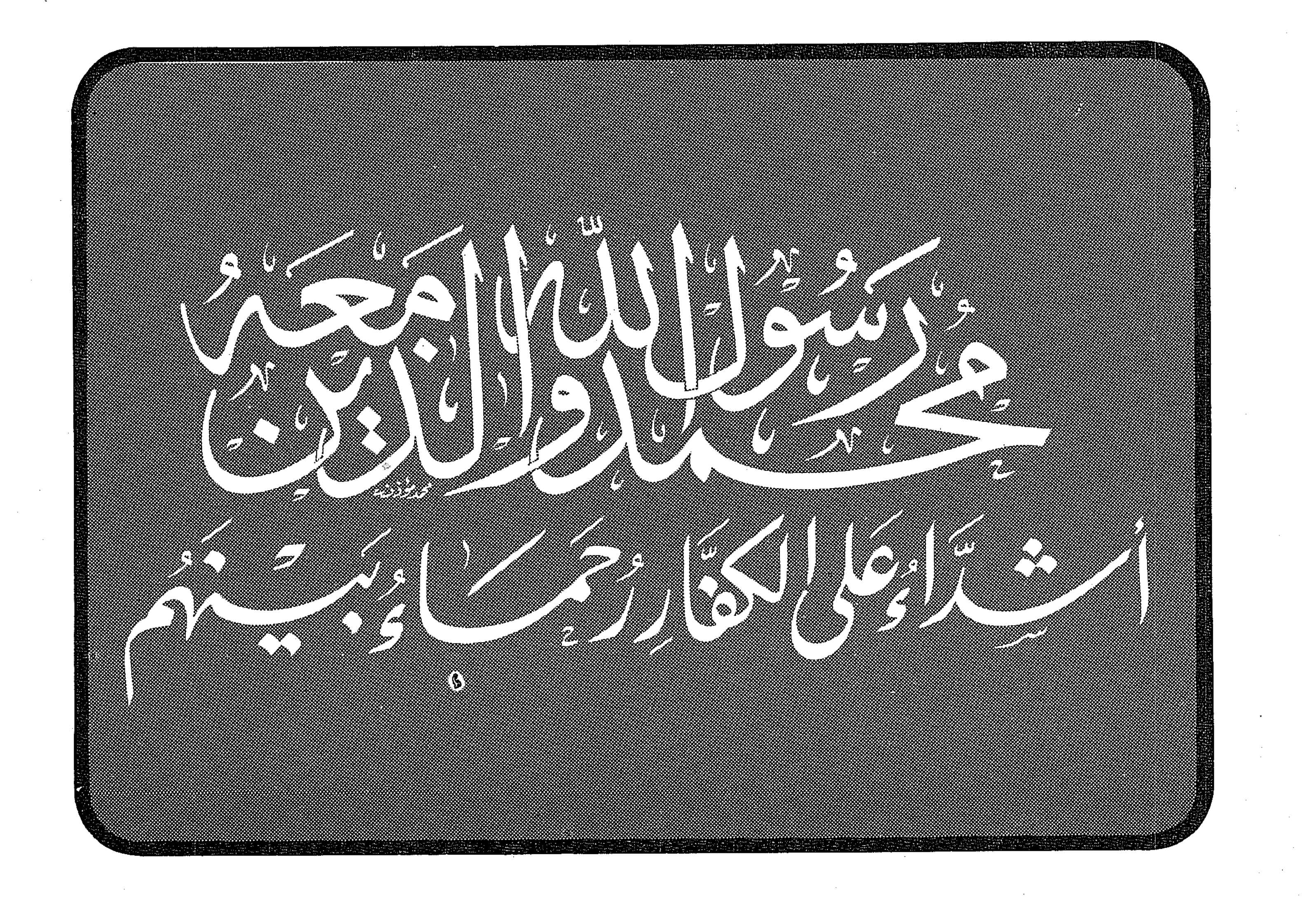


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٩ - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - ديسمبر/ يناير ١٩٨٣ م

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان



مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد/٢١٩ - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

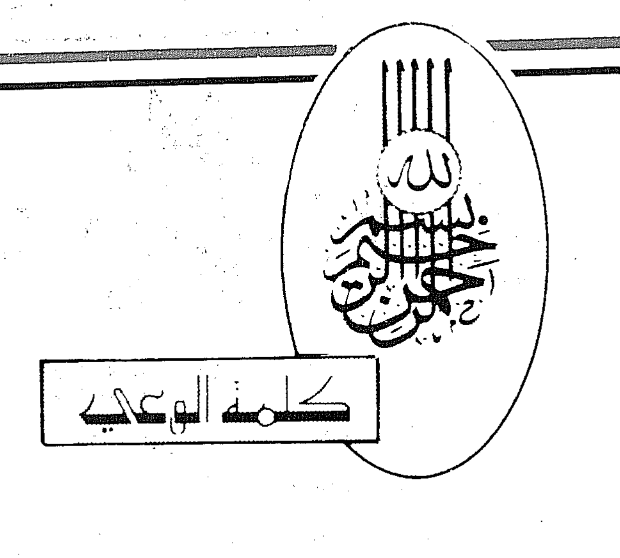
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



لن نيأس أبداً.. وسنكافح مقتدين برسول الله

الأمة الاسلامية عرضة في هذه الحياة لأحداث ومصائب تنزل بها ، سواءاً كان نزولها بما كسبت أيديها ام امتحانا يختبر الله به ايمانها ليميز الصادقين من الكاذبين .

ومن شأن الاحداث ان توقظ في نفوس المؤمنين التفكير العميق في طريقة معالجتها والتغلب عليها ، لان تعاليم الاسلام تدعوهم الى الاخذ

بالاسباب التي تصون عزتهم وكرامتهم ، وفي مقدمتها الاعتصام بحبل الله ، والوحدة على الحق ، والتضحية في سبيل المبادىء العليا والقيم الكبرى ، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون) وقال سبحانه : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

وقد كان الاسلاف الاوائل يستمسكون بحقوقهم الى حد انه اذا نال منهم عدو او حل بهم مكروه هجروا السكون والدعة ، وتركوا تقاليد الترف والسرف ، وابتعدوا عن اسباب اللهو والمرح ، ولا يقر لهم قرار الا اذا نالوا ثأرهم من عدوهم ، واستردوا ما فقدوه من ارض ومقدسات ، ولبسوا ثوب العزة ، ومزقوا ثياب المذلة والهوان ، فاذا تم لهم ما يبغون ـ نتيجة كفاحهم وجهادهم ـ حمدوا الله وشكروه لانه الموفق والمعين ، ينصر من ينصر دينه ، ويثبت على طريق الحق قدمه ، ويدحر المعتدين الظالمين (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل اعمالهم)) .
وحاضر الامة الاسلامية قد ملىء بالمحن الشداد من عدو خبيث تسنده كل قوى العدوان في الارض . اغتصب ارضها ومقدساتها منذ سنين ، ثم ارتكب ذلك العدوان الصارخ باحتلال لبنان ، واقامة ابشع المجازر ضد النساء والاطفال والشيوخ من اللبنانيين والفلسطينيين ..!! ولا يشك عاقل في ان تفرق الامة الناجم عن تركها لتعاليم الاسلام واتباعها لطرق الشياطين هو سبب تخاذلها في صد العدوان حتى اصابها ما اصابها من عار وشنار !!

واذا كان المنافقون قد اسعدتهم تلك المصائب وقرت عيونهم بحدوثها

فان المؤمنين قد جرحوا بها جرحا عميقا ، واحسوا بآلامها احساسا دقيقا ، ولا بد ان يعملوا على التخلص منها طال الزمن او قصر ، ولن يصرفهم عن العمل لخلاص الامة من هذا البلاء صارف ، وسيبذلون كل طاقاتهم لجمع أمتهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولن يسمحوا لمشاعر الدعة والهزل واللامبالاة التي يروجها المنافقون ان تخامر النفوس او تصرفها عن حياة الجهاد والكفاح ، ولهم في رسول الله أسوة حسنة .

لقد كان رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام صاحب طاقة كبيرة تستوعب الحياة في جميع حالاتها من عسر ويسر ، وانكسار وانتصار .

ولقد علم اصحابه ان الاستسلام للشهوات المادية ، والحرص على نمط معين من الملذات ، سقوط بالهمة ، وخور في العزيمة واسترخاء مع الشيطان ، قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات المعتلة « انما اخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » رواه احمد والطبراني والبزار في المعجم الكبير وقال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخاري وليس معنى هذا الهدى النبوي تحريم المباح ولا زجر الناس عن طيبات احلت لهم ، وانما معناه ابعاد المرء عن الشهوات المحرمة ليكون صاحب ارادة قوية تتجه الى اقرار الحق فيبذل المال والنفس في سبيل الله تحقيقا للعزة ، وحفاظا على الديار والمقدسات . وذلك قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

ان الولع الشديد باللهو واللعب والاستجابة للشهوات الآثمة والأهواء المضلة وعدم الاحساس بمرارة العدوان دلالة واضحة على موت القلوب وقبول الدنايا وحب الدنيا ، وكراهية الموت . وفي المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول الله تعالى : (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) ويقول سبحانه (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) .

لقد عاشت الامة فترة من الزمن وقد غيرت ما بنفسها فبعدت عن هداية الله وصرفت النظر عما يجب ان تراه وتفعله ، وحملقت عيونها فيما يجب ان تغض عنه وتسترخي بازائه ، فكانت المصائب والمحن (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .. واعداء الاسلام لا يطلبون من الامة الاسلامية ان تفعل بنفسها اكثر من ذلك .

والآن وبعد هذه النوائب تقف الامة على مفترق طرق ، ويتحتم عليها لتعود لها عزتها ويصان وجودها ، ان تعود الى اسلامها عودا صحيحا وان تحتكم في جميع امورها الى قانون ربها ، وتتوب الى خالقها ليكفر عنها سيئاتها ويمدها بنصره وتأييده (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) .

ايها العرب : لقد حملتم لواء الاسلام للعالم ، وكان سلفكم الصالح اساتذة العالم وهداته وانتم تعلمون ما أحدثتم . وان منقذكم الوحيد مما انتم فيه من تنازع وشقاق هو الاسلام ولا علاج لكم سواه فماذا تنتظرون بعد هذا البلاء الذي حاق بكم وبكل مسلم ؟

الا يستحق المسجد الاقصى وما حوله ولبنان وما اصابها وقفة تدبر واستعبار يتلاوم فيها المفرطون ، ثم يغضبون لله غضبة تمحو العار وتدرك الثار ؟

إن لنا أملا في تلك الوقفة لأنها الفيصل بيننا وبين اعدائنا ، وهي الفيصل بين الكرامة والمهانة في تاريخنا .. واذا صح العزم وضح السبيل (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . نسأل الله الهداية والتوفيق .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



يقول قرآن ربنا العظيم في نصه الحكيم :

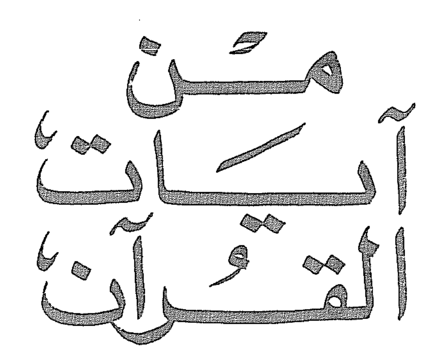
« وانهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » « ١٦٣ ـ ١٦٤ سورة البقرة »

ولما كانت آيات القرآن الكريم قد نزلت في مناسباتها حسبما يستلزم الامر ويقتضي الحال . ردا على سؤال .. او تقديرا لموقف .. او حسما لما عليه جدال او ثبتا لما يفرضه الاسلام .. او تبيانا لما هو حلال .. وما هو حرام . الا ان الله تبارك وتعالى شاء ان ترتب الايات بغير ترتيب نزولها .. فكما كان يوحى الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاية كان يوحي بمكانها .. محددا ما قبلها .. وما بعدها . وبذلك تم ترتيب الآيات الكريمة في السور الشريفة .. كما شاء الله جل شأنه وكما هو يتداول بين ايدينا .. وهو على غير ترتيب نزولها .. ولا شك ان من ضمن ما نتبينه من اهداف ذلك .. هو الربط والترابط بين آياته الشريفة كلها .. ونصوصه الكريمة جميعها .. وهو ما يتضح في الايتين الكريمتين موضع هذا البحث .

فالآية الاولى تقرر بديهية عقلية .. وحقيقة علمية .. ان الهنا .. اله واحد . وان لا اله الا هو .. وانه هو الرحمن الرحيم ..

وجاءت الآية الثانية وهي التالية لها في ترتيب تسجيل الآيات فاوردت بعض شواهد وجود الله ووحدانيته .. وصورا من بالغ قدرته وواسع رحمته . وحددتها في :

● خلق السماوات والارض



للاستاذ عبد الرزاق نوفل

- اختلاف الليل والنهار
- الفلك التي تجري في البحر
- انزال الماء من السماء
- تصريف الرياح
- السحاب المسخر بين السماء والارض

ولقد وصل العلم الى بعض الحقائق فيما اوردته الاية الشريفة . فقدم بها الى الانسان الادلة القاطعة على وجود الله ووحدانيته .. والامثلة الواضحة على رحمة الله بالناس وبالغ حكمته .. وهذه الادلة لا شك فيها . ولا خلاف عليها .. ولا جدال عنها لان ادلة العلم تعتمد على القياسات العملية والفحوص المعملية والمشاهدات التسجيلية والحقائق العلمية ولذلك فان الايمان عن طريق العقل ووسيلته العلم واجهزته السمع والبصر والوعي والادراك اثبت واقوى واعمق من الايمان عن طريق النقل .. الذي يتأثر بالناقل .. ويتغير بتغيره او تغير ما ينقله اليه ..

والسماوات يراها الانسان . كل انسان .. من اول العهد به وحتى نهاية البشر .. يراها في كل زمان .. ومن كل مكان .. ويتعجب اشد العجب .. انه لا يجد لها اولا تبدأ منه .. ولا اخرا تنتهي عنده .. ولا يقدر لها عمقا تصل اليه .. ولا شك ان المتأمل لذلك المتدبر له .. لا بد ان يسبح بحمد الله الخالق القادر .. يرى الانسان السماء في نجومها .. فتدهشه كثرتها انها كثرة بالغة . فقد اعتقد انها تبلغ الفا .. هكذا قال علماء علم الفلك في اول العهد بهذا العلم اذ تمكن بطليموس من عد حوالي الف نجم صنفها الى ست مجموعات طبقا لمعانها .. واطلق عليها الست مقادير .. ثم استحدث العلم اجهزة الرصد والتقريب فأتيح له ان يرصد مئات الالاف .. وكلما تقدم في استخدام وسائل ادق .. كلما زاد عدد النجوم التي يمكنه رصدها .. ووجد ان هناك غيرها اكثر مما وصل علمه اليها .. لذلك قال حجة علم الفلك السير جيمس جينز في كتابه (الكون الغامض) في النصف الاول من القرن الحالي .

« ربما كان مجموع عدد النجوم التي في الكون قريبا من مجموع عدد حبات الرمل التي تغطي شواطىء البحار في العالم كله » .

ثم استخدم الانسان علم الفلك الراديوي يبحث في السماء على اساس اشعاعات راديوية موجودة بها بدلا من رصد الضوء واخيرا دخلت علوم الفلك في مرحلة اخرى جديدة ومتطورة

وذلك بدراسة الاشعة السينية المنطلقة في الفضاء .. ويتفق العلماء على ان السماء اعمق واكبر واضخم مما يتسع له الخيال اي خيال وان عدد النجوم اضعاف اضعاف اي عدد يتصوره الانسان .. والاعجب من ذلك ان العدد يتزايد .. والسماء تتسع وتتمدد وانه بالتحليل الطيفي للنجوم المضيئة ثبت ان المجرات التي تحوي النجوم والكواكب غير تلك التي تحتوي ارضنا وما يتبعها وما تتبعه تبتعد عنا مندفعة في السماء البعيدة بسرعة ١٤ الف ميل في الثانية وانها كلما ازدادت بعدا عنا ازدادت سرعتها الى درجة اكبر لم يعرف قدرها وان السماء دائما في اتساع وتمدد .. وان النجوم ابدا تتكاثر .. وتولد .. وتنمو .. وهذه الحقائق العلمية قال بها قرآن ربنا الكريم سابقا العلم بعشرات المئات من السنين بمثل النص الشريف :

« **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** »

« ٤٧ سورة الذاريات »

وبالرغم من هذه السرعات الرهيبة وحركة كل نجم في مجموعته .. وبالرغم من هذا الحشد الهائل من عدد يكاد لا يكتب ولا يقرأ .. ويتكاثر ويتزايد فانه لا فرصة اطلاقا لأن يصطدم نجم بآخر .. ولا ان يقترب من مجاله بحال من الاحوال ..

هذه بعض قدرة الله .. في الخلق .. وهذه بعض حكمته في التقدير والتدبير .

ويرى الانسان السماء .. فيعتقد حسبما يتراءى له ان ما بين النجوم انما هو خلاء ولكن العلم قد اثبت ان النجوم ليست في فراغ ولكنها محاطة بالغازات والتراب والتي اسموها بالغاز البيني اي ما بين النجوم وقرر ان السماء من الامتلاء به بحيث لا تستطيع اي قوة مما نعهدها او نعرفها ان تشق هذا التكتل الذي يكون السماء او ان تحدث ادنى نقص في اتصاله غير المتناهي .. بل ان العالم استخدم لفظ البناء في التعبير عن حقيقة قيام السماء . وهو ما قاله قرآن ربنا العظيم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان بالنص الشريف :

« **الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء** »« ٢٢ سورة البقرة »

هذه السماوات بما فيها - والتي تلتف حولنا من كل ناحية من يمسكها هكذا فلا تقع على الارض .. قال العلم انها الجاذبيات .. ثم قال اخيرا .. بل لا جاذبيات .. اذ تتوالد النجوم وتندفع بسرعات رهيبة مما لا يجعل للجاذبيات اي تأثير على حفظها .. ويجيب القرآن الكريم على ذلك بالحقيقة القاطعة في النص الكريم :

« **ويمسك السماء ان تقع على الارض الا بأذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم** »

« ٦٥ سورة الحج »

اليست هذه شاهدات على وجود الله - ووحدانيته .. وقدرته .. ورحمته .

اما عن خلق الارض فان الاجهزة العلمية التي خرجت من الارض ودارت حولها ورصدت حركاتها .. وصورت شكلها .. وسجلت

امجادها .. قد قدمت لنا عدة ملايين من الصور المسجلة من مختلف الزوايا وشتى الاركان . ومن اجهزة عديدة من دول متفرقة .. وتلتقي كلها في حقيقة علمية واحدة . هي أن الارض ليست كرة كاملة الاستدارة ولكنها اشبه الاشياء الدحية اي البيضة وقد سبق قرآن ربنا العظيم الى ذكر هذه الحقيقة بالنص الكريم :

« **والارض بعد ذلك دحاها** »

« ٣٠ سورة النازعات »

الارض اذا هي اشبه ببيضة . معلقة في الفضاء .. وانها كما اظهر الرصد والتسجيل تلف حول نفسها .. وايضا تلف حول الشمس . وبالرغم من شكلها الكروي . وحركتها هذه وتلك .. فان ما عليها لا يقع ولا يتناثر . فالمياه تجري في الانهار .. والبحار تفيض بالماء .. ونبني ونرتفع بالبناء وكل ذلك على سطحها . اليس ذلك صنع اله .. وامره ..

ويقرر العلم ان الارض على المسافة المثلى من الشمس لقيام الحياة وانها لو قربت .. منها .. او بعدت عنها . قليلا لانتهت الحياة .. بل ان اخر ما توصل اليه العلم يقرر ان الارض محاطة احاطة تامة في سمائها الدنيا بنطاق من الاشعاع القوي للجسيمات النشطة واسموه بحزام فان آلن .. كما امكن اكتشاف ما يسمى بالمارد الذري الذي يرهب العلماء منذ ما يقارب من نصف قرن اذ انه في طبقات الجو ويلف الارض تماما وهو ذرات من البروتون السالب التي تستطيع ان تفني المادة من جميع اشكالها وفي كل حالاتها افناء تاما .. اليس هذا هو بعض حفظ السماء الذي يقول عنه القرآن الكريم :

« **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** »

« ٣٢ سورة الانبياء »

اليست هذه بعض اللمحات الخاطفة في خلق الارض .. وما تشير اليه من بالغ قدرة الله ورحمته بالانسان .. بل وبالكون كله .. والا تدل على وجوده .. وعلى وحدانيته .. سبحانه وتعالى ..

ويعيش الانسان حياته بين ليل ونهار .. ومن عدالة امر الله سبحانه وتعالى ان العالم ينقسم بالتساوي بين الليل والنهار .. بالنسبة لكل انسان . في اي بقعة كان . ففي منطقة الاستواء يتساوى الليل والنهار يوميا وعلى طول العام . ثم يزداد النهار طولا صيفا وبالتدريج كلما بعدنا عن هذه المنطقة .. حيث يتناقص بقدره شتاء ويطول الليل الى ان نصل الى منطقة القطب فنجد ان النهار يستمر ستة اشهر متصلة والليل يستمر كذلك ستة اشهر متتابعة ..

واختلاف الليل عن النهار امر واضح يحس به ويراه كل انسان .. ماديا . بالنسبة للضوء والظلام وحيويا بالنسبة للطاقة والقدرة .. وسيكولوجيا بالنسبة للاحساس .. والادراك .. وقد ثبت بالقياس اختلاف كل نهار عن سابقه .. وعن لاحقه .. وكذلك يختلف الليل .. اي ليل .. وكل ليل عن غيره .. بعوامل شتى .. كالحرارة والرطوبة ودرجة الظلام ..

او شدة الضوء .. ودرجة الريح .. وسرعته واثـر النجوم والقمـر .. والاشعاعات التي تنهمر على الارض .. ويختلف من يوم الى اخر .. ومن ليلة عن غيرها .. وكل هذه الاختلافات بين الليل والنهـار .. وبين الليـالي وبعضها . والنهار وغيره .. انما هي من صور رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده . فقد اثبتت الدراسات العلمية التي اجراها فـريق من الباحثـين البريطانيين بقيادة طبية بمستشفى سـانت تومـاس بلندن اخيـرا ان الشمس والقمر يؤثران على مزاج الشخص . وان الوقت كذلك نهارا وليلا . وفي اي شهر والطقس وحركة النجـوم والكواكب كلهـا تؤثـر في الانســان . تأثيـرا ماديـا ونفسيا مباشرا وقويا فهذا الاختلاف في الليل والنهار وما يهدف اليه .. وما نعلم عنه الا القليل .. وهذا القليل انما يشير الى سعة رحمة الله بعباده وانه حقـا وصدقا .. الرحمن الرحيم ..

والانسان ليعيش حياته لا بد له من ان يتعامل مع الناس . وهذا التعامل انما يشمل . من هم بالقرب منه . والبعد عنه .. فهو يأكل ما زرعـه غيره .. ويلبس ما يعده له سواه .. ويشـارك في التجارة او الصنـاعة غيره .. ثم انه لا بد ان يتعامل مع البعيد عنه في مختلف البقاع وشتى الامصار .. فالله سبحانه وتعالى قد وزع ارزاق النـاس في كل انحـاء العالم .. فتشابكت بذلك مصالحهم .. ووجدنا حاجة كل فرد الى غيره ماسة وضرورية .. وكذلك الـدول .. في مختلف القارات .. ويجد الانسان ان البحر يفصل تماما بين القارات ويباعد بين البلاد . وانه لا بد ان يركبه ويعبر بـه من حيث هو الى حيث يحقق حاجاته . هكذا سخر الله للانسان ما يجعل الفلك تجري في البحر بما يحقق نفعه .. بداية من طلب العلم .. حيث تتفاوت درجاته في مختلف البلاد .. حتى تحقق التجارة وتوزيع منتجات الصناعة .. ونجدة دول قد يعتدي عليها .. والفلك تجري في البحر بداية من سفن الشـراع التي يـدفعهـا الهواء .. حتى هذه القلاع الضخمة والعابرات الضخمة تسير بما وفق الله به الانسان من استخدام للبخار او الذرة او الطاقة النووية وما قد يوفق الله اليه الانسان .. اذا شاء فيما بعد .. هذا الماء .. يحمل هذه الاوزان الكبيرة من الحديـد كسفينة ومـا تحمل .. وتسير كما تشاء .. الى حيث تشاء .. ولكن المشيئة هي لله وحده .. فهو الذي شاء فكانت الفلك وكانت رحلتها في البحر .. فسبحانه لا اله الا هو الرحمن الرحيم .. فهذا اثر من رحمته واشارة لقدرته ..

ومن ماء البحر وحرارة الشمس عليه .. يتكون البخار الذي يتصاعد اعلى الى السماء .. ثم يعود ليهطل على الارض ماء عذبا .. فاذا بالارض به .. وبلا غيره .. تتحرك بالحياة .. بعد موتها .. فتنبت الزرع .. وهو الغذاء الوحيد لكائنات حية تعيش عليه .. وايضا الغذاء لغيرها .. التي تعيش عليه وعلى هذه الكائنات ، وعلى رأسها واعلاها الانسان .. الذي احيا

الله الارض بالماء الذي انزله من السماء .. فدبت كائنات حية لتحقق الحياة الطيبة الكريمة للانسان .. رحمة من الله به .. وفضلا منه .

اما نزول الماء على الارض فانما تحدد مكانه واتجاهه الرياح .. قوتها .. سرعتها .. وجهتها .. وعوامل اخرى عديدة .. كلها تشارك في تنفيذ امر الله الذي قدر سابقا كمية ما ينزل من الماء . واين ينزل .. والا لنزل المطر الى حيث صعد وتبخر .. اي ينزل الى البحر فلا يستفاد به .. ولكن رحمة الله بالانسان .. سبقت .. فقدرت للريح اتجاهها وسرعتها لتحمل الماء الى حيث يجب كما اراد الله . جل شأنه .. والرياح التي تدفع الفلك على البحر .. وتدفع السحاب في السماء الى حيث يجب ان ينزل .. هي ايضا من ضمن وسائل تلقيح النباتات .. فهناك من النباتات ما لا تتلاقح الا بالرياح . حيث تحمل حبوب اللقاح في اعضاء تذكير النباتات .. الى اجهزة النباتات الخاصة بالتلقيح .. وهذه الحقيقة العلمية التي وصل اليها العلم بعد دراسات مطولة وابحاث مستفيضة .. ومتابعات معملية وبعد استخدام وسائل البحث المتطورة من اجهزة تكبير وتسجيل وتصوير قال بها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان في النص الشريف :

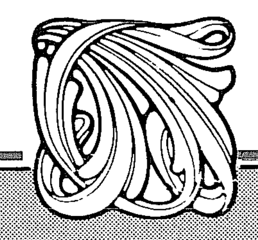
« **وارسلنا الرياح لواقح** » « ٢٢ سورة الحجر »

والسحاب لا يتكون الا اذا تبخر الماء من على المسطحات المائية على الارض .. فهو بذلك انما يكون دائما بين السماء والارض .. فاذا سقط على الارض .. لم يعد بسحاب .. ولذلك فالسحاب مسخر بين السماء والارض فهذا مكانه .. كما انه كل سحاب ممطر لا يفترض ان ينزل مطره على الارض . فهناك حالات .. وكثيرة يهطل السحاب بالمطر من السماء فاذا اقترب من جو الارض .. وصادف درجات حرارة كبيرة .. عاد المطر ليتبخر بفعل الحرارة الى السماء مرة اخرى .. ولا ينزل بذلك المطر على الارض .. فهو بذلك ولذلك مسخر بين السماء والارض .. يصعد الى السماء .. وقد ينزل على الارض .. او يهبط في السماء ويعود اليها ثانية .. وكل هذا انما هو تدبير العزيز الحكيم .. وتقدير الله الواحد العليم حتى تتحقق رحمته بالانسان . فهو الرحمن الرحيم .

هذه هي بعض البديهيات العقلية التي تقوم على الشواهد البصرية والحقائق العلمية والتي يصل بها الانسان اذا ما شاهد وتأمل وتفكر .. واذا ما بحث وتدبر الى الحقيقة الاولى في هذا الوجود وهي ان الله الهنا اله واحد لا اله الا هو .. وانه هو الرحمن الرحيم .. ولذلك بعد ان اوردتها الاية الشريفة قالت عنها انها ايات لمن يستخدمون عقولهم .. فستؤمن قلوبهم .. انها فعلا وحقا وصدقا آيات لقوم يعقلون ..

« **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** »

« ٢٤٢ سورة البقرة »



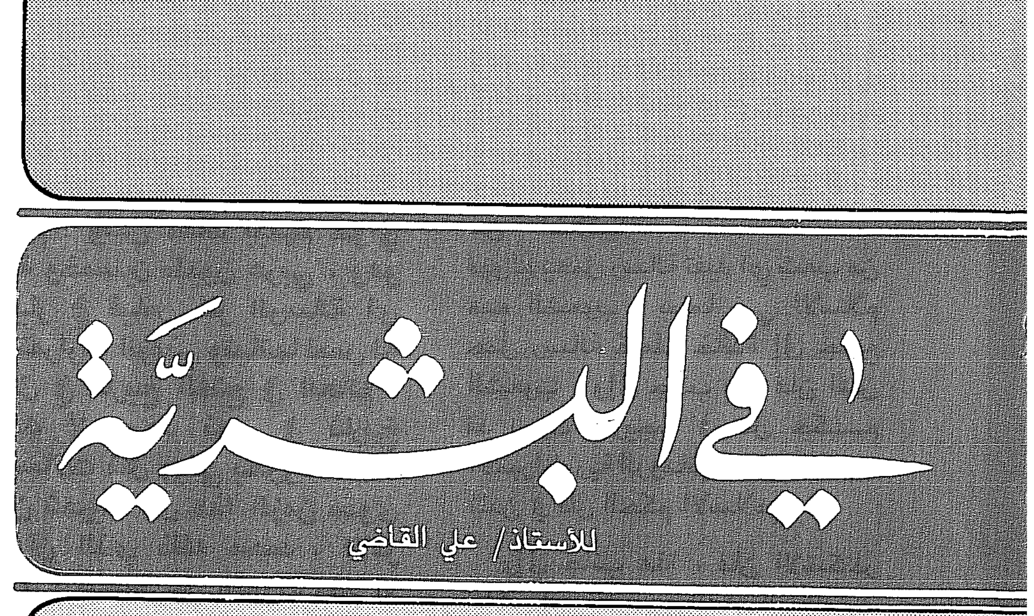
عندما ينصف الغربيون رسول الإسلام

رسول الله وأثره

تمهيد :

لم يكن محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام أول رسول ، كما أنه لم يكن أول مصلح ، ولكنه كان أعمق هؤلاء جميعا في التأثير في حياة البشر ، سواء أكـان ذلك في حياته أم بعد مماته ، فهو صلوات الله وسلامه عليه صاحب رسالة شاملة ، كاملة ، متوازنة ، تصل المسلم بالله تعالى ، وتجعله يحس بكرامته عليه ، وبأن له رسالة في هذه الحياة ، وتجعله يقظ الضمير عالي الهمة كريما على نفسه وعلى مجتمعه ، يؤدي حق الله ، وحق نفسه ، وحق مجتمعه ، كما يؤدي حق جسمه وحق روحه ، والقدوة الكاملة الحية في نفس كل مسلم هو رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا ، فقد استطاع أن يربي ، وأن يؤثر ، وأن ينشر في ربوع العالم الأمن والسلام والاطمئنان ، التي لم تستطع آية فلسفة في قديم البشرية وحديثها أن تحققها ، ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور « مايكل هارث » صاحب كتاب **المـائة الأوائل** يختار **محمدا** عليه الصلاة والسلام أول واحد منهم ، وقد برر هذا الاختيار بقوله : (**إن اختيار محمد ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعظم نجاح على المستويين الديني والدنيوي ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ،**



كالمسيح في المسيحية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبق إليها سواهم كموسى في اليهودية ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكـــامها ، وامنت بها شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه اقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل أسس حياتها ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها ، ثم يقول مبرزا سببا آخر من أسباب اختياره نبي الاسلام ليكـــون الأول : (إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متمدنة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكـــون الغزو عسكـــريا ، ولكنه في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التى فتحها خلفاؤه استعربت

تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق وسوريا إلى آخر الشاطيء الافريقي غربا ، إلى السودان جنوبا ، وأصبحت أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا إلى الآن ، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار في قياس أثر الرسالة أي استمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم ، كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقي بحروفه كاملا دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد ، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل .

هكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فانني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الأنساني) .

مقارنة :

بحث الغربيون في تاريخ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفي رسالته ، وحاولوا أن يقارنوه بالغزاة والفاتحين فلم يجدوا له شبيها ، لا في العصور القديمة ، ولا في العصور الحديثة ، وما أشد غرامهم بالمقارنات ، وما أشد اهتمامهم بالبحث في أوجه القصور بالنسبة لنبي الاسلام .

ومن هذه المقارنات التي قاموا بها مقارنتهم النبي الكريم بالاسكندر الأكبر في فتوحاته وسعتها وسرعتها ، فوجدوا أن فتوحات الاسكندر كانت عسكرية فقط ، فهي لم تغير شيئا من حياة الشعوب ، ولا من عاداتها ، ولا من أخلاقها ،
فهو لم يحمل رسالة تفيد أي شعب من هذه الشعوب ، بينما نبي الاسلام حمل رسالة كاملة خالدة إلى جميع الشعوب ، وإلى جانب هذا فان المدن قد دمرت تدريجيا في ظل حكم الامبراطورية الرومانية ، بينما عمرت المدن في ظل الحكم الأسلامي

وإلي جانب هذا ، فان الاسكندر الأكبر لم ينقل معه الفكر اليوناني ، وإنما تبنى بدون قيد ولا شرط الأفكار التي كانت سائدة في البلاد المغلوبة في ذلك الوقت ، واعتنق عقائدها ، وأخيرا فان المستعمرين الأغريق خضعوا لفاتحين أخرين ..

ولكن الاسلام غير كل شيء سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، في البلاد التي فتحها ، وقد تغلغل في الأعماق بالنسبة لهذه الشعوب جميعا ، فكان التغيير شاملا في اللغة ، والعادات ، والأفكار ، والأخلاق ، والتشريع ، وتغير تصور هذه الشعوب عن العالم وعن الله تعالى ، وعن المفاهيم التي أصبحت سائدة ، وذلك التغير كان سريعا ، وأحست هذه الشعوب إحساسات جديدة نحو نفسها ، ونحو الأنسانية ، والأفكار الأسلامية

كانت دائما تنتشر وتكسب الأتباع كلما أتيحت لها الفرصة لكي تظهر في بساطته ونقائه الفطريين ، ومعنى ذلك أن الأسلام له قوة ذاتية وتوافق فريد مع الطبيعة البشرية وحقائق الكون . .

المفكرون الغربيون :

والمفكرون الغربيون درسوا سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وتكلم كل منهم عن الجانب الذي أثاره « فبرونر » في مقدمة كتابه « القرآن » تأليف « دي ساير » — لاحظ أن البناء الأخلاقي والديني لا يزال منصوبا على قوائمه ، وثابتا في صلابته ، حتى قيل : إنه لم يحدث منذ بداية الهجرة أن مسلما قد تحول عن الأسلام إلى دين آخر .

لقد انتشر الأسلام بين شعوب مختلفة في الجنس ، واللغة ، والدين ، والمناخ من الصين إلى مراكش ، فصاغ هذه الشعوب جميعا في بوتقة الاسلام ، وأصبح لها بناء اجتماعي واقتصادي وثقافي وتاريخي واحد ، ومع ما تعرض له هذا البناء على مدى التاريخ من عناصر التدمير الداخلية والخارجية إلا أنه لا يزال فيه من الحيوية ما يمكنه من أن يؤدي رسالته في العالم المعاصر ، وكانت سرعة الفتح ملفتة لنظر الجميع ، والآثار الأسلامية والعقائدية والاجتماعية والثقافية واللغوية قد تركت بصماتها في كل مجتمع من المجتمعات التي عاشت فيها ، بل وأكثر من ذلك فقد لاحظ المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » ملاحظة دقيقة ، قال :إن الفرس من القرن الرابع الهجري كانوا أشد غيرة على اللغة العربية من العرب أنفسهم ، فهم ليسوا حريصين على الأسلام فقط ، بل وعلى اللغة التي نزل بها القرآن ، وبلغ حرصهم درجة عظيمة حتى صاروا أكثر حرصا من العرب أنفسهم أصحاب اللغة .

وما أكثر الشعوب التي رفضت أن تذوب في الفاتحين ، ولكن حين دخلها الاسلام ، كانوا خير المنفذين لتعاليمه .

وهناك ملاحظة أخرى لاحظها بعض المنصفين من الغربيين ، تلك هي أن كل عاصمة من عواصم الدنيا تعيش لنفسها ولا تأبه بالآخرين ، ومن هنا فقد شقيت أمم كثيرة من أجل الأمة المتسلطة ، وما أكثر ما حطمت لندن وباريس من عواصم لتنعم هي ، والسبب يظهر في الحياة المادية التي تحياها هي .

ولكن عاصمة الأسلام أو عواصم الاسلام لا تقوم بهذا العمل لأن لها رسالة تؤديها لجميع البلاد ، وجميع الأمم ، وجميع الناس ، وهي أن يعبد الانسان ربه الذي كرمه وخلقه في أحسن تقويم .

ولقد كانت العاصمة الثقافية الأسلامية متنقلة ، ويعتبر ذلك مظهرا من مظاهر شباب الحضارة الاسلامية ، ولذلك فهي أطول الحضارات عمرا ... فالحضارة الاسلامية — على غرار الانسان — لها قلب يتصل به ، وهي الأماكن المقدسة .

و« دير مانجايم » يعجبه في الاسلام إبعاد أفراد المجتمع عن فوضى المعاشرة الجنسية ، وما استطاع أن ينشره الرسول الكريم من الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع ، فيقول : (إن دعوة محمد قد أوجدت في الجزيرة العربية تقدما غير قابل للاعتراض ، سواء أكان ذلك في نطاق الأسرة أم الجماعة ، فان قيمة المرأة في المجتمع برسالة محمد قد علت ، وحظها من الحياة قد تحسن ، ويرى أن الفحش والمعاشرة الحرة بين المرأة والرجل قد حظرها دين محمد ، وقد حرم أيضا إكراه الأماء على اتخاذ الفحش وسيلة لأثراء مواليهن ، كما كان متبعا من قبل ، ثم يقول : إن أفضل البراهين على عظمة رسالته ، هي تلك العقول المطمئنة ، والقلوب العامرة بالسكينة ، والأرادة القوية التي عالجت الأنسان من الأمراض الأخلاقية) .

و « ول ديورانت » ـ صاحب قصة الحضارة ـ كتب مجلدا كاملا عن الحضارة الاسلامية ، وقد نظر إلى أثر النبي الكريم في المجتمعات التي آمنت به ، وفي تواضعه الذي لم تعرف له البشرية مثيلا ، فيقول :« إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس ، لقلنا : إن محمدا كان أعظم عظماء التاريخ ، فقد رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء ، وقد نجح محمد برسالته في ذلك نجاحا عظيما لم يدانه أحد على مدى التاريخ ، لقد كبح محمد جماح التعصب ، وقضى على الخرافات ، وأقام فوق الديانات القديمة لبلاده دينا ساميا سهلا واضحا بنى به صرحا خلقيا عاليا ، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظمى ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم ، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان ، بل كان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم والتبجيل ، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام ، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله ، لم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال ، رغم ما كان يرد إليه من الفيء الكثير ، أما ما كان ينفقه على نفسه فكان أقل القليل ، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكثر من هذا المال .

و « توماس كارليل » يعجبه في محمد عليه الصلاة والسلام الصدق والتواضع ، كما يعجبه في الاسلام المساواة وفرض الزكاة ، وغير ذلك من الأشياء التي ساعدت على انتشار الاسلام ، فيقول في كتابه « الابطال » عن محمد البطل الرسول : (إني أحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي ، ولا يدعي ما ليس فيه ، لم يكن متكبرا ، ولكنه كان يخاطب بقوله الحر الصادق قياصرة الروم وأكاسرة العجم).

ثم يقول : وفي الاسلام خطة أراها

أشرف الخلال وأجلها ، وهي المساواة بين الناس ، والناس في الاسلام سواء والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا محتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الدين ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الفرد فتكون جزءا من أربعين من الثروة ، فتعطى إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وما هي إلا صوت الانسانية السمحة الصافية المتراحمة المتعاطفة ، صوت الرحمة والأخاء والمساواة ، ثم يقول : لقد أخرج الله العرب بالأسلام من الظلمات إلى النور ، وأحيا بالأسلام من العرب أمة خاملة ، وأرضا هامدة ، وهل كانت إلا فئة من الأعراب خاملة متعثرة ، تجوب الفلاة لا يسمع لها صوت ، ولا يحس لها حركـــة ، فأرسل الله لها نبيا هو محمد ، فاذا الخمول وقد استحال إلى نشاط ، والضعة تتحول إلى قوة والشرارة إلى حريق ، وما هي إلا قرن من الزمان يمر على هذا الحادث الفذ ، حتى أصبح لدولة العرب موقع القدم الراسخ في العالم ، من الهند إلى الأندلس ، فأشرقت دولة الأسلام حقبا عديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ، وسيطر الحق والهدى على نصف المعمورة ، وكـذلك الأيمان المنظم العظيم فهو مبعث الحياة ومنبع القوة).

فيلم الرسالة :

وفيلم الرسالة يحكي رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومع أن علماء المسلمين لم يوافقوا على عرضه لوجود بعض الأخطاء فيه ، إلا أنهم في الغرب استقبلوه استقبالا هائلا ، وقد عرض ما يقرب من عامين متواليين في معظم دور الخيالة الأوربية ، وأن الانسان ليأخذه العجب حين يرى صفوف الأوربيين متراصة للحصول على تذاكر لمشاهدة الفيلم ، ويخرجون بعد مشاهدته ليبدوا إعجابهم الرائع بهذه اللقطات من التاريخ الاسلامـي ، والتي تضع أيديهم كما يقولون على مفاهيم عظيمة لم يتمكنوا من معرفتها ، اللهم إلا من كان منهم متخصصا في هذه الدراسات ، ويرجعون ضيق ذات يدهم في هذا المجال إلى أن الدراسات عن الأسلام ونبيه العظيم ورجالاته الخالدين لا تزال حبيسة اللغة العربية ، ويقول الغربيون : إن هذا عيب في الكاتبين باللغات الأجنبية المقروءة من المسلمين ، وقصور دور النشر العربية عن الاسهام في ترجمة هذه الثقافة الخالصة إلى العالم باللغات التي يفهمها ويقرؤها .

عن الاجراءات الحربية :

وقد لاحظ بعض المفكرين الغربيين أن النبي صلوات الله وسلامه عليه — لا يميل إلى العنف ، ولا يحب المعارك ، ولا يتخذ الاجراءات الحربية العنيفة ، لأن كل هذه الأشياء ليست من طبعه ، ولكنه كان يحب للناس أن يدخلوا في دين الله وأن يهتدوا بهداه ، ولذلك فقد كان القرآن الكريم يلوم النبي صلوات الله وسلامه

عليه – في ذلك ، كان يلومه على حرصه الشديد في إسلام الناس ، مع أنهم لا يريدون أن يتبعوا طريق الهدى **(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)** الكهف/٦ ، كما لامه على أنه رضى بالفدية ، ذلك لأن الامام يتصرف في الأسير طبقا للمصلحة العامة ، وفي بداية الاسلام فان المفروض ألا يبقوا على الأسرى حتى لا يعودوا فيكونوا حربا عليهم ، لذلك كان من المفروض أن يكثر القتل في الكفار ، ففي ذلك إعزاز لشوكة المسلمين ، وإضعاف للمشركين **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)** الأنفال/٦٧ ، ٦٨ .

وقد لقى النبي صلوات الله وسلامه عليه من أهل مكة ما لقى ، ومع ذلك فانه عندما فتح مكة وانتصر عليهم النصر الحاسم ، وعلت كلمة الله في جنباتها ، نهض رسول الله إلى البيت العتيق ، وأخذ يكسر الأصنام ، وهو يقول :**(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)** الاسراء/٨١ حتى إذا طهر المسجد من الأوثان ، وأقبل على قريش وهم صفوف ، يرقبون قضاءه فيهم ، أمسك بعضادتي باب الكعبة وهم تحته ، وقال: لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا له ، وهم الذين يعرفون خلقه عن طول صحبة : خيرا أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فاني أقول لكم ما قاله يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

بل أكثر من هذا ، فقد كان رسول الله بالمسجد الحرام يجهز على الوثنية ، واقترب منه فضالة بن عمير ، يريد أن يجد فرصة ليقتله فنظر إليه النبي نظرة عرف فيها طويته ، ولكنه لم يجد في نفسه على الرجل ، بل استدعاه وسأله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ فقال فضالة : لا شيء ، كنت أذكر الله ، فتبسم النبي ، ثم قال : استغفر الله ، وتلطف معه ، ووضع يده على صدره ، فانصرف الرجل وهو يقول : ما رفع يده عن صدري حتى ما من شيء أحب إلي منه ، ولو أن قائدا في عصرنا الحديث حصل له هذا لأباد العشرات ، بل والمئات ، ولكنه محمد رسول الله .

ومواقف المنافقين واليهود مع رسول الله مشهودة ومعروفة ، فقد كانوا يتآمرون على الفتك به بل وحاولوا ذلك مرات عديدة ، ومع ذلك فانه لم يجد عليهم في نفسه ، بل إنه كان يستغفر للمنافقين راجيا لهم الرحمة من الله تعالى ، فنزلت الآية الكريمة **(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين)** التوبة/٨٠ ، ومع ذلك فان النبي الكريم قال : أزيد على السبعين ، فنزلت الآية الكريمة

(سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) المنافقون/٦ ـ وهذا هو الذي جعل « دير مانجايم » يعجب بانسانية محمد الرائعة ، في معاملة أعدائه في الحرب ، وفي عدم التعرض لغير المحاربين ، وفي عدم تجريد السلاح إلا عند الضرورة القصوى ، فيقول : (إن محمدا قد أبدى في حياته اعتدالا يلفت النظر ، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية قل أن نجد لها في التاريخ مثيلا ، فهو يأمر جنوده بألا يتعرضوا للضعفاء والمسنين ، والأطفال والنساء ، وحظر عليهم هدم البيوت وسلب الناس ، وامرهم ألا يجردوا سيوفهم إلا عند الضرورة القصوى).

تأثير الأسلام في الأديان الأخرى :

يقول الأستاذ « أحمد أمين » : ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الاسلام ، من ذلك أنه في القرن الثامن الميلادي ظهر في « سيتمانيا » بفرنسا حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القس ، وأنه ليس للقس حق في ذلك ، وأن يضرع الانسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم ، والاسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار ، فطبيعي ألا يكون فيه اعتراف .

ويقول صاحب كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟» (وكذلك كانت هناك حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل ، فقد أصدر الامبراطور الروماني « ليو الثالث » أمرا سنة ٧٢٦ م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل ، وصرح آخر سنة ٧٣٠ م بأن الاتيان بهذا وثنية ، وكذلك كان قسطنطين الخامس وليو الرابع ، على حين كان البابا جريجوري الثاني والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية من مؤيدي عبادة الصور ، ويقولون : إن كلوديس أسقف نورين الذي عين سنة ٨٢٨ م والذي كان يحرق الصور والصلبان ، وينهي عن عبادتها في أسقفيته ، ولد وربى في الأندلس الاسلامية وكذلك وجدت طائفة من النصارى شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية ، وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام .

وكذلك كان تأثير الأسلام في أخلاق الأمم ، وفي تشريعاتها ، في أراضي أوربا النصرانية ، وفي الهند الوثنية بعد الفتح الأسلامي ، نراه في الاتجاه إلى التوحيد ، ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها ، والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر ،إن قادة الدين في هذا العصر قد دعوا إلى عبادة الله ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات التي ظهرت في الهند .

يقول الباحث الهندي المشهور« بانكر » سفير الهند في مصر سابقا ، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الأسلامية في عقلية الشعب الهندي ودياناته : (إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الاسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند ، وأنه قد فضح الفساد

الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندي ، وأنه قد أظهر انقسام الطبقات وحب الاعتزال من العالم الذي كانت تعيش فيه الهند ، إن نظرية الأخوة الاسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ، ويعيشون فيها ، أثرت في أذهان الهندوس تأثيرا عميقا ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية).

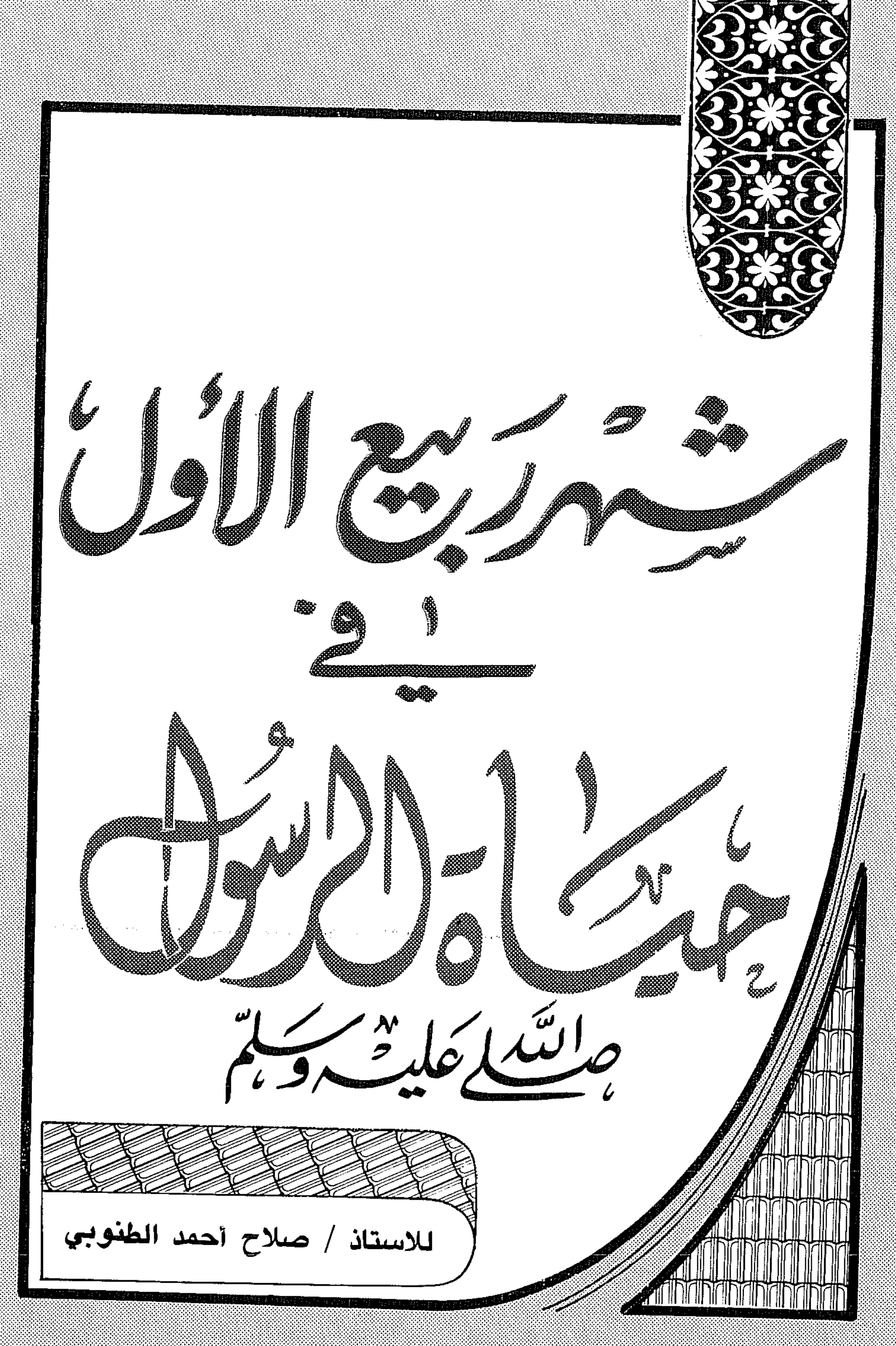
ويقول الكاتب الهندي « ميهاتا » في كتابه الحضارة الهندية والاسلام : (إن الاسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور ، انجلت به الظلمات التي كانت تغشي الحياة الأنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدني ، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية ، لقد كانت فتوح الاسلام في عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة ، شأنه شأن الاقطار الأخرى ، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الاسلام في هذا القطر الهندي مرتبطا بالحكومات فبقيت حقيقة الاسلام في حجاب ، وبقيت هباته وأياديه مختفية عن الأنظار .

ويقول « بريفوليت » في كتابه « صناع البشرية » : (ما من ناحية من نواحي تقدم أوربا إلا وللحضارة الأسلامية فيها فضل كبير ، وآثار حاسمة لها تأثير كبير) ويقول في موضع آخر : (لم تكن العلوم الطبيعية التي يرجع فيها الفضل إلى العرب ، هي التي أعادت أوربا إلى الحياة ، ولكن الحضارة الأسلامية قد أثرت في حياة أوربا تأثيرات كبيرة ومتنوعة ، منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا).

خاتمة :

الانسان حين ينظر إلى المجتمعات المعاصرة، ويجد الصراعات المختلفة التي تدور فيها ، والجهود التي تبذل ، والأموال التي تنفق ، والأرواح التي تزهق ، يعجب أشد العجب ، لأن ذلك لن يعود بالخير على أحد ، وليس له هدف إلا الكسب المادي ، وما أشقى البشرية حين يتولى أمرها من لا يهتم بالمحافظة على أمنها ، ولا على صحتها الجسمية والنفسية ، ولقد لفت نظر « برنارد شو » أسلوب حل المشكلات الذي يتميز به رسول الاسلام ، فلم يملك نفسه أن قال وهو غير المسلم :**(لو أن محمدا رسول الاسلام وجد وسط هذا العالم المليء بالمشكلات والصراعات لاستطاع أن يحل مشكلات العالم ، وهو جالس يحتسي فنجانا من القهوة).**

ترى ـ هل جاء الوقت ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري أن ينظر الغربيون إلى الأسلام نظرة منصفة ، فيعملوا على دراسته ، ويسيروا على نهجه ، حتى يخلصوا هذا العالم الحائر من حيرته ، ويعيشوا في أمن وسلام واطمئنان ، مؤدين رسالتهم المثالية في هذه الحياة .



يقبل شهر ربيع الأول من كل عام ، فترى ملايين المسلمين يبتهجون بمقدم هذا الشهر أجمل ابتهاج ، ويفرحون لاقباله كل الفرح حيث يتم التعظيم

والتبجيل لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » ... فالدنيا كلها في شهر ربيع الأول تحتفل بذكراه ، وتعيش ذلك الشهر الكريم الذي اختاره الله تبارك وتعالى ؛ ليكون شهر مولده .. وليكون شهر هجرته .. وليكون الشهر الذي يستطيع فيه ان ينتزع أرض حصون بني النضير اقوى قبائل اليهود .. وليكون شهر الانتصارات في الغزوات والسرايا .. وليكون الشهر الذي يلحق فيه بالرفيق الاعلى .. بعد ثلاث وستين عاما عاشها صاحبها العظيم في جلال يبهر العقول .

١ ـ شهر ربيع الأول ومولد السراج الوهاج محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم »

ولد النبي العظيم « محمد » صلى الله عليه وسلم » في فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل ، فكان يوم مولده نقطة التحول في تاريخ البشرية من شر ما كانوا فيه من شقاء وضلال إلى خير أوصلهم للهداية والاسعاد ... ، ولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » والعالم تتقاذفه الأمواج ؛وينخر في عظامه سوس الفساد ، أضله دجالو الاديان ، واستعبده جبابرة الحكام وأرهقه جوز القوانين ، واستهوته في الأرض الشياطين ، وطغى فيه حب الشهوات . إن الرسول العظيم محمداً « صلى الله عليه وسلم » منقذ البشرية ، وهادي العقول ، ومطهر الأرواح ، ومزكي النفوس .

كان عام الفيل عام خيرين عظيمين لمكة ، بل للعرب ، بل للانسانية المؤمنة في مستقبل تاريخها : صيانة الكعبة من الفيل وأصحابه أو من جنون الشر ، ومولد الخير في شخص الوليد اليتيم محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » ، وقد حكى الله قصة عدوان أبرهة في سورة الفيل ، وقد عاشت القصة مع القرآن الكريم تحدث الأجيال عن كيد اصحاب الفيل وما صنع الله تعالى بهم ، لتكون بها العبرة الواعظة لكل من يغريه حمقه بالعدوان على حرم الله الذي جعله مثابة للناس وأمنا ..

٢ ـ شهر ربيع الأول وهجرة الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

قضى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بمكة ثلاث عشرة سنة بعد بعثته الشريفة يدعو إلى الله جل ثناؤه ، ويجمع حول الدعوة الطلائع المؤمنة القوية ، ويربيهم على الايمان بالله تعالى ، وعلى الصبر والصمود في مواجهة الشدائد ، ولقد ابتلوا بأقسى ألوان الابتلاء ، وعذبوا العذاب الشديد من أعداء الحق وأعداء الحياة ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .. ولقد أذن الله تبارك وتعالى لرسوله « صلى الله عليه وسلم » ان يختار للدعوة موقعا جديداً من مواقع العمل .. وأن يترك هذا الموقع إلى حين ، وأن يتجه إلى حيث يقيم مجتمع

الايمان ، فخرج الرسول العظيم محمد « صلى الله عليه وسلم » من مكة أول يوم من ربيع الأول وقدم الرسول « صلى الله عليه وسلم » المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول وذلك يوم الاثنين لثلاث وخمسين من مولده (٢٨يونية سنة ٦٢٢ م).

٣ ـ شهر ربيع الأول وهزيمة يهود بني النضير :

النضير : اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، وكانوا هم وقريظة نازلين بظاهر المدينة في حدائق وآطام « حصون » لهم .

دبر يهود بني النضير مؤامرة لاغتيال الرسول « صلى الله عليه وسلم » وعلم الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » بنبئها ، فعزم على تأديبهم وذلك بأن يجلوا عن المدينة ، وامهلهم عشرة أيام ، ومن بقى بعد ذلك منهم ضربت عنقه ... الا ان المنافقين بقيادة عبد الله بن أبي حرضوهم على البقاء ، وحاصرهم الرسول « صلى الله عليه وسلم » حصارا عنيفا ــ وتطهرت المدينة من رجسهم .

ونزل في امر بني النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته ، وما سلط عليهم به رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وما عمل به فيهم .. وكانت غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهرا من الهجرة (يونية سنة ٦٢٥م).

٤ ـ غزوة دومة الجندل في ربيع الأول سنة ٥ هـ (يوليو سنة ٦٢٦ م):

دومة الجندل : بلد بين الحجاز والشام .

استعمل النبي « صلى الله عليه وسلم » على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وسببها ان النبي « صلى الله عليه وسلم » بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم ، وأنهم يريدون الدنو من المدينة ، فخرج النبي « صلى الله علسه وسلم » في ألف من أصحابه ومعه دليل من بني عذرة ، فأصابهم الرعب وتفرقوا ثم عاد الرسول « صلى الله عليه وسلم » وصحبه منتصرين .. وقد كانت هذه الغزوة بمثابة اعلان عن دعوة الاسلام بين سكان البوادي الشمالية واطراف الشام الجنوبية ، وأحسوا بقوة الاسلام وسطوته ، كما كانت الغزوة ارهابا لقيصر وجنده ، وتعتبر الغزوة فاتحة سير الجيوش الاسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وافريقيا فيما بعد ..

٥ ـ غزوة الغابة في ربيع الأول سنة ٦ هـ (يولية سنة ٦٢٧ م):

وتسمى بغزوة ذي قرد ، وذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان ، وسببها اغارة عيينة بن حصن الفزارى في خيل لغطفان على لقاح رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بالغابة ، وكانت عشرين لقحة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة

في اللقاح ، والرجل الذي قتلوه هو ابن أبي ذر « رضي الله تعالى عنه » وكان يرعى الابل ، وامرأته التي اسروها اسمها ليلى ، وقد نجت لانهم اوثقوها ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانطلقت وركبت ناقة للنبي « صلى الله عليه وسلم » ليلا على حين غفلتهم ، وقدمت على النبي « صلى الله عليه وسلم » واخبرته بذلك .. فاستعمل الرسول « صلى الله عليه وسلم » على المدينة ابن أم مكتوم ، وركب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في خمسمائة ، وخلف سعد بن عبادة « رضي الله عنه » في ثلاثمائة يحرسون المدينة ، وعقد لواء للمقداد « رضي الله عنه » في رمحه وقال : « امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك » .

وكانت نتيجة هذه الغزوة انهم ادركوا العدو فهزموه ، وقتلوا رؤساءه ، واستنقذوا اللقاح .. وقد ابلى في هذه الغزوة سلمة بن الأكوع بلاء حسنا وكان راميا .

٦ ـ سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران (ربيع الاول سنة ١٠هـ):

بعث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خالد بن الوليد في شهر ربيع الاول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١ م) ومعه اربعمائة الى بني الحارث بن كعب بنجران (موضع بين اليمن ونجد) وأمره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا ، فان استجابوا قبل منهم ؛ واقام فيهم ، ليعلمهم الكتاب والسنة ومعالم الاسلام ، فان لم يفعلوا قاتلهم ، وكان اهل نجران على شريعة عيسى ابن مريم « عليه السلام » فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون الناس الى الاسلام ويقولون : يأيها الناس اسلموا تسلموا ، فاسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم اليه فاقام خالد بن الوليد « رضي الله عنه » فيهم يعلمهم الاسلام ، وكتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه .. وجاء خالد بن الوليد والوفد النجراني الى المصطفى « صلى الله عليه وسلم » كما امره الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » .

٧ ـ وفاة ابراهيم ابن النبي « صلى الله عليه وسلم » ربيع الاول سنة ١٠ هـ

توفى ابراهيم ابن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في شهر ربيع الأول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١م)، وكانت ولادته في شهر ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة (ابريل سنة ٦٣٠ م) من السيدة مارية القبطية ، التي كان اهداها له المقوقس عظيم مصر ، فتسراها حتى ولدت له ، فصارت ام ولد ، وانزلها منزلة الازواج .. وقد فرح الرسول بمولده فرحا عظيما ، فلا عجب ان كان حزنه عليه شديدا ، وقد دخل عليه وهو يجود بنفسه ، فصارت عيناه تذرفان بالدموع ، وقال له عبد الرحمن بن عوف : اذا رآك المسلمون

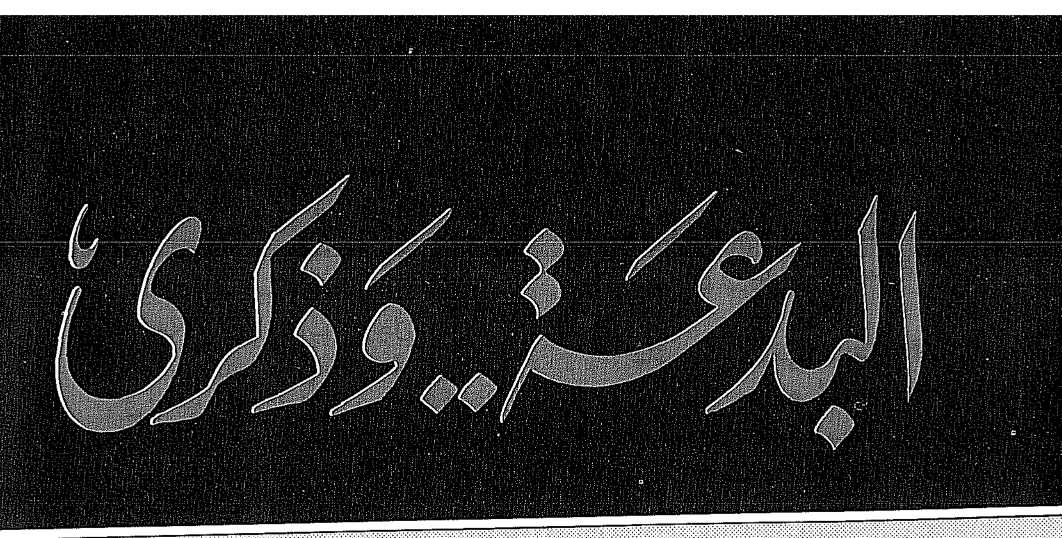
تبكي بكوا ! فلما سريت عنه عبرته قال : انما هذا رحمة وان من لا يرحم لا يُرحم انما ننهي الناس عن النياحة ، وان يندب الرجل بما ليس فيه ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : «لولا ان آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب » رواه البخاري واحمد وابو داود وأمر النبي « صلى الله عليه وسلم » بدفن ابراهيم في البقيع « مقبرة أهل المدينة ».

وانكسفت الشمس يوم مات ابراهيم ، فأذاع الناس ان الشمس كسفت حزنا على موت ابراهيم ، فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، ولكنهما آيتان من آيات الله » رواه البخاري ، قال ذلك لأن الناس لما شاهدوا الكسوف قالوا : انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، ولو كان النبي « صلى الله عليه وسلم » مخادعا أو كاذباً لاستغل هذه الفرصة السانحة ، وأذاع في طول البلاد وعرضها أن الشمس انما انكسفت لوفاة ابنه وأن هذه احدى معجزات النبوة ، لكنه أبى إلا الصدق وأذاع الحقيقة .

قال مسيو در منجم في كتابه « حياة محمد » بمناسبة هذا الحدث : « ان محمدا كان واسع العقل ، فرد على هذه الخرافة بقوله : « ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد » وهذه كلمات لا يقولها مخادع » .

٨ ـ وفاة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في ربيع الأول سنة ١١هـ:

عاش المصطفى « صلى الله عليه وسلم » من مولده الى بعثته أربعين سنة ، ثم بعث بالرسالة على رأس الاربعين ، ومكث الرسول « صلى الله عليه وسلم » بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر بأمر ربه الى المدينة ليبني المجتمع الجديد وعاش بها عشر سنوات ، كانت سلسلة من الصراع المتصل بين قاعدة الاسلام في المدينة بقيادته ، وبين العداوات الحاقدة من قريش واليهود والمنافقين .. ولقد جاهد الرسول « صلى الله عليه وسلم » حتى لقى ربه راضيا مرضيا مبلغا للرسالة ومؤديا للأمانة رسالة الاسلام ، النعمة العظمى .. وامر الرسول ابا بكر ان يصلي بالناس فصلى بهم مدة مرضه ، وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول لحق الرسول بربه وهو في الثالثة والستين من عمره ، وقد اعلن ابو بكر للصحابة خبر وفاة النبي بطريقة تدل على حكمته وقوة ايمانه ... « أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تلا قول الله تعالى : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**) آل عمران/ ١١٤.



البدعة في اللغة ـ وفي لسان الشرع ـ البدعة والعلوم الحادثة ـ البدعة الحقيقية ـ المعترضون على ذكرى المولد قديما وحديثا ـ فتوى رسمية ـ أدلتها ـ مناقشتها ـ من أدلة بطلانها قصص القرآن ودلالته ـ الرسول راعى مناسبات كيوم عاشوراء ، ويوم مولده ـ ليست الذكرى ابتداعا ولا تشريعا ولا تشبها **بالآخرين** ـ بل قبس من نور السنة والكتاب .

روى الامام مسلم « في صحيحه ـ من باب خطبة الجمعة ـ بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته :

« أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »
البدعة في اللغة :

والبدعة لغة : هي الأمر المستحدث على غير مثال سابق .
ويقول صاحب فتح البارى : فيشمل لغة ما يحمد ويذم ، ويختص في عرف أهل الشرع بما يذم ، وإن وردت (البدعة) في المحمود فعلى معناها اللغوى [١]

البدعة في الشرع :

والبدعة في الدين : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا ـ كما نقله النووى عن البيهقي ، مرويا عن الامام الشافعي [٢]
وعرفت البدعة أيضا بأنها : ما عمل من دون أن يسبق له شرعية من كتاب ولا سنة [٣]
وعرفها الشاطبي على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعة ، وإنما يخصها بالعبادات : بأنها :
طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه . [٤]
ويقول قبل هذا : العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة ـ وهو إطلاق أخص منه في اللغة . [٥]

البدعة وهل منها العلوم الحادثة ؟

ولقد حدث في الأمة أمور كثيرة ، وعلوم جمة ، لم تكن بصورتها من قبل ، قضت بها المصلحة ، واستوجبتها ضرورة المحافظة على



للأستاذ / كمال احمد محمد عون

الدين ، ولم تكن بطبيعة الحال مخالفة لمقاصده ، فقال عنها كثير من العلماء : إنها بدع حسنة ، وقسموا البدعة على هذا إلى خمسة أقسام ، وبينوا المراد بأمثلة ساقوها : فقالوا : منها :

بدعة واجبة : كحفظ العلوم بالتدوين ، والرد على الملاحدة باقامة الأدلة والبراهين .
وبدعة مندوبة : كبناء المدارس .
ومباحة : كالتوسعة في ألوان الطعام ، والثياب ..
ومكروهة : كالصيام في الشمس قائما ..
ومحرمة : كتحريم بعض الطيبات تدينا .

ويقولون في العبارة النبوية الواردة في الحديث السابق : « وكل بدعة ضلالة » إنها من قبيل العام المخصوص .
وفي هذا يقول الامام النووي في شرحه للحديث من صحيح مسلم :

الحديث من العام المخصوص ، وكذلك كل ما أشبهه من الأحاديث الواردة

ويمضي قائلا : ويؤيد ما قلناه قول عمر رضي الله عنه في التراويح : نعمت البدعة .
ثم يقول : ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا ، قوله : وكل بدعة ضلالة ، مؤكدا بكل ، بل يدخله التخصيص مع ذلك : كقوله تعالى : « **تدمر كل شيء بأمر ربها** »(٦) . أي ما أمرت بتدميره

استدراك على الجماعة في التراويح :

وقد استدرك بعض المحققين فقالوا : إن تسمية الجماعة في صلاة التراويح بدعة تسمية لغوية ، فالاجتماع لصلاتها وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث صلاها ليلة في المسجد ، وصلى بصلاته جمع من الصحابة ، تزايدوا في الليلة الثانية ، والثالثة ، حتى كانت الليلة الرابعة ، كاد المسجد يعجز عن أهله ، فلم يخرج إليهم ، خشية أن تفرض عليهم ، وذلك رحمة بهم ، كما أوضحه لهم في صلاة الصبح من تلك الليلة . (٧)

ورأى عمر رضي الله عنه ، زوال

السبب الذي تخلف النبي صلى الله عليه وسلم من أجله عن صلاتها في جماعة ، فأمر بالاجتماع لها ، تقوية لبعض العزائم فيها .

واستدراك على التقسيم كله :

بل استدركوا على تقسيم البدعة على النحو المذكور ، وقالوا : ليس من البدعة في الدين ما يمكن أن يكون واجبا أو مستحبا ، بل البدعة منهى عنها ، ومردودة ، وهي في حقيقتها ما ليس لها أصل في الدين ، وكانت مخالفة لهديه القويم - والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[٨] » فقوله صلى الله عليه وسلم : « وكل بدعة ضلالة » عام أريد عمومه .

العلوم الحادثة ليست بدعة في الدين :

وما قيل عن العلوم الحادثة في المسلمين بأنها بدعة ، وأنها واجبة قول غير دقيق ، فالعلوم الضرورية لخدمة الدين ، وإن أمكن لغة تسميتها بصورتها الجديدة بدعة أو أمرا مبتدعا ، ليست على الحقيقة بدعة في الدين [٩] ، ولا إحداثا في أمر الله ورسوله ما ليس منه .

فالعلم وتقييده ، والاستزادة منه ، وصيانة اللسان عن الخطأ ، كل ذلك مأمور به شرعا .

وجدال المبطلين ، وعرض أقوالهم ، والكر عليها بالإبطال ، كثير في القرآن الكريم ، بل هو من مقاصده ، والله تعالى يقول : « **وجاهدهم به جهادا كبيرا** » (الفرقان ٥٢)

ذكرى المولد :

رأى المعترضين :

يرى فريق من أهل العلم قدامى ومحدثين إنكار الاحتفال بذكرى المولد النبوي ، قائلين : إنها ابتداع من بعض ساسة الدول الاسلامية ، لا أصل له في الدين ، ثم شاع في أوساط كثير من المسلمين .

رأى الشاطبي :

وعلى سبيل المثال يقول الامام الشاطبي في بيان أن البدعة مخالفة للطريقة الشرعية ، ومضادة لها من أوجه متعددة ، **منها** :

وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل ..

ومنها : التزام الكيفيات والهيئات المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدا ، وما أشبه ذلك . [١٠]

فتوى هامة :

وتبسط القول في هذا فتوى شرعية ، على مستوى عال ، تناقلتها الصحف ، وبعض الاذاعات ، وترى :

أنه لا يجوز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره .

وتستدل الفتوى لرأيها بما نجمله فيما يلي :

١ ـ الاحتفال لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا غيرهم من الصحابة والتابعين ، وهم أعلم الناس بالسنة ، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتابعة لشرعه .

٢ ـ في الحديث الشريف : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ـ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .. وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

٣ ـ في القرآن الكريم : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

٤ ـ إحداث هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين .. حتى جاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به الله ، وهذا بلا شك خطر عليهم ، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ ظن بعض المتأخرين أنها بدعة حسنة ، وبردنا هذه المسألة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله لم نجد ما يدل عليها ، فعلمنا أنها بدعة محدثة ، وأنها من التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم .

٦ ـ زيادة على ما مر فقد تشتمل على منكرات أخرى ، كاختلاط الرجال بالنساء .. وشرب المسكرات والمخدرات ، وغير ذلك من الشرور .

٧ ـ وأخيرا نصحت للمسلمين بالحذر مما يحدثه الجهال من البدع والخرافات .

مناقشة الفتوى وما استندت إليه :

والفتوى بهذا ـ مع احترامنا وتقديرنا لمن صدرت عنه ، ومعرفتنا بأن فريقا من علماء المسلمين يأخذ بها ، وينحى باللائمة على من يحتفل بهذه المناسبة ـ لا تعدو في نظرنا العلمي بدين الله ، كونها **وجهة نظر ، جهد أصحابها فيما رأوه خيرا للمسلمين ، وهم في هذا القدر مشكورون** .

ولكن من حق أهل العلم بالدين أن يناقشوهم فيما أوردوه ، وبنوا عليه ما بنوا .

ومن واجب أصحاب الفتوى من العلماء أن يفسحوا صدورهم ، لسماع الرأي المقابل ، كي تتضح معالم الحقيقة في هذه المسألة ـ وفي القرآن الكريم « **فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** » (الزمر آية ١٧ و١٨) ، وفيه : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » (النحل ١٢٥)

أغفلت جوانب هامة :

والفتوى ـ في رأينا ـ **أغفلت جوانب هامة من العلم في دين الله ، ينبغي أن تدخل في الاعتبار ، قبل أن نصدر الأحكام بالجواز وعدم الجواز ، وقبل أن نصف الآخرين بأنهم مبتدعون وجائرون !!**

النبي غني بتكريم الله :

وهنا نحب أن نذكر لمن يحتفل بذكرى المولد ، ومن لا يحتفل به ، ما هو معلوم لكل مسلم ، من جلال التكريم الالهي للنبي العظيم ، بما لا يدانيه أي تكريم ، فقد رفع ذكره ، حتى لا يكون أذان ولا إقامة إلا بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعد الشهادة بتوحيد الله ، كما لا يكون تشهد في الصلاة بين يدي الله ، إلا بالسلام على نبي الله سلام حضور وخطاب ، ثم الصلاة عليه وعلى آله ، وعلى أبي الأنبياء وآله ، وعلى أهل طاعة الله أجمعين .

إلى جانب أن الدخول في الاسلام لا يكون إلا بشهادتين لا شهادة واحدة ؛ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

من أدلة بطلان الفتوى :

ونشير إلى ما نراه ردا على الفتوى في كلمات ، نتبعها بحول الله سبحانه الأدلة والبراهين :

١ ـ القرآن الكريم قص من أخبار السابقين ما فيه عبرة وذكرى لأولى الألباب .

٢ ـ القرآن الكريم قص من أنباء الرسل ما فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله راعى مناسبات لبعض الانبياء استوجبت شكر الله تعالى ، وتكررت رعاية هذه المناسبات حياته صلى الله عليه وسلم ، وحتى الآن .

٤ ـ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كرم يوم مولده بعبادة شكرا لله .

٥ ـ الصحابة كانوا يحيون وقلوبهم وعيونهم متعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم في حضور دائم ، ومع أسوة ماثلة ، ملأت كل حياتهم ، وناهيك بمثل عمر تأخذه الدهشة لسماعه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينكر موته ، ويثور ويتوعد من يحدث بموته ، حتى ترده عظة الصديق الخالدة ، وكأنه لم يكن يظن أن الرسول يموت .

٦ ـ ذكرى المولد النبوي تذكير بنعمة الله ، وسيرته الشريفة تطبيق عملي لكتاب الله ووحيه .

٧ ـ ليس الاحتفال تشريعا أو عبادة يكمل بها الدين ، إنما هو حض على التأسي برسول الله .

٨ ـ إحياء ذكرى عالم خدم الاسلام ليس عبادة له ، ولا بدعة في الدين ، بل استنهاض « لهمم العاملين » .

٩ ـ المنكر يجب إنكاره حيثما كان ، ومتى وجد ، والنهي عنه فريضة محكمة إلى يوم الدين .

وإليك أشعة موجزة من البيان :
قصص وأنباء للعبرة والتثبيت :

١ ـ لقد قص القرآن الكريم الكثير من أخبار السابقين ، وقال سبحانه : « **لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب** » يوسف (١١١)

وقال لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله :

« **واذكر في الكتاب مريم** .. » (مريم ١٦) - « **واذكر في الكتاب موسى** .. »(مريم ٥١) « **واذكر في الكتاب ادريس** .. »(مريم ٥٦) - « **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب** » (ص ٤٥) - « **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** » (ص ٤٨) وقال تعالى ، في سورة الأنعام بعد ذكر ثمانية عشر من الرسل عليهم السلام : « **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** .. » الآية ثم قال سبحانه : **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا . إن هو إلا ذكرى للعالمين** » (الآيات ٨٣ - ٩٠) - **فأي إشادة بذكرى هؤلاء الكرام أجل وأروع من أن يكون هديهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، يؤمر النبي فيه باتباع هداهم .**

٢ : **تثبيت لفؤاد المصطفى** :

وقال تعالى : « **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** » (هود ١٢٠)

٣ - رعاية المناسبة ليست ابتداعا : « يوم عاشوراء »

فلقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة مهاجرا ، رأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فلما سئلوا قالوا : هذا يوم نجى الله فيه موسى ومن معه ، فصامه شكرا ، ونحن نصومه .. فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أولى بموسى منهم ، وأمر بصيام عاشوراء ، وأرسل من يخبر بأمر رسول الله ، أن من أفطر فليمسك بقية يومه ، ومن لم يكن أفطر فليتم صومه [١١]

وبعد أن فرض صيام رمضان ظلت الحفاوة بيوم عاشوراء ، وقال صلى الله عليه وسلم قبيل لحوقه بالرفيق الأعلى : لئن عشت إلى قابل ، لأصومن التاسع والعاشر .

هذا : وضم يوم إلى عاشوراء قبله أو بعده ، لا ينتقص من تكريم عاشوراء ، إن لم يزده تكريما ، كما لا ينتقص من رعاية المناسبة فيه .

٤ - **ورعاية يوم مولده الشريف** :

ولقد صام صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ويوم الخميس ، وهما يومان ترفع فيهما الأعمال . وجاء في صحيح مسلم في صيام يوم الاثنين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنه : فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل علي فيه »

٥ - **ليس ابتداعا** :

فإذا احتفل فريق من المسلمين بذكرى المولد النبوي الشريف ، فصام يومه من صامه تقربا إلى الله ، واقتداء برسول الله ، وتصدق فيه من تصدق على الفقراء والمساكين ، فليسوا على الحقيقة مبتدعين .

وإذا رأى هذا الفريق العظيم من خيار المسلمين - وقد كثرت الغفلات ،

ورانت على قلوب كثير من المسلمين ـ أن يكون من ذكرى مولد الرسول الكريم مناسبة يستزيدون فيها من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ويتذاكرون من عظيم خلقه ، وجليل صبره وثباته ، وموصول جهاده ، وجهاد أصحابه معه ، وتفانيهم في ذلك ، بما يقيم أروع الأمثال أمام الأمة وشبابها ، ويزيد في أنوار قلوبهم فقها ومعرفة ، واقتداء بالنبي العظيم ، وصحبه الكرام ، فهم بذلك لم يخرجوا قط عن هدى القرآن الكريم ، في التذكير والاعتبار ، وتثبيت القلوب على دين الله ، وملء النفوس والأفئدة بأنوار الله ، متمثلة في جهاد الرسول ، وصحبه الأخيار .

مناسبات كريمة :

وكما يحتفلون بمناسبة المولد الشريف ، يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية ، وذكرى الاسراء والمعراج ، وغزوة بدر ، وفتح مكة ، ونزول القرآن الكريم في ليلة القدر ، كل ذلك من باب التذكير ، والتحدث بنعمة الله على الأمة الاسلامية ، بمولد رحمة الله تعالى للعالمين ، وما كان من الأمور الجسام ، ذات الأثر الكبير للاسلام والمسلمين ـ وعلى نحو ما كان يقول الصحابي الجليل معاذ بن جبل لصاحبه : اجلس بنا نؤمن ساعة [(١٢)] ، أي نزدد إيمانا ،

فهذه مناسبات كريمة ، ينتفع المسلمون بذكراها ، والذكرى تنفع المؤمنين .

القرآن والسيرة :

وفي القرآن الكريم الكثير الطيب المبارك من أنباء رسولنا الكريم ، وسيرته وجهاده ، وجهاد أصحابه ، بأسلوب الكتاب المعجز .

وفي السنة من ذلك تفصيل ، وقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم قراءة لبعض ما في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

كتابة السيرة وقراءتها :

وهذه كتب السيرة النبوية ، وهي بصورتها جديدة وحادثة في الاسلام ، فهل ما كتب فيها عن نسبه صلى الله عليه وسلم ، ونشأته ورسالته وجهاده ، يمكن لمسلم أن يعده بدعة في الدين ، مرفوضة ومردودة على المبتدعين ؟!!

والمحاضرات حولها :

وإذا دعا الداعي إلى من يحاضر في ذلك . ويقرأ طرفا من صحيح ما دون فيه ، يكون مبتدعا ومحدثا في أمر الله ما ليس منه ؟

أو ليس ذلك من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه المشهور « حدثوا عني ولا حرج »؟

والحديث النبوي كما يعرفه رجاله : ما كان من قول النبي ، أو فعله ، أو تقريره ، وكذلك ما كان عن صفة من صفاته الجسمانية ، أو من خلقه العظيم ، ولقد كان خلقه القرآن .

ليس تشبها بقوم آخرين :

وليس ذلك بحمد الله من التشبه بقوم آخرين ، جعلوا مما سموه أعياد الميلاد عندهم فرصة للهو والعبث ، وإضاءة الأنوار ليلا مختلطين راقصين مخمورين ، حتى إذا اشتعلت الشهوات ، عمدوا إلى الأنوار فأطفأوها ، لتزداد الشهوات الآثمة اشتعالا في مجال الآثام ، مجللة بسواد الليل البهيم .

مخالفات مع الذكريات ومع العبادات :

وبعد :

فإن قيل : نظرت ـ إلى ذكرى المولد النبوي في ضوء السيرة النبوية وقراءتها ، ومدارسة العلم وعمل الصالحات ، مع أن الموالد ـ كما قيل ـ سواء المولد النبوي ، أو ما يعرف بموالد الأولياء ، كثيرا ما يكون فيها المخالفات والمنكرات ؟

والجواب :

كي نكون منصفين ، لا محيد عن وضع الأمور مواضعها ، وتحديدها وعدم الخلط فيها ، فالاحتفال بالمولد النبوي ، وبذكريات الاسلام الكبرى ، على نحو ما يفعله الأخيار من المسلمين ـ وإنهم بحمد الله كثيرون ـ ليس بدعا من هدى القرآن الكريم ، ولا من سنة النبي العظيم ، وليس تشريعا ، أو استكمالا في الدين ، أو اعتراضا على رب العالمين .

أما المنكرات ، إن خالطت عند بعض الناس هذه المناسبة الكريمة ، فلقد خالطت كثيرا غيرها ، مما هو من قواعد الاسلام ، وعباداته الأصلية ، فينبغي أن يقتصر النكير على المنكر ، سواء منها ما صحب العبادات ، أو ما صحب هذه المناسبات ، حتى تخلص هذه المناسبات وغيرها لما أريد منها ، ولما فيها من الخير المحقق والنفع العام للمسلمين .

وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادي إلى أقوم طريق ؟

الهوامش :

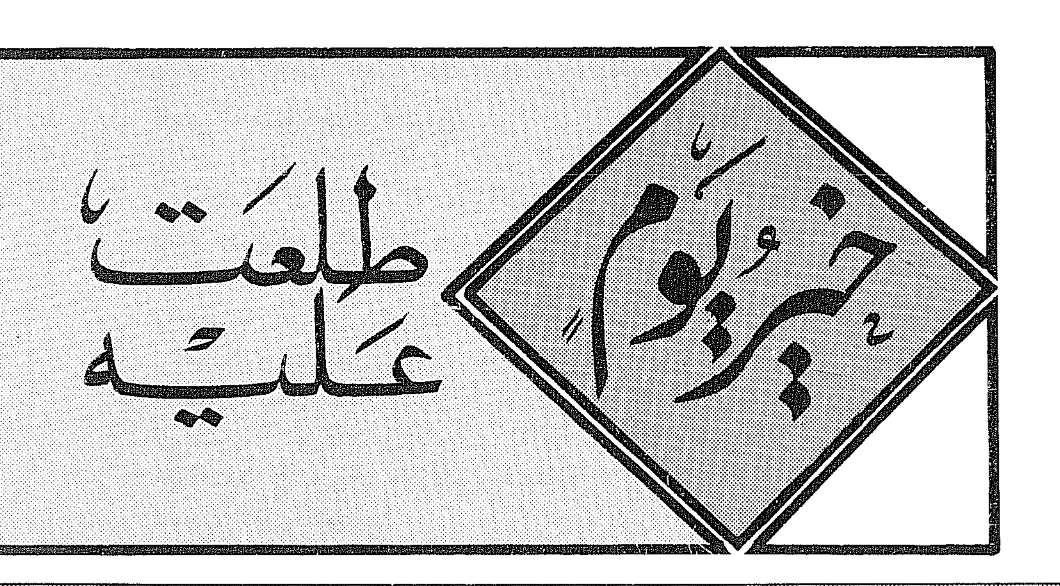
(١) شرح فتح الباري على صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ـ مادة بدع .
(٣) الصنعاني في سبل السلام ـ باب الجمعة في شرحه للحديث .
(٤) الاعتصام ـ الباب الأول ـ تعريف البدعة .
(٥) نفس المصدر والباب .

(٦) المعنى مما أمرت بتدميره ـ راجع الموضوع في شرح النووى على مسلم ـ وفي تهذيب الاسماء واللغات مادة بدع للنووى ـ وشرح سبل السلام ـ باب الجمعة ـ للصنعاني .
(٧) أصل الحديث في صحيح البخاري ـ كتاب التهجد ، ورواه غير البخاري

(٨) صحيح البخاري في كتاب الصلح ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
(٩) راجع الاعتصام للشاطبي ـ تعريف البدعة .
(١٠) المرجع السابق في شرح تعريف البدعة .

(١١) الحديث بعدة روايات في البخاري ـ باب صوم عاشوراء ، وفي بعضها أنه كان يصام في الجاهلية ، كما روى في أبواب أخرى من البخاري ، وغيره .

(١٢) رواه البخاري في أول كتاب الايمان

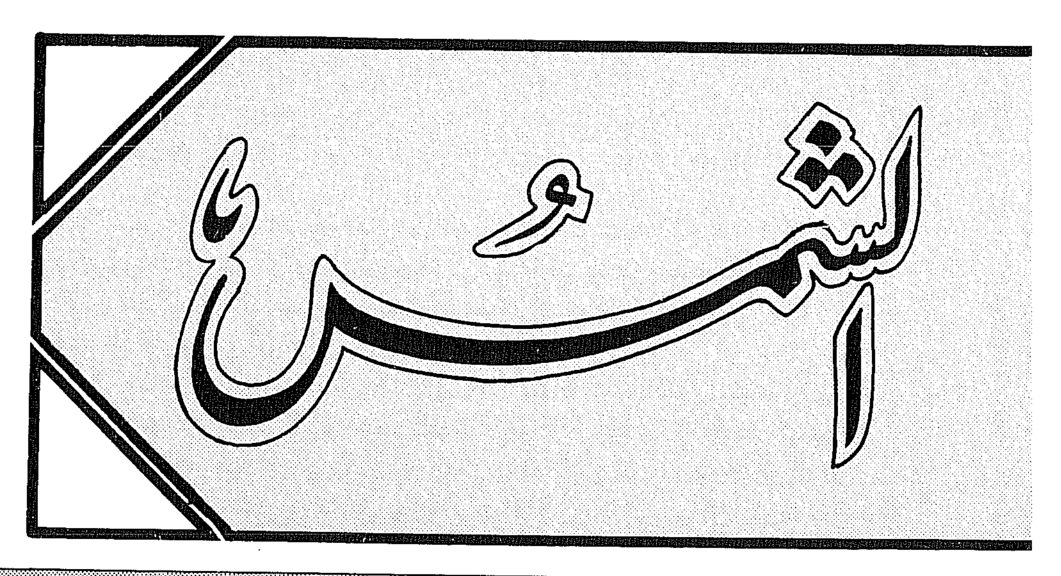


تفاضل الأمكنة والأزمنة :

تتفاضل الأمكنة عند الله تعالى كما تتفاضل الأزمنة ، فمنزلة بيت الله الحرام تفضل سائر بيوت الله في شتى أنحاء المعمورة ، والحج عرفة ... ، كما تتفاضل الشهور فيما بينها ، « **إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** » ٣٦ التوبة . و « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » البقرة ١٩٧ و « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** .. » ١٨٥ البقرة .

واذ تتفاضل الشهور تتفاضل أيضا الليالي فنجد في شهر رمضان « **ليلة القدر خير من ألف شهر** » ٣ القدر ، وحيث تتفاضل الليالي تتفاضل كذلك الأيام ، فيوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين حرم صومه الا مسبوقا أو ملحوقا ، فيه ساعة إجابة ، وصلاة الجمعة فيه ليست ككل صلاة ، فجعلت من الجمعة الى الجمعة كفارة ، تؤدى في وقت الظهر بأحكام وشروط مخصوصة ، في مساجد مخصوصة ، من تركها طبع الله على قلبه ، حرم في وقتها الشراء والبيع ، يقول تبارك وتعالى في سورة الجمعة التي سميت بإسمه :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة**



للاستاذ/عمر الراكشي

فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »
٩ و ١٠ الجمعة .

ففي هاتين الآيتين يأمر الرحمن جل وعلا المؤمنين به وبرسوله ورسالته بأن يمضوا الى ذكر الله عندما يؤذن لصلاة الجمعة حريصين عليها ، وأن يتركوا من أجلها عروض التجارة بيعا وشراء ، فإن ذكر الله وإقامة الصلاة واجتماع المؤمنين حولها في هذه الساعة أنفع لهم وأجدى من كل كسب من بيع أو شراء إن كانوا يعلمون ، فاذا ما أدوا صلاتهم فقد أمرهم خالقهم بأن يتفرقوا في الأرض لمصالحهم يطلبون من فضله ، وأن يذكروه كثيرا بقلوبهم وألسنتهم لعلهم يفوزون بخيري الدنيا والآخرة ، فانما يطلب رزق الله بطاعته .

حكم صلاة الجمعة :

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال « صلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم » رواه أحمد والنسائي وابن ماجه باسناد حسن ، وهي فرض عين على كل مكلف قادر مستكمل لشروطها ، وقد ثبت فرضيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، وهي ليست بدلا عن صلاة الظهر ، فمن أدرك الامام في الركعة الثانية فقد أدرك الجمعة وعليه أن يأتي بركعة ثانية ويسلم باتفاق ، أما اذا أدركه في الجلوس الأخير فقط فانه يلزمه أن يصلي الظهر أربع ركعات بعد سلام الامام ولا يكون مدركا للجمعة باتفاق المالكية والشافعية ، أما الحنفية فقالوا من أدرك الامام في أي جزء من صلاته فقد أدرك الجمعة ولو في تشهد سجود السهو وأتمها جمعة

على الصحيح .

متى يحرم البيع :

يجب السعي لصلاة الجمعة على من تجب عليه الجمعة اذا نودي لها بالآذان الذي بين يدي الخطيب . ولم يكن معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا الآذان ، فكان اذا صعد صلى الله عليه وسلم المنبر أذن المؤذن بين يديه ، وقد روى ذلك البخاري وأبو داود ، و النسائي والترمذي .

وقد زاد عثمان رضي الله عنه نداء قبل هذا عندما كثر الناس ، فقد روى عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، فلما كان زمن عثمان وكثر الناس ، زاد النداء الثاني على الزوراء ، وفي رواية زاد الأذان الثالث ، ولكن المراد به هنا الأذان ، وانما سماه ثالثا لأن الاقامة تسمى أذانا .

وقد خالف أبو حنيفة الأئمة الثلاثة ، فقال متى سمع الأذان بعد زوال الشمس فان على المسلم أن يسعى الى صلاة الجمعة فالآية التي مر ذكرها في صدر هذا المقال « عامة » فلم تخص أذانا معينا كما ذهب اليه الثلاثة ، وقول أبي حنيفة هو الذي نستريح اليه ، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : كنا نجمع [١] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ، ثم نرجع نتتبع الفيء[٢] .

شروط الجمعة :

ولصلاة الجمعة فوق شروط الصلاة المعتادة شروط أخرى نجملها فيما يلي : الذكورة ، فلا تجب الجمعة على المرأة ولكن إن صلتها مع الجماعة فانها تصح منها ، وتجزئها عن صلاة الظهر . وألا يكون المؤمن شيخا هرما يصعب عليه الانتقال الى الجامع . وأن يكون مبصرا فلا تجب على الأعمى اذا تعذر عليه الحضور بنفسه أو لم يجد قائدا ، وأن يكون مقيما بالبلد الذي تقام فيه الجمعة فلا تنعقد بالمسافر الذي نوى الاقامة ، وحضور اثني عشر غير الامام في رأي المالكية ، وفي الامام اشترطوا أن يكون مقيما أو مسافرا نوى اقامة أربعة أيام وأن يكون هو الخطيب ، وأن يخطب خطبتين ، ولا تصح الجمعة في البيوت ولا في أرض براح مثلا ، ويشترط في الجامع أن يكون مبنيا البناء المعتاد لأهل البلد ، ولو تعددت المساجد في البلد الواحد فلا تصح الجمعة الا في الجامع القديم[٣] .

تخطي الجالسين واختراق الصفوف :

ويستثنى من التخطي المكروه أمور : منها أن يجد المرء فرجة أمامه يريد سدها ، ومنها أن يجلس في الصفوف الأمامية من لا تنعقد بهم الجمعة كالصبيان

ونحوهم ، فانه يجب في هذه الحالة على من تنعقد بهم الجمعة أن يتخطوا الرقاب ، ومنها أيضا أن يكون المتخطي إمام الجمعة ولا يمكنه الوصول الى المنبر إلا بالتخطي .

ومع ذلك نقول إن الاحتراز واجب على الجميع حتى لا يهدم الاستثناء القاعدة الأصلية ويحل محلها فيهدرها مع التوسع فيه .

الظهر بدلا من الجمعة :

من وجبت عليه الجمعة ، وتخلف عن حضورها بغير عذر لا يصح أن يصلي الظهر قبل فراغ الامام من صلاة الجمعة ، فلو صلى الظهر في هذه الحالة لم تنعقد باتفاق الشافعية والحنابلة .
أما من لا تجب عليه الجمعة كالمريض ونحوه فتصح صلاة الظهر منه ولو حال اشتغال الامام بصلاة الجمعة ، ويندب له تأخير الظهر اذا رجا زوال عذره ، أما اذا لم يرج ذلك فيندب له تعجيلها في أول وقتها ولا ينتظر تسليم الامام باتفاق ثلاثة من الأئمة وخالف المالكية(٤) .

فضل يوم الجمعة(٥) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة .رواه مسلم .
ولعل قيام الساعة فيه هو الذي دفع بعض أعداء الدين الى القول بأن فيه ساعة « نحس » ، ولقد جهلوا على أنفسهم وتطاولوا بغير علم ، فيدحض قولهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي ، يسأل الله خيرا إلا أعطاه اياه » وأشار بيده يقللها دلالة على قصر زمن هذه الساعة .
وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال : قال لي عبد الله بن عمر : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هي ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة »(٦) .
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ، ثم يصلي معه ، غفرله ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام » .

ما يقرأ في صلاتي الجمعة وفجرها :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة : (**الم تنزيل السجدة**) ، و (**هل أتى على الانسان حين من الدهر**) وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة (**سورة الجمعة**) و (**المنافقين**) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس يوم الجمعة ، إذ دخل عثمان بن عفان ، فعرض به عمر ، فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟! فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت . فقال عمر : والوضوء أيضا ؟ ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غسل يوم الجمعة على كل محتلم ، وسواك ، ويمس من الطيب ما قدر عليه » .

واذا كان القرآن الكريم يقول في الآية ٣١ من سورة الأعراف « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** » فان المطلوب من المسلم يوم الجمعة أن يتوجه مغتسلا الى صلاة الجمعة في أحسن ثيابه وأبهى زينته ، وأفضل الثياب ما كان لونه أبيض ، وأن يقلم أظفاره ويقص شاربه وينتف إبطه ويتطيب . حتى ليبدو المسجد مع جمهرة المسلمين يوم الجمعة وكأنه حقا يوم عيد تحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده ، يباهي بهم ملائكته لنظافة باطنهم وظاهرهم ، وحسن سمتهم ومظهرهم ، فيجعل الله لهم نورا من كل جانب ومن فوقهم وتحتهم .

فضل التهجير يوم الجمعة :(٧) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فاذا جلس الامام طووا الصحف ، وجاؤوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البيضة » .

والمعنى أن من بكر في الحضور الى المسجد قبل غيره كان له فضل من يهدي جملا ، والذي يليه في الحضور كان كمن يهدي ناقة ، وهكذا ...

خطبة الجمعة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه : السبابة والوسطى ، ويقول : « أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : « أنا أولى بكل مؤمن(٨) من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا(٩) فالي وعلي » .

وعن أبي وائل رضي الله عنه قال : خطبنا عمار رضي الله عنه فأوجز وأبلغ ، فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان ، لقد أبلغت وأوجزت ، فلو كنت تنفست ،(١٠) فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة(١١) من فقهه ، فأطيلوا الصلاة ، وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحرا » . وعن جابر بن سمرة قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا » أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق .

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة ، ما أخذت **(ق والقرآن المجيد)** الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس » .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب قائما ، فمن نبأك انه كان يخطب جالسا فقد كذب ، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت عير(١٢) من الشام ، فانفتل الناس اليها ، حتى لم يبق **إلا اثنا عشر رجلا** . فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة « **واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** » الجمعة ١١

حرمة الخطبة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت » .

وقد بلغ من أهمية الخطبة وحرمتها أن حرم الكلام في أثنائها ولو في جلوس الامام بين الخطبتين ، لا فرق في ذلك بين من يسمع الخطبة وغيره ، سواء أكان في رحبة المسجد أو في الطرق المتصلة به ، كما يحرم نهي المتكلم حال الخطبة ورميه بالحصى ليسكت ، بل ويحرم الشرب وتشميت العاطس ورد السلام ، ويندب للحاضر التأمين على دعاء الخطيب ويكره الجهر بذلك ، ويندب سرا التعوذ والاستغفار والصلاة على النبي عليه الصلاة و السلام .

ولا تسقط هذه الحرمة إلا اذا لغا الامام فمدح من لا يجوز مدحه أو ذم من لا يجوز ذمه ، وهذا رأي المالكية اختصارا لسرد كل الآراء .

التغليظ في ترك الجمعة :

عن الحكم بن ميناء أن عبد الله بن عمر ، وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

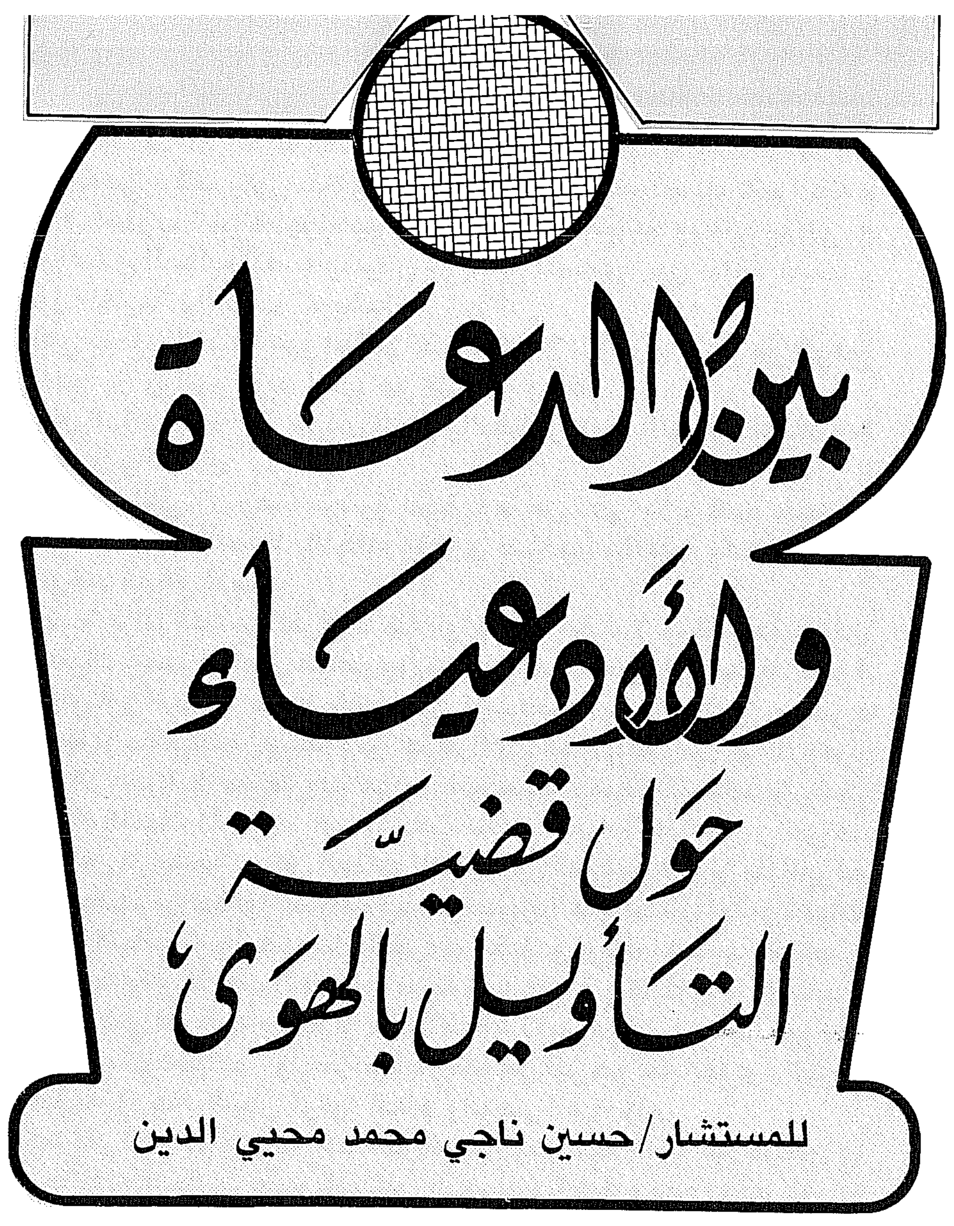
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة ، بيوتهم » .

خاتمة :

وبعد ، فهذا خير يوم طلعت عليه الشمس ، يوم أغر ، أعاننا المولى على المواظبة على إحيائه والاحتفاء به ، على الوجه الذي يرضاه ورسوله ، فاجعلنا اللهم نصادف فيه ساعات الاجابة ، واجعله لنا كفارة لما بين الجمعة والجمعة ، واجعلنا اللهم من رواد سوق الجنة يوم الجمعة ، فقد روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون الى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوها : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله ، لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » ١٣

الهوامش

(١) نجمع : بتشديد الميم المكسورة اي نصلي الجمعة
(٢) حديث رقم ٤٠٧ في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري . والفيء هو ما بعد الزوال من الظل .
(٣) اقتصرنا في الشروط على راي المالكية سعيا للايجاز نقلا عن كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات لعبد الرحمن الجزيري .
(٤) المرجع السابق
(٥) الأحاديث المسرودة في هذا المقال وردت في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري بين رقمي ٣٢٦ و ١٩٦٧ .
(٦) هذا من الأحاديث التي انتقدها الامام الدار قطني على « صحيح مسلم » ورجح ان الصواب انه موقوف على ابي بردة ، ويؤيده انه جاء من حديث جابر وغيره مرفوعا : ان ساعة الاجابة في آخر ساعة من يوم الجمعة .
(٧) التهجير : يعني التبكير والمهجر أي المبكر .
(٨) هذا على عمومه ، لم يطرأ عليه تخصيص اطلاقا ، خلافا لما يظن الناس اليوم ، وما وجد بعده صلى الله عليه وسلم من امور قام الدليل الشرعي على شرعيته ووجوبه فليس من البدعة في شيء ، وتفصيل هذا البحث الهام في كتاب « الاعتصام » للامام الشاطبي رحمه الله تعالى وفي شرح الكتاب ايضا لصديق حسن خان .
(٩) الضياع بفتح الضاد : العيال
(١٠) تنفست : اي اطلت قليلا
(١١) مئنة : علامة
(١٢) العير بالكسر : الابل تحمل الميرة ، ثم غلب على كل قافلة .
(١٣) المرجع السابق للحافظ المنذري في باب الجنة .



أما الدعاة - اختصارا - فهم ورثة الأنبياء . ترى أحدهم فترى الفضل والفضيلة ممثلين في شخص ، قوله الصدق وبغيته الحق ، يحمل علما يبصر به في الظلمات ، ويدعو الى الله مخلصا له الدين وليس لنفسه نصيب من شغف بالظهور انما يقصد وجه ربه ، كل ذلك مع خشية شديدة لله وخوف عظيم من أن يغضب الله بقول أو فعل أو عمل .

اذا مس المصحف لا يمسه الا طاهرا وان قرأ بعضه كان خاشعا وان أراد الفهم كان متحوطا متحرزا لا يدخل على القرآن ما ليس فيه ولا يؤوله بهواه ولا يتجرأ على مراد الله بشطحات ونزوات . فذلك هو الداعي الى الله حقا .

أما الدعي ، فقد يكون خاويا من علم فيزعم لنفسه نصيبا كبيرا منه ، تميزه في أسلوب دعوته لهواه بهلوانية يغطي بها قصده وتعالم يغطي به جهله وعشق للدعاية لنفسه وحرص على جمع المساندين من أمثاله أصحاب العقول الفارغة والقلوب المريضة .
فالداعي يتحلى بالأصالة فهو النافع الذي يمكث في الأرض والدعي هو الوهج الذي هو الى زوال والزبد الذي هو الى فناء وجفاء .
وبين الداعي والدعي ما بين الحق والباطل وما بين النور والظلمات وما بين الهدى والضلال .
وما من داعي إلا وهمه نصرة الحق وما من دعي إلا وعنده خبيئة ، والخبيئة تغري صاحبها بالأخفاء وتغري صاحبها بالظهور بعكس ما هو عليه وضد ما هو لديه .
وقديما قرأنا تفاسير للقرآن ـ كله أو بعض آية ـ لا يخلو بعضها من اسرائيليات بهدف التأويل الباطل والانحراف بالنصوص تارة انحرافا ظاهرا مرذولا وتارة انحرافا ماهرا خفيا ، بل إن بعضها يخالف الدين ويخرج بصاحبها او مصدقها من ربقته ومن العهد الأزلي الذي بينه وبين ربه ألا يعبد سواه والا يشرك في معرفة ربه هواه . ويجمعها جميعا السخف من حيث أسلوبها والتكلف المرذول ، أما من حيث المقاصد فإرادة التضليل وتحريف كلام الله عن مواضعه . وكان العلماء الأتقياء أولا يفسرون القرآن بالمأثور ثم جاء من بعدهم من حذفوا أسانيده وجعلوه مجردا عنها لتدخل الإسرائيليات في غيبة الأسانيد ويصعب على القارىء تخيل وغربلة ما نسبه أصحاب الميول المنحرفة والمذاهب العقدية (نسبة الى العقيدة) كذبا وزورا الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الأئمة من ذريته أو الى صحابته ترويجا لبدعهم ودسا لأباطيلهم . ولسنا بصدد التفصيل فليرجع فيه القارىء الكريم إلى ما كتبه في هذا الشأن اولوا العلم والبصر ، فهو كثير .
وكما كان للإسلام وكتابه أعداء من قديم الزمان فهم اليوم غير منفكين في الكيد حاليا له بأساليب عصرية مدعين التجديد في إظهار وجوه اعجاز للقرآن متخذين من أسماء العلوم والمخترعات تكئات يتأولون بها القرآن ليصلوا الى تحقيق نواياهم السيئة وقصدهم الخاسر .
وهؤلاء المحدثون ، الذين هم بين أظهرنا الآن ، اتخذ بعضهم من أسلوب التضليل بالعلم سبيلا الى الشهرة أو الى القربى بمجامع العلم في أمريكا وأوربا زلفى الى القائمين عليها من مستشرقين حاقدين على الأسلام أو يهود صهاينة هم أشد عداء للأسلام من أهل القتيل لشخص القاتل .
ومن الأسف أن المنبهرين المأخوذين كثيرون لقلة بضاعتهم من العلم المانع لهم من الوقوع في براثن الملحدين والمرتدين ، وكثيرون منهم يغلب حسن ظنه بمن ادعى العلم فلا يتهمه في دينه ولا في قصده ، وبعضهم

المتحالم المتعالم الذي يريد أن يكسو نفسه حلة من رجاحة العقل أو سماحة الدين فيعتذر عن هؤلاء بحقهم في الاجتهاد غافلا عن أن للاجتهاد شروطا بعضها يرجع الى موضوع الاجتهاد . وبعضها يرجع الى أدوات الاجتهاد ، وكل هذه الشروط معدومة فيمن قال ـ ظلما للرقم « ١٩ » ـ انه وصل به الى أن جهنم ليس عليها تسعة عشر ملكا إنما عليها تسعة عشر حرفا هي حروف البسملة ، كما قال إنه بأعمال الأعداد بزعامة الرقم « ١٩ » شارك الله غيب علم الساعة فحدده تحديدا ، مكذبا بالأمرين معا صريح القرآن !!

فليس مجتهدا من انتهى بهذره الى تكذيب القرآن .

وليس حسن النية شريف القصد من عرف أنه انتهى الى تكذيب القرآن فاستمسك بمنهاجه السيء وصار يدافع عنه ويروج له غير عابىء بخطأ لا يغتفر وقع فيه .

واذا كان صدق النتيجة يدل على صدق مقدماتها ووسائل الوصول اليها فإنه أيضا يقال ـ بحق ـ إن خطأ النتيجة يرجع إلى خطأ ما أوصل اليها وأدى اليها .

فلابد إذن أن أدوات التفكير عند هؤلاء كانت عاطلة ولا بد أن أسلوب بحثهم كان خاطئا وأن مقدمات القضية الخاسرة كانت خاطئة ، نقول هذا ويقوله كل من عنده عقل حتى ولو زعموا أن الكمبيوتر هو الذي أوصلهم وأن الكمبيوتر لا يكذب !!

وبعد ، فلن نعرض غثاثة بحث احدهم إلا من خلال كلماته في كتيب له فهذه الكلمات هي التي حددت مسار فكره الخاطىء فلا بد من عرضها بنصها ليعلم القارىء حقائق كانت خافية عنه :

قال ما نصه : « نحن نعلم أن الآية الأولى التي نزل بها سيدنا جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هي من سورة العلق (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وسورة العلق تتكون من تسع عشرة آية (١٩) ويأتي ترتيبها إذا بدأنا بتعداد القرآن من الخلف عند الرقم تسعة عشر (١٩) . ثم جاء الوحي بالآيات من سورة القلم (ن . والقلم وما يسطرون) وبعدها تأتي الآيات الأولى من سورة المزمل ، وفي المرة الرابعة وهو الحدث الهام نزل الوحي بالآيات المذكورة في سورة المدثر حتى قوله تعالى (عليها تسعة عشر)، والشيء العجيب حقا أن الوحي الأمين أنزل عقب آية (عليها تسعة عشر) بالضبط سورة الفاتحة بكاملها ، وهي أول سورة كاملة ينزل بها جبريل عليه السلام بإجماع العلماء . فنلاحظ هنا أنه تبع آية (عليها تسعة عشر) مباشرة بسم الله الرحمن الرحيم المكونة من تسعة عشر حرفا » (ص ١٣ من كتيبه) .

ومن قبل ذلك قال في ص ١١ ما نصه : « فماذا يعني بقوله تسعة عشر ؟ هل يعني أن الأنسان الذي يعتقد أن القرآن من قول البشر سيعذب وسيكون

عذابه تحت إشراف تسعة عشر ». وهذا هو التفسير المتفق عليه من قبل العلماء القدماء فالتسعة عشر (عند المفسرين القدماء) هم حراس جهنم ، زبانية جهنم . لكن اذا تابعنا قراءة الآيات التالية نرى في الآية الكريمة السابقة « عليها تسعة عشر » وفي ضوء المعلومات الجديدة التي سنراها أن هناك تفسيرا جديدا لمعنى تسعة عشر وهي عدد حروف الآية القرآنية المفتتح فيها القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم ».

ثم يقول في ص ١٢ ما نصه : « إذن فالرقم تسعة عشر ليس هو عدد زبانية جهنم كما كنا نعتقد وكما فسر العلماء القدماء .. هذا ما يظهر في القرآن الكريم من تفسير للرقم (تسعة عشر) ومن الدلائل التي تؤيد هذا التفسير بأن رقم (التسعة عشر) الذي ذكر في القرآن الكريم يقصد به الله سبحانه وتعالى عدد حروف البسملة ما يأتي ..» انتهى .

قصدنا ذكر عباراته بألفاظها ليعلم القارىء أن استدلاله على ما انتهى إليه من إنكار ملائكة على جهنم لا يعتبر عند العقلاء استدلالا بكل مقاييس الاستدلال بل هو شطحة هوى جامح .

ونلاحظ قبل مناقشته الحساب على هذه العبارات أمورا :

١ ـ أوهم القارىء العادي أن الله لم يقطع في القرآن بأن على جهنم تسعة عشر ملكا ، وأن ذلك كان قول واجماع المفسرين القدامى ، فهو في حل من مخالفتهم الرأي لأن عنده من علم الكمبيوتر ما لم يكن عند علماء التفسير القدامى .

٢ ـ استفظع تعذيب الله بنار جهنم من جحدوا القرآن وقالوا إنه من صنع البشر لا من صنع الله ، فهؤلاء عنده لا يستحقون مكانا فيه سعير وشواظ ولهيب وإنما يستحقون مكانا معلقة عليه حروف الرحمة !!

٣ ـ من الواضح أنه لم يستعمل الكمبيوتر في عدّ آيات سورة العلق ولا في عد حروف البسملة ولا في معرفة كون الفاتحة نزلت بأكملها والبسملة آية منها بعد آية « عليها تسعة عشر » الواردة في سورة المدثر .

ولتفنيد هذا الهراء والرد عليه نقول وبالله التوفيق :ـ

أولا : على فرض صحة نزول الفاتحة بعد آية « عليها تسعة عشر » من سورة المدثر وعلى فرض أن البسملة آية من الفاتحة (وهو موضع خلاف) وعلى فرض أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا مع كونها عشرين حرفا بإثبات ألف الرحمن نطقا . نقول على فرض ذلك كله فليس مفاد ذلك ومؤداه أن عدد تسعة عشر يعني به الله حروف البسملة فسياق الآيات يستعصي تماما على أن يؤدي الى هذا الهراء . نقول : « ان حروف البسملة وان كانت تسعة عشر حرفا حسب عد بعضهم ومع كون ملائكة جهنم تسعة عشر ملكا فليس معنى ذلك أن زبانية جهنم هم حروف البسملة لمجرد التشابه في العدد ، فالتسعة عشر رجلا ليسوا هم النساء البالغ عددهن تسع عشرة امرأة لمجرد التوافق في العدد ، وليس البرتقال البالغ عشرين برتقالة هو الباذنجان

البالغ عشرين باذنجانة لمجرد التساوي في العدد ، ومن يقول ذلك فهو ذاهب العقل عديم الإدراك ».

هذا ويمكننا أن نقرر بديهة عقلية لا يتعلق بها شك هي أنه لا ارتباط في المعنى بين جملة وأخرى اذا اقتصر التشابه بينهما على أن عدد حروف الأولى يساوي عدد حروف الثانية فمجرد هذا التوافق في العدد لا يخلق ارتباطا بين الجملتين من حيث المعنى ولا تكمل احداهما الأخرى لمجرد هذا التوافق العددي ولا تفسرها ولا ترتبط بها بأي رباط ان لم يكن ثمة ما يوجب هذا الارتباط نابعا من المعاني . كما أن الروابط بين المعاني لا تتوقف على طول الجمل التي تحمل هذه المعاني ولا على قصرها ، وهذه الروابط لا يمكن استنباطها من مجرد تشابه في عدد الحروف أو عدد الكلمات أو حتى من تشابه في بعض الكلمات المشتركة بين الجملتين .

والمسلم الذي يتمتع بعقل طبيعي لا يقبل أن يكون أي رقم ولو كان الرقم « ١٩ » هاديا له في فهم كتاب رب العالمين والمرشد الى تفسيره وتأويله .

وربما كان من التبسط في الحديث أن نضرب مثلا بجملتين هازلتين نرطب بهما أعصاب القارىء الكريم :

١ ـ الفأر أكل خروفا وقطتين

٢ ـ الحصان انسان عاقل متزن .

فهاتان الجملتان تضم كل منهما تسعة عشر حرفا ، وهذا التوافق لم يجعل بينهما أي ارتباط . واذا انتقلنا من ضرب المثل بالهذر من القول الى المثل بالحق من القول وأوردنا جملتين أخريين جادتين هما :

١ ـ التسعة عشر زبانية جهنم .

٢ ـ الجنة حق والنار كذلك حق .

نرى أن كلا من الجملتين تتكون من تسعة عشر حرفا ، وهذا التوافق لم ينشىء بينهما أي ارتباط في المعنى ولا يتوقف فهم أحداهما على فهم الأخرى وكل جملة من الجمل الأربعة لا يصلها بأخواتها من حيث الأدراك والمفهوم هذا التوافق في عدد الحروف .

ثانيا : وربما نفى احدهم اتخاذه من التوافق والتشابه في العدد دليلا على الزعم الذي سجله وهو انكار ملائكة النار ، ورب قائل ان الدليل عنده هو ترتيب نزول الآيات فإن البسملة التي هي أول آية في الفاتحة والتي هي تسعة عشر حرفا نزلت مباشرة بعد آية « عليها تسعة عشر » التي في سورة المدثر .

وللرد على هذا التلبيس الذي هو من همزات إبليس نقرر أن نزول آية بعد آية لا عبرة له في الربط بينهما وأن العبرة في ذلك بترتيب ورودهما بالمصحف .

وبيان ذلك أن الآيات كانت تنزل بمناسبة حوادث معينة أو إجابة عن

أسئلة موجهة الى الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤمر الرسول الكريم بوضعها في سورة معينة ويحدد له جبريل عليه السلام موضعها في هذه السورة أي بعد آية كذا وقبل آية كذا فترتيب الآيات في المصحف كان بأمر من الله وليس من فعل الرسول ، وترتيب الآيات بالمصحف يغاير ترتيبها من حيث نزولها ، فكأن الله يقول لنا بأوضح بيان لا اعتبار في فهم القرآن واستنباط الأحكام وفي تفسيره لترتيب النزول إنما الاعتبار لترتيب المصحف .

فجبريل عليه السلام كان ينزل بمقاطع من القرآن على فترات وبين الفينة والفينة ولا يؤلف بين هذه المقاطع لا عامل السبق ولا عامل اللحوق ، اي أن الآيات لم تكن تنزل حسب ترتيبها عند الله في اللوح المحفوظ ولا حسب ما يراد لها من ترتيب في المصحف بل حسب الدواعي الظاهرة للبشر والدواعي الخفية عن البشر التي هي في علم الله وحده .

فاذا كان الله لم يأمر بترتيب الآيات في المصحف حسب نزولها وأمر بترتيب آخر هو الموجود الآن في المصحف فإن أمر الله هو الأولى بالاتباع ، ومخالفة الله عن أمره في هذا الخصوص عبث أطفال يجب تنزيه المسلم عنه .

وما يقال في الآيات يقال في السور فإن نزول سورة بعد سورة لا علاقة له على الأطلاق بتفسير السورة اللاحقة لمعاني أو مراد السورة السابقة والأمثلة كثيرة بعدد سور القرآن : فسورة الفلق نزلت بعد سورة الفيل وهي لا تفسرها ولا جامع بينهما . وسورة الإخلاص نزلت بعد سورة الناس وهي لا تتصل بها ولا يرتبطان بجامع مشترك بينهما . وسورة الكوثر نزلت بعد سورة العاديات ، وشتان بينهما ، وسورة القدر نزلت بعد سورة عبس ولا اشتراك بينهما في شيء وسورة القارعة نزلت بعد سورة قريش وهي لا تمت لها بصلة ولا تفسرها .

وننبه الى أن تفسير القرآن لا يكون بالهوى ولا بالتخمين .

ثالثا : لم يرد في القرآن كله ما يفيد أن جهنم عليها تسعة عشر حرفا هي حروف البسملة ولم يرد في أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين للقرآن ما يشير من قريب أو من بعيد الى هذا الهراء . فهل ضن علينا رب العالمين وضن على سيد المرسلين بما فتح به على أبليس ـ كما صرح احدهم في احدى المجلات المصرية ونقلت عنها جريدة كويتية ـ فقال ان ابليس هو الذي اكتشف في القرآن إعجاز العدد « ١٩ » وخص به أولياءه وصرف الآخرين أمثالنا عن إدراك عظمة هذا السر المكنون !! ولا حول ولا قوة الا بالله وتعالى عما يصفون .

رابعا : بل الذي ورد في القرآن صريح وقاطع في كون التسعة عشر هي عدة أصحاب النار .

وقد ورد هذا القطع الجازم في آية لاحقة لآية « عليها تسعة عشر » مباشرة هي آية « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ».

وبأعمال القاعدة المنطقية والشرعية في تفسير القرآن بمراعاة ترتيب المصحف لا ترتيب النزول يكون أصحاب النار الذين هم ليسوا إلا ملائكة هم المحددين عددا بتسعة عشر .

وفي التأكيد أنهم ملائكة ذوات أرواح وليسوا حروفا ونقوشا وصفهم الله بالحياة حين وصفهم بالغلظة والشدة وأنهم لا يخالفون الله عن امره وأنهم يفعلون ما يؤمرون ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » سورة التحريم .

ورب قائل - إن الله قادر على أن يأمر الحروف فتدب فيها الحياة ثم يأمرها فتطيع فتصير غليظة شديدة على أهل جهنم ، ونقول جوابا :

١ - أما وقد أصبحت هذه الحروف ذات حياة وأصبحت غليظة شديدة فلماذا لا نسميها بتسمية الله إياها ، لماذا لا نسميها ملائكة .

٢ - هذا ، وما الحكمة - على الفرض السابق - في كون الله يخلق حروفا ابتداء ثم يجعلهم ملائكة انتهاء ، أليس بقادر على أن يخلقهم ملائكة ابتداء دون اللجوء الى التصيير والتحويل .

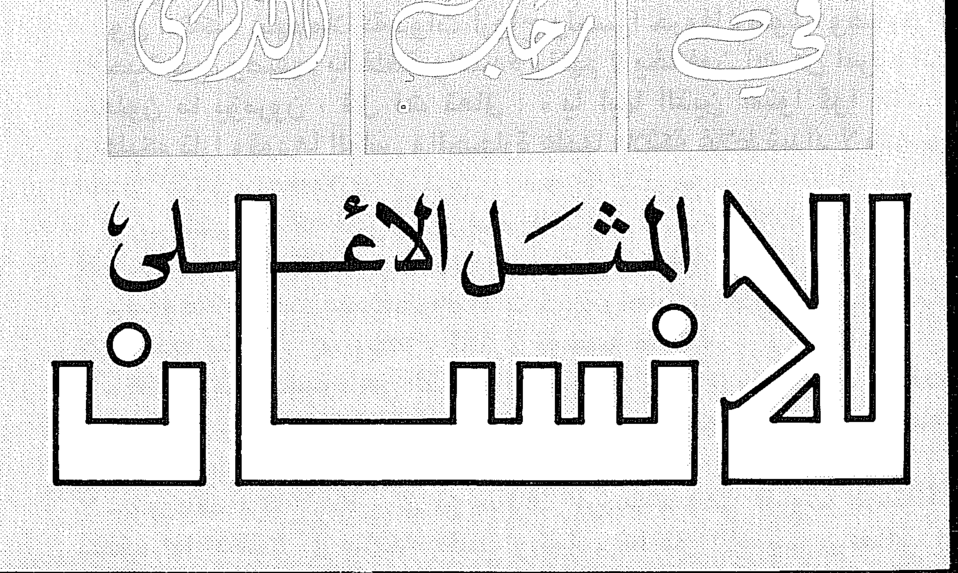
٣ - ثم كيف يرتاح عاقل الى أن حروف الرحمة - وهي حروف البسملة - تنقلب اذا انقلبت الى ملائكة غضب ونقمة ، أما كان الأنسب ان تنقلب الى ملائكة رضوان ورحمة .

ألا فإن لله رحمة ، ومجالي لهذه الرحمة ، هي الجنات بدرجاتها ، ومن خبل المأفونين أن يظنوا أن على هذه المجالي تعلق شعارات الغضب والنقمة ، كما أن لله غضبا ونقمة ومجالي لهما هي السعير وطبقاته ومن خبل المأفونين أن يظنوا أن على هذه المجالي تعلق شعارات الرحمة والرضوان .

فإن كانوا يسخرون من نار الله كما سخر منها قبلهم كفار قريش ومن بعدهم كثيرون من طوائف الباطنية ، أو كانوا يريدون أن يستهزئوا بها وبزبانيتها كما فعل المغيرة وأبو جهل وغيرهما من قادة الكفر والظلمة ، فإن الله يسخر منه ومنهم ويستهزىء به وبهم .

وهكذا فإن ارتياب الكافرين أيام الرسول كما هو ظاهر النصوص كان متعلقا بعدد حراس النار وماهيتهم كما كان متعلقا قبل ذلك بكون القرآن ليس من عند الله وأنه سحر أو هو من قول البشر . وها هم خلف يبذرون بذور الشك والارتياب في نفوس المسلمين متخذين من الرقم الجهنمي وهو شعار البهائية التي تنكر النار هاديا لهم ، وقد صدق الله إذ قال : « وما جعلنا عدتهم (العدد ١٩) إلا فتنة للذين كفروا ».

اللهم إهد الضال منا وحصن المسلمين من الجنوح وارزقنا اجمعين صدق الايمان بك وبغيبك المكنون الذي كشفت لنا عن بعضه تبشيرا وإنذارا واجعلنا دعاة صدق وحق ولا تجعلنا ادعياء ضلال وباطل .



المثل الأعلى للإنسان

للاستاذ/ محمد الخضري عبدالحميد

عاش النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا أعلى لكل بني البشر ، من شتى الملل والنحل .. في الزهد والقناعة ، في الجود والكرم ، جميعا .. عاش راضيا هانئا بما قسم الله له .. فقيرا يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويمشي في الأسواق .. وحتى في الوقت الذي كانت تتدفق فيه إلى رحابه الشريف النزيه : غنائم الحروب .. لا تهتز قواعد دستوره القويم مقدار شعرة .. وإن (عائشة) أم المؤمنين رضوان الله عليها ، لتقول :

ـ « ما شبع ال محمد من خبز الشعير يومين متتاليين ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري ومسلم .

بل إنها ، رضي الله عنها ، عندما خاطبت عروة بن الزبير ، وهو ابن اختها اسماء ذات النطاقين ، قالت :

ـ « والله يابن اختي .. إنا كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال .. ثلاثة أهلة في شهرين .. وما أوقد في أبيات رسول الله عليه الصلاة والسلام : نار »! رواه البخاري ومسلم .

في كل زمان ومكان

أي أن شهرين قمريين ، كانـا يمران على زوجات الرسول ـ وهو الذي (لو) شاء لأمسى أغنى ملوك العالم قاطبة ، بغير أن ينقص ذلك من شاهق مكانته .

ـ دون ان يوقد في أبياتهن نار لطهو طعام دسم ، يستلزم إنضاجه : إيقاد النار ..!! ومتى هذا ؟! في الوقت الذي هو فيه قادر على أن يثرى ، لو أن الثراء كان من بين أهدافه . لكنها العفة وشرف النفس ونقاء الجبلة وجلال الرسالة ، وروعة الاستمساك بالمبدأ .

وفي بيت ابنته (فاطمة) ـ رضي الله عنها ـ يتلفت النبي من حوله .. فإذا إبنته مرتدية كساء خشنـا ، منسـوجا من وبـر الابل ، تطحن بالرحا .. ولا يروعه منظرها في شيء . حقا أنه قادر على أن يجعلها ترفل في أبهى الثياب ، وتختال بين أترابها بأثمن وأندر الحلى ، (لو) تخلى قليلا عن صموده ؛ وتمسكه الدقيق بحرفية نهجه ودستوره .. ثم هو لا يجزع حينما تشكو إليه ـ رغم ما ترسف فيه من فاقة مادية ـ أنها : « مالها طعام تأكله » ! إنه لا يزيد على أن يقول لها برفق وحنو :

ـ « تجرعي يافاطمة مرارة الدنيا .. لنعيم الآخرة » .

وعن (عائشة) رضي الله عنها .. « ما رفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قط غداء لعشاء .. ولا عشاء لغداء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ، ولا قميصين ولا رداءين ، ولا إزارين ولا زوجين من النعال » .. وقولها كذلك : « توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وليس عندي شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير في رق لي » رواه البخاري ومسلم والترمذي .

أنعم به من زهد .. وأكرم بها من قناعة .

أنعم وأكرم بهذا كله من (أسلوب حياة) ، يضع (العقيدة) وحدها : فوق كل متطلبات العيش والمعايشة .. وأعظم بها من مدرسة تنجب في الزهد (إماما) مثـل (علي) كـرم الله وجهه .. يقف في السوق عارضا للبيع سيفه ، وهو يقول : « من يشتري هذا

السيف مني .. فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته » ؟!

وبالقياس إلى ذلك الزهد ، وإلى تلك القناعة والبساطة .. كان النبي في الكرم في مثل هذه الحال : أكبر من وزنه حقا ، وأروع دلالة فعلا على ماهية السجية .

روى أبو ذر الغفاري ، رضوان الله عليه ، فقال : كنت أمش مع النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، في حرة المدينة فاستقبلنا احدا .. فقال عليه الصلاة والسلام : ياأبا ذر . قلت لبيك يارسول الله . قال : ما يسرني ان عندي لي مثل أحد ذهبا تمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ثم سار فقال : إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه وقليل ما هم ، ثم قال لي : مكانك لا تبرح حتى آتيك » رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

أي جود .. وأي كرم .. قياسا إلى واقع يضج تواضعا وبساطة .. وإزاء (إمكانات) متاحة ، ومغريات رهينة بايماءة من أصبع .. لو شاءها أو بعضها لكان الذهب في حوزة (محمد) أقل المعادن قيمة وأهونها شأنا ، وسط ما يموج لديه من أنفس وأندر الجواهر ، وأشهى وأفخم الأطعمة .. لكنه أراد أن يكون وحسب : (المثل الأعلى) للبشرية جمعاء ، على ما ينبغي أن تكون عليه قوة الخلق ، ومتانة العزم ، أمام كافة البهارج والمشهيات الدنيوية .. بهذا يتحقق التوافق التام بين (طبيعة التعاليم) و : (واقعية السلوك) .

جاء إلى المصطفى رجل بأربع أواق ، وقال :

- « يارسول الله . إن هذه صدقة » .. وكان الرسول قد أجلس ثلاثة رجال جاءوا يسألونه وقال لهم : سيرزقكم الله .. فدعا رسول الله : أول الرجال الثلاثة فأعطاه أوقية ، وكذلك فعل مع الثاني ، ثم الثالث .. وبقيت مع رسول الله أوقية واحدة ، فعرض بها للقوم فما قام أحد .. فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة ، فجعل لا تأخذه عينه ، ولا يطعم النوم جفنه ، فيرجع فيصلي ، فقالت له عائشة : يارسول الله هل بك شيء ؟ قال : لا . قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال : لا . قالت : إنك صنعت هذه الليلة شيئا لم تكن تفعله .. فأخرجها من تحت وسادته وهو يقول :

- هذه ، هي التي فعلت بي ما ترين . إني خشيت أن يحدث أمر الله ولم أمضها » .

وفي الشجاعة هو : رائد القوة ، وعلم الشجاعة

ما أشجع (محمد) العظيم ، وما أقوى بأسه ، وما أروع بدائع بطولته الرائدة الفريدة ، الباقية ناصعة

مضيئة إلى الأبد .. لم يك مطالبا أن يفعل شيئا من ذلك الهائل الكثير الذي يتطوع لأن يعمله بيديه ، غير راض لنفسه أن يمنح نفسه أية ميزة عن أقل فرد في معسكره . يحتطب ليسهم بينهم في إنضاج طعامهم . يحفر الرجل من الرجال فيعثر على صخرة ضخمة ، ولكي لا يعوق العمل الدءوب الشاق أي عائق ، يهب (محمد) للصخرة ، يهوى عليها بقوته كلها حتى ليتطاير الشرر منها ..

لكم كان سيد الأنام عظيما في قوته ، منذ أشرق على آفاق الكون سنا نوره .. وما كانت تلك القوة والشجاعة شيئا مكتسبا بمران خاص ، أو مستحدثا لمقتضى أحوال معينة .. وإنما هي الجبلة الرفيعة ، والفطرة الثرية السوية ، التي مثلما تجود بالبر ، والحنان ، والود ، والعطف .. فإنها - في ميادين القوة - تسخو في الجود بعطائها المعجز ، المميز ، الفريد .. وكثيرة هي الشواهد المأثورة المبكرة ذات الدلالة .. وهل ينسى إقدامه الجسور على فحل من الابل ، جمح واستشرى خطره ، حتى لقد صار وحشيا يفزع الكبار .. وإذا بـ (محمد) الشجاع في صباه الباكر ، يفعل ما لم يفعله حتى الشجعان الكبار .. يقتحم عليه حلبته ، ويشده بجذبة قاهرة إليه ، فيخضعه ويكبح جماحه ، ولا يدعه إلا بعد أن يذعن أمامه ، ويسلس له قياده ..

إنه (محمد) علم البسالة ، وعنوان الشجاعة ، وقدوة الأقوياء ، والمثل الأعلى والأسمى لذوى البأس وذوى العزة والاباء ..

تكاتف المشركون ضده ، وهم آنذاك قوة رهيبة ، وطاقة ضخمة مضادة يجب أن يعمل لعنف خطرها الحساب .. لكنه لم يكن يعبأ بجهودهم الدائبة في التكتل والتكالب على محاولة إطفاء شعاعات النور الجديد ، التي راح ينشرها بعزم ومضاء .. ويفاجأ الأعداء والمناوئون بأن يروه ، هو بذاته ، يقتحم - وحده - مجلس القوم في مكة ، ليس إلى جواره أي واحد من رجاله .. ويذهل المتآمرون إذ يفاجأون به بينهم هكذا .. واقفا بنفسه على رؤوسهم .. ويرتج على زعيم الطغمة الشريرة - ابي جهل - فلا يتمالك أن يلجأ إلى المراوغة والمداهنة .. يقول : « يامحمد .. ما كنت جهولا » ! .. إنه يبغي أن يعجم عود (محمد) ، لعله أن يعتذر إليه بقول لين ، أو قد يوضح للجالسين الذين يرسمون ويخططون ، أن أبا جهل ليس من (السفهاء الجهلاء) الذين يعنيهم محمد بذلك الوصف .. ربما يلين (محمد) وهو بينهم فينفي عن كبير القوم تلك الصفة السيئة .. لكن محمدا يجيبه على مسمع ومرآى من الملأ ، وبجلاء ووضوح ورأسه الكريم شامخ مرفوع :

- « ياأبا جهل .. أنت منهم » !

إنها القوة الواعية ، الواثقة .. قوة الايمان برسالة سامية عظمى ، جاءت لخير الانسان في كل مكان ، دائما وعلى مر الزمان .

الإطلالة

وافى الربيع فيا بلابل غردي
فالارض نشوى والقلوب ظماء
ولد الحبيب فيا ملائك هللي
فالكون لحن والزمان غناء
واطل فجر محمد فأضاءت الـ
دنيا وتاهت بالهدى الجوزاء
وتبددت سحب الضلالة والهوى
بمحمد وانجابت الظلماء
فاذا الملائك فرحة واذا العوا
لم بهجة ومحبة وإخاء
ونبينا فخر العوالم كلها
هو للقلوب وللعيون ضياء
من جاءنا بالنور بعد ضلالة
والناس في دنيا العماء سواء
بيديه للدنيا كتاب خالد
ومع الكتاب شريعة سمحاء
شهدت له البلغاء في إعجازه
وتبارت الأدباء والشعراء



للاستاذ / ضياء الدين الصابوني

وتطامنت هام الملوك وطأطأت
لبيانه العلماء والحكماء

وعجائب القرآن في طول المدى
لا تنقضي وجديده وضاء

آياته حكم وهدي بيانه
السحر الحلال ومالها نظراء

هو رحمة وسكينة وهداية
هو للقلوب الموجعات شفاء

من حرر الافكار من اوهامها
فأزيح عنها البغض والشحناء

وهدى القَلوب فكان اعظم مصلح
دع عنك ما يتقول السفهاء

لك يا محمد معجزات جمة
وأجلها القرآن والاسراء

يا ليت شعري من يفي بمديحه ؟
والكائنات لسانهن ثناء

عقم الزمان أن يجيء بمثله
أو أن يفي بمديحه البلغاء
ذو المعجزات الباهرات وكلها
صدق وليس لعدها احصاء
الجذع حن وظللته غمامة
ولقد تفجر من يديه الماء
وشكت اليه الشاه من ألم بها
مسح الحبيب فزال عنها الداء
يا يوم ميلاد الرسول تحية
الشعر فيها روضة غناء
انا قد اتيتك مادحاً ومفاخراً
للمادحين شفاعة ورجاء
تتطاول العظماء في تكريمه
وببابه تتصاغر العظماء
حزت الفضائل والمكارم والعلا
وتزينها أخلاقك السمحاء
فإذا طلعت فأي بدر ساطع
واذا سفرت فلا تبين ذكاء
واذا بذلت فأنت اكرم باذل
واذا نطقت فللقلوب غذاء
واذا عفوت فأنت اكرم من عفا
يا أهل مكة (أنتم الطلقاء)
علمتنا الاحسان يا ذا الجود والاحسا
ن منك الفضل والآلاء
يا ماسحاً دمع اليتيم ومالك الـ
قلب الرحيم ، وللعفاة رجاء
كن لي شفيعاً يوم أبعث خائفاً
لي في مديحك بردة حسناء
ورجاؤنا فخر الوجود محمد
عين الكمال ونوره الوضاء
ألهمتني غرر البيان بمدحه
والله يعطي الفضل كيف يشاء
صلى المليك على الحبيب محمد
ما حن قُمريّ وطاب ثناء



الحب عاطفة تحمل نفس المحب على الميل لمن يحب ولما يحب ، والانجذاب اليه والارتياح لمشاهدته إن كان يشاهد ، أو لخطورة في الذهن إن كان معنى من المعاني

والحب يبدأ ميلا ، ولكنه ينطوي على فضائل ، وتتولد منه عواطف نبيلة كالايثار والتضحية في سبيله .

ومحبوبات الانسان كثيرة ، على رأسها حب الله تعالى ، وحب رسوله الكريم ثم حب الوالدين والابناء والاقارب والزوجة والاصدقاء ، وابطال التاريخ والعلم والكشف ، ثم حب الوطن وحب العمل ، ثم المشتهيات من الاموال ممثلة في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والانعام والحرث ، ثم طول العمر مع الصحة وحب الجمال في جميع مخلوقات الله ..

وغير معقول أن يكون حب كل هذه الانواع والمحبوبات على وتيرة واحدة ، وانما الحب في نظري يشبه مادة السكر ، يضاف الى عصير البرتقال فيكون شراب برتقال ، والى عصير المانجو فيكون شراب مانجو .. وهكذا ، وذلك يحتم أن يضاف الى حب الشيء ما يميزه عن حب غيره من صفات تليق به . فحب الله تعالى إجلال وإعظام ورهبة ، وحب الوالدين بر ، وحب الابناء عطف وحنان ، وحب الزوجة مودة ورحمة ، وحب الاصدقاء وفاء ، وحب المال حرص ..

وحب الله تعالى يأتي على رأس قائمة المحبوبات ولكنه حب يمتزج **بالإجلال والإعظام والخشية والرهبة** ، نحبه لنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، والتي ابتدأنا بها ، وينوه عن

بعضها خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين يقول المولى جل وعلا على لسانه : (**الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**) الشعراء/ ٧٨ ـ ٨٢ ، فأول نعمة الهداية الى الايمان ثم سائر النعم ، كما أن سورة النحل تفيض بنعم الله علينا ، سواء على جسمنا المادي أو الروحي ، فمن حيث الروح يحييها الله بالدين تتنزل به الملائكة على من اصطفاهم من خلقه ليكونوا رسلا لسائر البشر ، ينقذوا به من الظلمات ، والنور رحمة بهم حتى لا يضلوا ويكون مآلهم النار .

ومن حيث الجسم المادي المخلوق من نطفة ينعم الله عليه بنعمة الحيوان : الانعام للحومها والبانها وشعرها ووبرها ودواب الركوب للحمل والاسفار ، والانسان هو الحيوان الوحيد الذي امتن الله عليه بنعمة الركوب والحمل في البر والبحر . وما عداه يمشي على بطنه أو رجليه أو اربع وينعم عليه بنعمة النبات ، والله تعالى يتولى توفير الماء العذب للانسان من التبخير والتكثيف والتبريد والمطر ، ليشرب البشر وسائر الحيوان ، والنبات يجود بمختلف الاثمار ، فأسهل الاشياء من الحرث والبذر والري يعمله البشر وأصعب الاشياء من تكوين الماء العذب وفلق الحب والنوى يصنعه القدر ، وتتابع السورة سرد نعم الله على البشر من الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ومن البحر السمك والحلى وجريان الفلك ومن جعل الجبال اوتادا حتى لا تميد الارض ، وعلامات يهتدي بها الانسان في البر ، كما يهتدي بالنجوم في البر والبحر ، وتذكر السورة ما من الله به على الانسان من عسل النحل الذي فيه الشفاء للناس ، والالبان التي يفرزها لنا من بين الفرث والدم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

ثم نعمة الأسرة والأولاد والأحفاد ، ثم نعمة السكن والايواء والكساء والدروع التي تقي الانسان بأسه رحمة به ، وفي معرض سرد النعم تقول الأية الكريمة :(**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم**) النحل/ ١٨ ، ومع ذلك فان كثيرا من البشر يجحد نعم الله التي أسبغها عليهم ظاهرة وباطنة :(**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون**) النحل/ ٨٣ ، وصدق الله العظيم حيث يقول :(**إن الانسان لربه لكنود . وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد**) العاديات /٦ـ٨

والله يُحبُ ليس فقط لجلائل نعمه ، وإنما لأنه يقدر ضعف الانسان ، وانه لا محالة سيخطىء ، فيفتح له من رحمته أبواب التوبة من الذنوب ، وقد وعد الله تعالى من تاب بمغفرة ذنوبه مهما عظمت ، شريطة أن تكون التوبة نصوحا صدقا لا رجوع بعدها للذنب ، وأن تكون قبل الاحتضار في صحة الانسان ، مع

الندم والشعور بالتقصير في جانب الغفور الرحيم .

ويقول المولى ذلك في عدة آيات في كتابة الكريم منها :(**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)** الزمر/ ٥٣ ويقول :(**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)** آل عمران/ ١٣٥ و ١٣٦

والله رحيم بالناس أبلغ رحمة مالم يسيئوا ويصروا على الاساءة والذنوب والمعاصي والكفر .. انه عندئذ يكون شديد العقاب .

وهو يعجل للناس بعض العقوبات اليسيرة في الدنيا انذارا وتخويفا وردا للعقول الى صوابها والاسراع في العودة الى الله ، فاذا لم يتعظوا لم يبق لهم عذر في العذاب الاخروى الشديد .

ولما كان الله قد استأثر بعلم الغيب ، ولا يعرف إنسان ما خبأه له القدر وما له عند الله وهل هو مقبول وناج أو مرفوض هالك ؟ فان المؤمن يجب أن يكون على حذر وخشية ورهبة ، ولذلك قلنا إن حب الله يجب أن يكون إجلالا مع الشعور بالرهبة والخشية . والله يطلب منا ذلك حيث يقول :(**وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون)** النحل/ ٥١ . وفي وصف عباده المؤمنين :(**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون)** المعارج/ ٢٧ و ٢٨ ، ويقول :(**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)** الانفال/ ٢ ولهذه الخشية التي تصاحب الحب أجر كبير عند الله فهو يقول :(**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)** الملك/ ١٢ ، ويقول : (**فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين)** القصص/ ٦٧

وعجيب بعد هذا أن يقول بعض الناس انهم يعبدون الله محبة فقط ، دون خوف من ناره ودون رغبة في جنته ! وهم بذلك يحكمون على أنفسهم بعدم العلم ، حيث يقول الله تعالى :(**إنما يخشى الله من عباده العلماء)** فاطر/ ٢٨ ، والله تعالى يصف المؤمن ويحصر الايمان في قوم يقول عنهم :(**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذ ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون)** السجدة/ ١٥ و ١٦

فالخوف من النار ، والطمع في الجنة ، وهكذا يتبين زيف العبادة التي تخلو من الخوف والطمع ، والواقع ان العبادة مزيج من الحب والرجاء والخوف والطمع والذكر والشكر والعمل الصالح : برا بالوالدين وصلة

للارحام ، وإيتاء ذوى القربى واليتامى والمساكين حقوقهم ، والاسهام في الانتاج والاعمار للوطن الاسلامي ، وحماية هذا الانتاج بالقوة الحربية الرادعة والذين لا يفهمون العبادة على هذا النحو يقصرون في جانب الاسلام .

هذا وحب الله تعالى يستلزم حب ما يحبه الله ، وهو بعد الايمان به **حب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم** واتباع كل ما جاء به . يقول الله تعالى :(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)** آل عمران/ ٣١ . وهذا يبين بكل وضوح أن حب الله ليس حبا كلاميا وإنما هو باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، ولقد جاء بالقرآن الكريم المنزل من ربّ العالمين فيه الايمان الكامل بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر ، وفيه العمل الصالح بالعبادات والمعاملات والصبر والجهاد بانواعهما ، والضرب في الارض ابتغاء فضل الله وهو الانتاج وحراسة الانتاج ..

ويستلزم من كل مؤمن ان يتصف بصفات من يحبهم الله من المؤمنين كما في قوله تعالى :(**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)** المائدة/ ٥٤

ان هذه الآية وحدها تحتاج لوقفة من كل مسلم ليعلم اين هو من **هؤلاء الاقوام** ؟ والذلة على المؤمنين **هي ذلة** الرحمة لهم والاحسان اليهم والعمل على جلب المصالح لهم ودفع **الضرر** عنهم ، وهي كالذلة التي **عناها الله** عندما قال في حق الوالدين :(**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا)** الأسراء/ ٢٤ . **استعارة** من رحمة الطائر الذي يكون في جو السماء فإذا أدرك عش أفراخه نزل من عليائه وبسط لهم أجنحته وحنا عليهم حنو المرضعات على الفطيم ، فأطعمهم وسقاهم وحماهم ودافع عنهم . هذه هي الذلة المطلوبة نحو المؤمنين ، وكلمة المؤمنين تشمل كل مؤمن أيا كانت جنسيته وأيا كان لونه ، فالايمان لحمة الاخوة :(**إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/ ١٠

والعزة على الكافرين تقتضي التفوق عليهم في العلم والاقتصاد والسلاح الرادع المدافع لا المهاجم ولا المعتدي بحيث يكون المسلمون مثلا عليا في كل النواحي ، ودعاية طيبة عملية للاسلام ..

ونظرة للعالم الاسلامي هذه الايام توضح مدى الفرق الشاسع بين من يحبهم الله ويحبونه وبيننا ، لقد عرضنا أجلّ نعمة انعم الله بها علينا بعد الايمان ، وهي نعمة الالفة والمحبة والاخوة بين المسلمين ، وهي النعمة التي امتن الله بها علينا في قوله :(**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم إعداءً فألّف بين قلوبكم**

فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران/ ١٠٣

ويقول :(**وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** الانفال / ٦٣

اقول لقد عرّضنا هذه النعمة للضياع وصرنا شيعا وأحزابا وكل حزب بما لديهم فرحون ، والله برىء هو ورسوله ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا تحت أسماء ومسميات ما أنزل الله بها ، وقد افترقنا على أكثر من سبعين فرقة مع أن الله يريدنا جمعا واحدا لنا اسم واحد .

ان المسلمين في الاسلام كما قال الله تعالى عنهم :(**والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)** التوبة/ ١٠٠

فهم سابقون : مهاجرين وانصارا ، وتابعون لهم باحسان . ونحن لسنا من السابقين وإنما نحن من التابعين ونرجوا أن نكون باحسان ، والتابعون باحسان يقولون ما جاء في القرآن الكريم :(**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)** الحشر/ ١٠ . ولكننا بدل أن ندعو لهم جميعا بالمغفرة فهم الآن بين يدي الله يتولى حسابهم ويطلب منا الاستغفار لهم ، يجب أن ننبذ خلافاتنا والا نتعدى ونتصادم ونتقاتل ونغفل عن العدو الحقيقي الواقف لنا بالمرصاد ينتهز فرصة غفلة منا ليميل علينا ميلة واحدة ، مع أن الله تعالى أمرنا أن نأخذ حذرنا ولكننا فرطنا فعوقبنا ولم نأخذ عظة من الدرس القرآني للمسلمين في مثل هذا ، فانه عند مادس اليهود بين الاوس والخزرج من يذكرهم بالحروب التي كانت بينهم ، أهاجم وحرك الاحقاد القديمة وتواعدوا على القتال ، ولكن الرسول الكريم تدارك الأمر بحكمته ونزل في ذلك قوله الله تعالى :(**يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدىَ الى صراط مستقيم)** آل عمران/ ١٠٠ و١٠١

ولم يكن كفرهم الا تلاقيهم بالسيف بعد أن جمع الله قلوبهم بالايمان ولقد أحس الفريقان أنهما أجرما باستعادة الخلافات القديمة ، وعادوا للوفاق والعناق ..

وكان حقا علينا أن نعتبر بذلك فلا نسمح باجترار الماضي ، وإعادة الخلافات جذعه وان نكتفي بالوصف الجامع المانع وهو وصف الله لنا **بالتابعين بإحسان** حتى يرضى عنا .

وإذا تتبعنا من يحبهم الله تعالى ، وذكرهم في القرآن الكريم وجدنا الكثير فهو يحب التوابين ويحب المتطهرين ، ويحب المحسنين ويحب الصابرين ويحب المتوكلين ، ويحب المقسطين ،

والأذلة على المؤمنين والأعزة على الكافرين ..

وإذا تتبعنا من لا يحبهم الله وجدناه لا يحب الكافرين : والظالمين والمسرفين وكل مختال فخور ومن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ومن يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، والمفسدين والمعتدين والمستكبرين والفرحين ..

ولو سردنا الآيات التي أوضحت من يحبهم الله ومن لا يحبهم لطال المقام ، وكل تال للقرآن الكريم يمر عليه ذكر ذلك ، ويعلم ان عليه ان يتوب ويتطهر من الذنوب ، ويحسن العمل ويحسن الى الناس ، ويصبر في مواطن الصبر وهي البأساء والضراء وحين البأس ، وإذا عزم توكل على الله فالتوكل يأتي بعد تمحيص الموقف ولو إحتاج الى استشارة حتى لا يندم عند التسرع ، وعليه عند الحكم على الناس أن يقسط في الحكم ، وعليه الا يكون مختالا فخورا ولا خوانا أثيما وقد وصف الله تعالى المختال الفخور بأنه بخيل ويأمر الناس بالبخل ، ويكتم ما آتاه الناس من فضله ، وإذ أنفق فرياء للناس وعدم إيمان . ووصف الخوان الاثيم بأنه يستخفي من الذنب عن الناس ولا يستخفي من الله ، والله معه ومحيط بعمله ، وهذه وأمثالها مكارم أخلاق لا ينبغي للمؤمن إلا أن يتصف بها وعليه أن يكره الكفر كما يكره أن يقذف في النار ومثل الكفر الفسوق والعصيان .

وأشد أنواع الكفر الاشراك بالله ، فهو الظلم العظيم ، وهو الذي لا يقبل فيه صرفا ولا عدلا ونص ذلك في القرآن الكريم حيث يقول :(**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما**) النساء/ ٤٨

والمسرفون على أنفسهم أنواع : منهم المسرف في الظلم والعلو كفرعون ، الذي كان عاليا من المسرفين وقسم الامة شيعا ، واستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم .
ومنهم المسرف في المعاصي والمسرف في الطعام والشراب ، والمسرف في صرف المال في الملاهى والمحرمات .
والمفسدون أنواع ، منهم المستأثر بالخير الذي يحرم الناس حقوقهم في هذا الخير كقارون ، ومنهم الذين يشعلون نار الفتنة بين الناس والحروب كاليهود ، ومنهم الغاشون في الكيل والميزان وسائر الأعمال والمضيعون للثقة بين الناس ..
ونكتفي بهذا القدر ونذكر ان الله تعالى هو القوة الجبارة الهائلة التي لا يعلم قدرها غيره ولا يبلغ الواصفون وصفها ، هو الذي فطر الخلق ، وهو يدبر الامر من السماء الى الارض ، والذي يمتلك ما خلق ، ومنهم البشر ، امتلاك العبيد **بالخلق لا بالشراء** ، وقد احتجب بالنور لتكون عبادته عبادة احرار لا عبيد ، تمهيدا للمسئولية يوم الدين .

هذا الاله الذي نحن مدينون له بكل شيء في حياتنا من القوة الصالحة

والرزق والهداية وجميع النعم الظاهرة والباطنة ، وهو الموجود الدائم الكامل الذي لا حد لكمالة ، والذي فطرنا على الايمان به واللجوء اليه خاصة عند الشدائد ، والذي تطمئن بذكره القلوب ، هذا الاله المنعم المتفضل يستحق منا كل إجلال وتقدير وحب فوق حب الآباء والابناء والنفس وكل غال في الحياة فهو الواهب للجميع - ويجب تبعا لهذا الحب الغالي ان ننفذ كل ما رسمه لنا أمرا ونهيا بحرارة ، لا رسما فقط ، وأن نخضع لقوانينه في الاخلاق والمعاملات : من صدق وأمانة وعدل وإحسان وحسن معاملة وتواد وتناصح .. وأن نكون على المستوى الذي يريده لعباده - الصالحين ، وأنه سيؤتى كل ذي فضل فضله ، ويمتعه متاعا حسنا في الدنيا والآخرة .

وهذا حق لله وواجب علينا ، أن نؤثره على ما سواه ، والله تعالى يقول :(**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**) التوبة / ٢٤

حب الوالدين يلي حب الله ورسوله ، فهما السبب المباشر في إخراج الانسان الى حيز الوجود بقدرة الله وإرادته وتصويره ، ولهذا يأمرنا الله تعالى بالاحسان اليهما ، بالكلمة الطيبة والعمل الصالح ، وقد عنى جل جلاله في سورة الاسراء ، فإنه بعد أن أمر بعبادته وعدم الاشراك به أمر بالاحسان إلى الوالدين وعدم الاساءة اليهما .

وقد بين لنا لونا من الكلم الطيب والمعاملة الحسنة ننسج على منوالهما ، كما بين لنا لونا من الاساءة في الكلم والفعل لنبعد عنهما وعما هو أشد منهما .

فقال جل شأنه ناهيا عن القول المزعوم والفعل المكروه :(**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**) وقال عن القول الحسن والفعل الحسن ، :(**وقل لهم قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء/ ٢٣ و ٢٤ فلا عذر لمخلوق بعد هذا البيان في أن لا يعامل والديه باحسان حتى أن كانا كافرين ، فيصاحبهما في الدنيا معروفا ، وإن كان لا يستمع لهما ان جاهداه على الكفر . وقد سمى الله تعالى ذلك برا فقال عن سيدنا يحيى :(**وبرا بوالديه**) مريم/ ١٤ وعن سيدنا عيسى :(**وبرا بوالدتي**) مريم/ ٣٢ .

حب الآباء للابناء . هو إن كان غريزة حتى في الحيوان الذي يحمي اولاده ويطعمهم ويضحي بنفسه في سبيلهم فهو في الانسان أرقى من ذلك أنه حب يقتضي أحسن تربية ، بحيث يتخرج الانسان على والديه وهو مثل عال يشرِّف المسلمين ويغيظ الكفار : علوٌ نفس وشهامةٌ وصدقاً وإيثاراً ووفاءٌ للعهد وسداداً لدين المجتمع

بالعمل في ميادين الانتاج أو حراسة الانتاج مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : وسبيل ذلك عدم تربية الترف او القهر والاذلال . بل تحبيب الابن في سير أبطال المسلمين من الصحابة كالخلفاء الراشدين وغيرهم من ابطال الصحابة ، ومن التابعين كصلاح الدين ، وعلى الوالدين ان يعلما ان تربية الابناء أمرا من الله لهما بقوله :(**قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) التحريم / ٦ وأهل المرء زوجه وأبناؤه ، ولن يقوا أولادهم النار إلا بالايمان والعمل الصالح والتربية على العزة والكرامة .

وليعلم الآباء أن الله تعالى جعل في نفوس الناشئة استعداد للخير ودوافع للسلوك الحميد ، فالاطفال عندهم غريزة التقليد ، فليعرضوا عليهم الأبطال الحق ليكونوا مثالهم ، وليبعدوا عنهم الأبطال الزائفين ، أبطال الجريمة والعنف والجنس حتى لا يكونوا منحرفين وعلى آبائهم الوزر .

وعلى الآباء وأولى الامر من المعلمين ورجال الوعظ والارشاد والاعلام أن يغرسوا في الأبناء حب إيصال الخير للناس ، لوجه الله فهو المجازي ، وحب الوفاء بالوعد والعهد ، وحب العلماء واختيار الاصدقاء ، وأن يرووهم بعد كتاب الله وحديث نبيه من الشعر أعفه ، ومن الحكم اصدقها ، فللمحفوظات أثر في مواقف المرء تدفعه للعلا إن كانت عالية ، وللحضيض إن كانت فاحشة .

وعلى رجال التربية والاعلام ان يكونوا نماذج حية للصدق والوفاء والشرف وقول الحق لا يخشون فيه لومة لائم حتى يكونوا قدوة للجيل الجديد .

حب الكمال والجمال إن الآباء الذين يحبون أبناءهم والاساتذة الذين يحبون تلاميذهم ينشئونهم على حب الكمال والجمال ، وسيجدون من الدين الاسلامي اكبر سند لهم في ذلك .

إنه دين يدعو الى الكمال والاجادة وبذل اقصى الجهد فيهما ويدعو الى استعمال الطاقات والمواهب الى أقصى الحدود ، تحقيقا للخلافة عن الله في أرضه ، والله الذي أتقن كل شيء خلقه يحب من عباده أن يحاكوه ما استطاعوا وما من عبد يعمل عملا وفي استطاعته أن يأتي بأجود منه إلا حوسب على تقصيره . شعار المؤمن في العلم قوله تعالى :(**وفوق كل ذي علم عليم**) يوسف/ ٧٦ فالعلم بحر لا ساحل له ، ومهما اغترف منه الانسان فانه يكون مجاهدا في سبيل الله له أجر المجاهد وجهاد العلم أقوى من جهاد السيف ، يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام :(**وجاهدهم به جهادا كبيرا**) الفرقان/ ٥٢ ، والضمير في به يعود على القرآن الكريم ، والجهاد به أقوى لأنه يؤثر في الفعل ويعمل على الاقناع .

لا تجعل السيف فوق الرأي تقمعه
وقابل الرأي بالآراء والحجج
فرب مقتنع بالرأي يحرسه
ويفتدي نشره بالمال والمهج

وشعاره في العمل قول الله تعالى : **(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)** الكهف/ ٣٠ وقوله : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** الملك/ ٢

وشعاره في الاخلاق انه لا نهاية للفضيلة ولا حد للكمال ، وفي الحديث الشريف ان الله يرضي لكم اعالي الامور ويكره لكم سفاسفها .

وشعاره في التقوى :(**فاتقوا الله ما استطعتم**) التغابن/ ١٦

وفي الاعداد للعدو : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الانفال/ ٦٠ . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أهل الشام ان : « علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية » والدين الاسلامي يكره لابنائه المهانة والذلة والضعة والرضا بالدون وان يعيشوا في الحياة على هامشها ، لا يحس بهم احد ولا يطورونها ، بل يطلب منهم أن يؤثروا فيها آثار خالدة من العلم والعمل وتطوير الحياة إلى أسمى درجاتها والله من فوقهم مطلع على ما يعلمون ومحاسبهم عليه ويقول لهم : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/ ١٠٥ .

وكما يوجه الله عباده للكمال يوجههم للجمال ، فالاحساس به يحفّز المرء للكمال ولذلك دعاهم إلى النظر في ملكوته وما خلق ، ليدركوا مدى الاتقان ومدى التزيين ثم لا يكتفي بالجمال المرئي المحسوس ، وإنما يدعو أيضا إلى الجمال الروحي والاخلاقي ، ولقد غمرنا جل وعلا بوسائل الاحساس التي تدرك جمال المرئيات من شمس وقمر ونجوم وسحب تملأ النفس رجاء برحمة الله والتي تدرك جمال **المسموعات** من حفيف الاغصان وسجع الطيور وخرير المياه وأصوات المقرئين ، **والملموسات** من نعومة الورد والحرير ، كما غمرنا بما يدرك **الجمال الروحي** كالعقل والقلب والعواطف فانها تدرك فوق هذا الجمال المعنوي والاخلاقي ..

ومن أجمل ما خلق الله الاخلاق الكريمة يتحلى بها الرجل الكريم والمرأة الكريمة في مواقف الاحسان والحنان والشفقة والايثار والتضحية .

وكذلك الكلمة الطيبة توحي بجمال قائلها وتلذ لسامعها والحديث الشريف يقول : « الكلمة اللينة الطيبة صدقة ، ولا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق» رواه البخاري واحمد ومسلم

والعمل في حد نفسه جمال ، وما أجمل العامل أمام الآلة يديرها ويستخرج من دورانها صنائع غالية ، وما أجمل الفلاح زارعا حاصدا وسارحا بالانعام .

وما أجمل المرأة وهي تحوك الثياب وتطرزها وتنسق بينها ، وتعني بوليدها وتداعبه : وما أجمل الفتى

وهو مستغرق في الاستذكار . وما أجمل العالم في درسه أو معمله أو مكتبته .. كل هذه لوحات من الجمال علينا أن نحرص عليها ونربي ابناءنا عليها .

وبعد : ما أحسب مسلما يجهل أن الاسلام يحض على جمال المظهر والمخبر ، نظافة وعناية بالزي وذوقا وإدراكا للجمال وعيشا في سمو ، وسعيا للكمال والمعيشة اللائقة بالانسان . ولا أحسب مسلما يعيش إلا ويملأ عينيه كل يوم نظرا للشروق والغروب والكواكب والاشجار والثمار والجبال ومساقط المياه .. مما يملأ النفس روعة وجلالا ، ويجعلها تعنو لمولاها ، فتسبح بحمده كما تسبح له كل الكائنات :(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) يونس/ ١٠١ .

حب الوطن : وحب الوطن هو الوطنية ، ونحب الوطن لأنه أرض الآباء والأجداد ، وبيننا وبينه صلات قوية ونحن منه بمنزلة الغصن من الشجرة ، كون هواؤه وتربته اجسامنا ، وحكمتنا قوانينه وتطبعنا بعاداته ، ونعتز بعزته ، ونحن إليه إن غادرناه ، وحب الوطن طبيعة في الحيوان بله الانسان . يكون حب الوطن في كمون حتى إذا عدا عاد عليه تنبهت المشاعر وظهر حب الوطن والفداء والتضحية بالنفس والنفيس ، ومظاهر حب الوطن كثيرة منها .

الدفاع ضد الأعداء بالسلاح وهي وطنية الجنود ، وقف الحياة على خدمة أغراضه وهي وطنية الساسة ـ أداء الواجب نحوه وهي وطنية سائر الناس ، ومنها أداء الواجب اليومي على أكمل وجه وتعضيد المشروعات النافعة ، وانتخاب خير الناس ، وتشجيع المصنوعات الوطنية ـ الاندماج مع الجماعة في المشروعات العامة وتعضيدها بالمال والمجهود العلمي والأدبي والجسمي ومشاركة الجماعة في الأفراح والأتراح .

وهكذا نرى أن حب الوطن يستلزم حب المواطنين ، والأمر أولا يقتضي ضبط النفس واعتدالها ، بالعفة عن الأموال والأعراض والعزوف عن الشهوات وضبط الفكر عن الجماح وتحصين النفس بالرفقة المؤدبة والوسط الصالح ، فكل ذلك يعينه على أن يكون مواطنا صالحا يحب الخير العام والنفع العام ، بل ويؤثر غيره على نفسه أحيانا ويؤدي دوره في الحياة على أكمل الوجوه .

حب النفس : وغير معقول أن يحب المواطن المواطنين ولا يحب نفسه ، وحب النفس كما قدمنا ينطبق عليه قوله تعالى :(**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**) البقرة/ ٤٤ ، حب النفس يقتضي ألا يظلمها صاحبها . وقد جاء ظلم النفس في قوله تعالى : (**ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**) فاطر/ ٣٢ . وقد قيل في التفاسير الكثير عن الظالم والمقتصد والسابق من ذلك : الظالم من انقص حق العبادة ، والمقتصد من اقتصر على الفرائض ، والسابق

بالخيرات من جمع بين الفرائض والسنن .
وقيل : الظالم المصر على المعصية ، والمقتصد التائب منها ، والسابق من لم يعص .
وقيل الظالم من رجحت سيئاته ، والمقتصد من تساوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت حسناته ومن ظلم النفس اتباع الهوى والشهوات وشياطين الجن والانس واليأس من روح الله والتفكير في الانتحار ، وليقرأ المسلم قول الله تعالى : **(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا)** النساء/ ٢٩و٣٠

١ ـ ان شر ما يصيب الانسان الذي يظلم نفسه أن يفقد التمييز بين الحب العفيف والحب الشهواني ، ويخلط بينهما ، ويزين الشيطان له ان الحب بين رجل وإمرأة كاف في حد ذاته لأن يعاشرها معاشرة الأزواج دون زواج وهذا إغراء الشيطان للانسان ليرتكب الفواحش والفجور ، فشتان بين الزواج على رؤوس الاشهاد والمهر المبذول إعلاء لشأن المرأة وتكوين الأسرة والمسؤلية عن الأولاد والمودة والرحمة ، وبين الاختلاط الذي خلا من كل الكرامات ، إن الاول مقدس والثاني مدنس ..

٢ ـ خير للانسان الذي يظلم نفسه ان يقرأ ويفهم قول الله تعالى : **(هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما)** الاحزاب/ ٤٣ ليعلم منزلته عند الله جل جلاله فيفتح قلبه للنور الالهي ويستضيء به ويشكر الله الرؤوف الرحيم .

٣ ـ وخير لمن يظلم نفسه بعدم الرضا بموقعه من الحياة وسخطه على القدر أن ينظر الى من هو دونه في المال ليرتاح ، ويقنع ويعمل مطمئنا إلى جانب الذي يجعل بعدالعسر يسرا ولا ينظر الى من فوقه فذلك يدعو الى ازدراء نعمة الله ، والله تعالى يقول :(**فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)** الاعراف/ ١٤٤ ويقول : **(لئن شكرتم لأزيدنكم)** ابراهيم/ ٧

٤ ـ واحب أن أختم هذا المقال بقول الصادق الامين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه فانه لما كان المؤمنون أخوة فمعناها أن يحب الخير لجميع المؤمنين ، ولما كان يحب لنفسه الخير ويكره لها الشر ولا يريد أحدا أن يعتدي على نفسه أو عرضه أو ماله فينبغي أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه فلا يعتدي هو على نفس أحد أو عرضه أو ماله .

وهذا الحب لو سار على هذا النحو لكان المجتمع أزكى ما يكون أو أطهر ما يكون وأسعد ما يكون — فهل يتخلق كل مسلم بهذا الخلق الكريم ؟ وهل يحب الخير لسائر المسلمين ؟
يا سعادة من أحب الله ورسوله ووالديه وأولاده وإخوته المؤمنين .
ندعو الله مخلصين أن يجعلنا من هؤلاء المحبين المخلصين ..

مائدة القارئ

محمد (صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » . الآية ١٢٨ من سورة التوبة

اخبرنا عن نفسك ؟

جاء في السيرة لابن هشام ان نفرا من اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يارسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم : انا دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ..

ثقل الأمانة

بعد ان بويع عمر بن عبدالعزيز بالخلافة ، خلا في مصلاه يبكى ، فأقبل عليه المسلمون يقولون : يا ابن عبدالعزيز ، ما يبكيك ؟ قال : انني حملت أمانة هذه الأمة ، فأنا أبكي لمن حملت الأمانة عنهم : أبكي للفقير الجائع ، وابن السبيل الضائع ، والمظلوم المقهور ، وذى العيال الكثير ، علمت أني مسؤول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأشفقت على نفسي ، وبكيت لثقل الأمانة .

حكمة

ان البراطيل تنصر الأباطيل ، هكذا قال حكيم ، ومعنى ذلك : ان البراطيل ـ جمع برطيل ـ وهو الرشوة ـ تستخدم من اجل الوصول الى أهداف غير مشروعة ، وتحقيق مطالب غير مستحقة ، وأصل البرطيل :

المعول الذي تحفر به الأرض ، ويستخرج به ما في باطنها ، فسميت الرشوة به لأنها كالمعول في تحطيم الفضائل ، والأخلاق ، واستخراج رذائل الطباع .

بخيل

قيل لرجل أما يكسون فلان ؟ فقال : والله لو كان له بيت مملوء برا ، وجاء يعقوب عليه السلام .

ومعه الأنبياء شفعاء ، والملائكة ضمناء ، ليستعير منه إبرة ، ليخيط بها قميص يوسف عليه السلام الذي قد من دبر ، لما أعاره اياها ، فكيف يكسونى .

الدعاء للمريض

اخرج البخاري عن عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا أتى مريضا ، او اتى به قال : « ذهب الباس ، رب الناس ، اشف وانت الشافي ، لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » .

التقوى

سئل أحد الصالحين عن التقوى . قال : هل سلكت طريقا ذا شوك ؟

قال السائل : نعم .

قال الصالح : فما عملت فيه ؟

قال السائل : تشمرت وحذرت .

فقال الصالح : فذاك التقوى .

الحسد

جاء عن الحسد : انه جرح لا يبرأ .

ولما سئل الحسن البصري : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما انساك بني يعقوب ، نعم ، ولكن غمه في صدرك ، فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ، ولا لسانا .

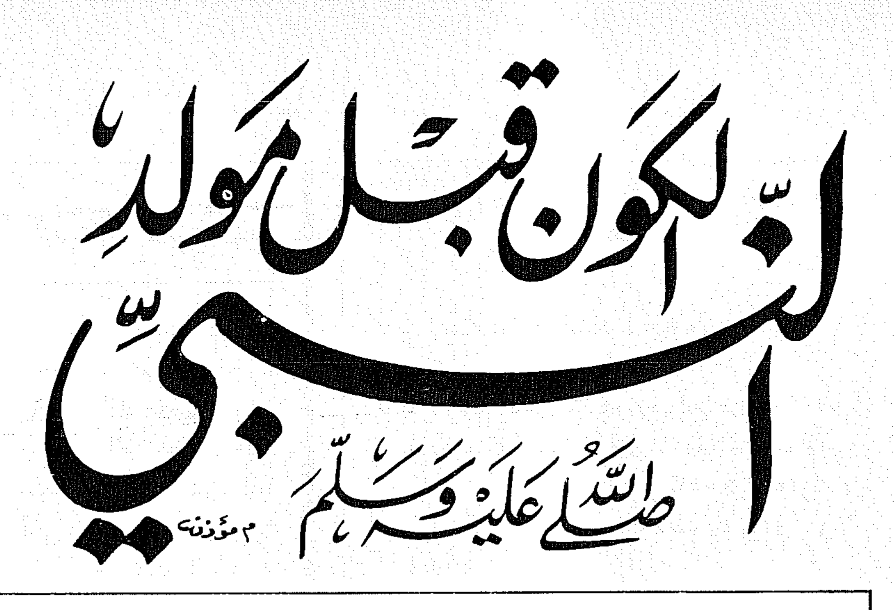
وقال الشافعي في الحسد :

وداريت كل الناس لكن حاسدي
مداراته عزت وعز منالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
اذا كان لا يرضيه الا زوالها

بين العقل والعلم

قال الشاعر :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذي منهما قد احرز الشرفا
فالعلم قال : انا احرزت غايته
والعقل قال : انا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم افصاحا وقال له
بأينا الله في فرقانه اتصفا
فبان للعقل ان العلم سيده
فقبل العقل راس العلم وانصرفا



للأستاذ محمود محمد بكر هلال

رأيت الكون يرزح تحت ظلم ... وطغيان وجهل لا يزول
وكفر بالإله يسود ارضا ... واوثان يعظمها الجهول
ويصنع ربه من تمر نخل ... ويأكله لجوع قد يزيل
ملائكة وجناً يصطفيها ... ولا تَّا ثم عزى يستميل
ويعبد شيخهم قمرا ونجما ... اليها في الشدائد قد يحيل
ومن اصنامهم صنم كبير ... عليه الذئب يوما قد يبول
وعباد لنار اوقدوها ... وتوصف انها الرب الجليل
ووأد للبنات نراه دوما ... تقرره القبائل لا العقول
فكم من طفلة دفنت بقبر ... تئن وتستغيث ومن خجول ؟
ولا يدري ابوها ان يوما ... سيسأل ما جنى هذا القتيل ؟
يخاف العار من ميلاد بنت ... فلا يبغي البنات ولا يعول
فيقتل ما يشاء من البنات ... ولا قانون يمنع او يحول
وشرب للخمور بكل واد ... ويوصف انه الفعل الجميل
ورق قد سرى في كل قطر ... وان ابن الملوك به ذليل
فكم من ابن انثى بيع ظلما ... كأن العبد في سجن نزيل
وهذا حاكم شرع الفساد ... فصار العدل امرا يستحيل

وكان الفحش يبدو والفجور
شريعة غابة في الكون اضحت
وكان الجن يقعد في السماء
فكان الكون سجنا لا يطاق
لنخرج من ظلام الجهل فورا
فضاق الكون ذرعا بالظلام
عداء مستمر بين قوم
الم تر كيف ان الله اخزى
لتهدم كعبة كانت مثابا
فكان بمولد المحمود نصر
ونار الفرس اخمدها الاله
وكسرى قد رأى في النوم حلما
نوافذ قصره باتت تنوح
فكان بمولد القرشي فضل
وجاء محمد بالعدل نورا
وصار من العصاة هداة دين
وحطم كل اصنام الضلال
وحرم كل ظلم للعباد
وساوى بين انسان فقير
وحظر الجرم في قتل الصغار
وحرر زوجة كانت كإرث
وحرم ميتة كانت حلالا
فخلف امة تدعو لخير
اراد الله خيرا للجميع
وسمع الجن قرآنا عظيما
وعم الكون اسلام حنيف
سماء الكون صارت في امان
زمان الغي قد ولى وجيء
اضيء الكون من نور الاله
فتقصده الخلائق من بلاد
وتغترف الفضائل منه دوما
واصبح كل فرد مستقيما

علانية كأن الخير غول
مطبقة وان وجد البديل
ليعرف ما هو السر المقول ؟
ويسأل ساكنوه وما السبيل ؟
لأن النور ماء سلسبيل
وود الجور عمرا لا يطول
وفخر الفرد في الحرب يصول
جنودا امها في الركب فيل
وشيدها من القِدَمِ الخليل
وسيف البغي ليس لهَ صليل
ولم يبق على العرش اصيل
بأن الملك للفرس خذول
وتنعى حظها فغداً تزول
وفضل الله ليس له عديل
بذلك يشتفي الكون العليل
ليخلف بعدهم في الهدى جيل
ولم يسمح بجرح قد يسيل
فصار القلب للخير يميل
وانسان له الشجر الظليل
لأن الله بالرزق كفيل
الى احد الاقارب قد تؤول
وازلاما الا بئس الوسيل
وعند الله للخير الجزيل
فجاء الرشد يكنفه الشمول
فآمن منهم النفر القليل
وحرم الخير انسان رذيل
فلا شيطان يسمع ما يجول
بمن يهدي ، يدعمه الدليل
وحل بمولد المختار نيل
لأن النيل ليس له مثيل
وتجعل كل فسق يستقيل
بنورِ الحق ليس له مثيل



مقدمتان :

١ ـ في هذه المرة أقول « الطروء » الاسرائيلي ، ولا أقول « الوجود » الاسرائيلي ، فالوجود الاسرائيلي على الأرض شيء ، والطروء الاسرائيلي على أرض فلسطين شيء آخر ، إذ أن اليهود لم يدخلوا فلسطين الا طارئين ، ولم يأخذوا دورا من تاريخها الا طارئين ، ولم يتواجدوا فيها ـ أبدا ـ كسكان أصليين ، وكان كل نصيبهم من تاريخها أنهم « طرءوا » عليها مرة في الزمن القديم ، دخلوها غزوا وغصبا ثم لم يلبثوا أن أزيلوا على نحو ما سنبين هنا ، وعادوا « ليطرءوا » عليها غزوا وغصبا أيضا في العصر الحاضر ،... وما نشك لحظة في أنهم ـ بأمر الله ـ زائلون منها كما زالوا في ذلك الطروء القديم .

والذي أعنيه عندما تفرض القضية الفلسطينية نفسها على المناقشة ، يجعلني أعتقد أن الدعاية الصهيونية التي عنيت بتشويه الحقيقة وليِّها قسراً لتوافق أطماعها تفوقت مع الأسف على التوعية العربية ، التي أخفقت في توصيل الحقيقة



وتأكيد الوعي العربي في أذهان الأجيال الحاضرة ، تفوقت عليها واستطاعت أن تغزو بباطلها طوائف من هذه الأجيال .. ليس فقط لتودع أذهانها كثيرا من مزاعمها حول فلسطين ، ولكن أيضا لكي تجعلهم يعتمدون مزاعمها على أنها حقائق تعلموها ليعتقدوها ويدافعوا عن اعتقادهم فيها .. وهذه الطوائف .. أجد نماذجها قليلة وكثيرة ، قريبة وبعيدة ، صغيرة وكبيرة ، محدودة ومنتشرة ، بالقدر الذي يجعلني أعتقد أن الصهيونية بما زرعته فيها ـ خلال صحافتها وإذاعتها وبقية وسائلها الجهنمية ـ من السطحية في المعرفة ، والتصاغر في الاهتمام ، والغرور في الفكر سواءً في تحصيله أو ابدائه ، استطاعت في غفلة من الوعي العربي والاسلامي أن تتسلل الى هذه النماذج .. فتغزو فكرها .. وتفسد وعيها .. وتتمكن من نواصيها ، حتى أستطاعت في النهاية أن تسخر من بينها

جنودا متطوعين ، او ـ بتعبير البروتوكول الصهيوني ـ وكلاء مغفلين ، يحملون دعايتها .. ويدافعون عنها .. ويثيرون مزاعمها ، بغرورهم وسطحيتهم وفساد وعيهم .. ليس في وجه اعدائهم .. ولكن في وجه من ؟؟ في وجه العرب .. أهلهم .. وشعبهم .. وأمتهم .. التي أفسدوا عليها مع الأسف الشديد .

والمزاعم التاريخية ـ والدينية معا ـ التي تدعيها الصهيونية في فلسطين ، مردودة من جوانبها كافة ، وكذلك الشكوك التي تثيرها الصهيونية حول أصالة الوجود العربي في فلسطين ، مردودة من جوانبها كافة ، والذي أحاوله هنا هو أن أفند أطرافا من هذه المزاعم .. وأزيل صحافا من هذه الشكوك .. ولعلي بهذا المقال المتواضع أستطيع أن أبلغ الحقيقة الى عقول الطوائف التي أعنيها ، والتي سبقتني اليها الصهيونية .. بوسائلها .. ومزاعمها ، وشتان بين جهدها وجهدي ، وشتان بين وسائلها ووسائلي ، ولكن على الله قصد السبيل .

٢ ـ ما كنا نريد أن ندير حجتنا على اليهود الا من شواهدنا التي من عند اليهود أنفسهم ، وهذا لا يعود الى قصور نستشعره في شواهدنا الأخرى ، ولكنه ـ رغبة منا في أن تكون شواهدنا عليهم من عندهم ، لتكون أقوى حجة عليهم وأكثر إلزاما لهم ، ولهذا فقد فضّلنا أن نُدير مقالتنا هذه من خلال الرواية اليهودية للتاريخ ، نأخذ مزاعمها زعما فزعما ، ثم نتركها ترد على نفسها بنفسها ، وتكذب نصوصها بنصوصها ، وتنسخ أساطيرها بأساطيرها فلا يستوي لها منطق ، ولا تستقيم لها حجة .

فالاحتجاج ـ إذن ـ بهذه الرواية ، ليس من باب الاعتقاد فيها أو الاعتداد بشيء من أكاذيبها ومزاعمها ، ولكن فقط ، من باب التفنيد والتمحيص لمجموعة غير متناسقة من الكتب الأسطورية ـ لا التاريخية ـ والخزعبلات الفولكلورية ـ لا الدينية ـ سميت في مجموعها باسم « كتب العهد القديم »، وادُّعِي زورا وبهتانا أنها التوراة التي أنزلها الله تعالى من السماوات العُلى ، رأينا أن ننبه إلى ذلك مسبقين لكي لا يحتج علينا أحد من أهلها إذا رحنا نعتد بشيء من نصوصها ، فنحن لم نعتد بنصوصها إلاّ على نصوصها ، ولم نعتمد أساطيرها إلا على أساطيرها ، وإذ نحن لا نعتقد فيها جميعا ، فإننا ـ فقط ـ رحنا نقرب بين نصوصها المتعارضة ، نقابل بعضها بعضا .. ليهدم بعضها بعضا .

التاريخ المزور .. صعب التحقيق :

أساسنا اذن هو الرواية اليهودية للتاريخ .. ولكن وجدنا التحقيق في هذا التاريخ مهمة بالغة الصعوبة ، وذلك لأسباب متعددة نسوق منها ما يلي :

أولا : أن التاريخ اليهودي تكاد تنحصر مصادره في روايات الكتب المقدسة ، وهي نصوص العهد القديم التي بين أيدينا والمسماة جزافا بالتوراة ، مضافا اليها

شروحها المختلفة ، والتلمود ، وما أضيف الى كل هذا من كتب الايضاح والتفسير .. وهذه جميعا لا تكفي مهما تعددت أوجهها فإنها تنحصر جميعا في مصدر واحد اسمه « الكتب المقدسة »، ولم يوجد فيما عداها ما يمكن مقارنتها به للوقوف على مدى صحتها ، هذا اذا استثنينا المصادر النادرة التي فتحت عليها الأعين معرفة المستشرقين لبعض لغات الشرق ، وهذه أندر من أن تفيد كثيرا على الأقل ، إما لقلتها الشديدة ، أو لما طرأ عليها من آثار التحيز الذي لم تسلم منه كتابات المستشرقين . وكذلك إذا استثنينا ما تعلق من هذا التاريخ بسير مجموعة من الأنبياء أجلتها - على حقيقتها - آيات القرآن الكريم ، وفيما عدا ذلك ، فإن القدر الأكبر من مساحات التاريخ اليهودي قد أنفردت بروايته هذه الكتب المقدسة ، التي لم يكن من الصعب تفنيد بعضها كما سنرى .

ثانيا : انه تاريخ تختلط فيه الواقعة التاريخية بالأسطورة الخرافية التي تملأ جوانبه على نحو مُكْثر حتى أحاطت بكل واقعة فيه ، حتى كاد يتيقن لنا ألا تكون هذه الوقائع المروية في التاريخ اليهودي الا مادة قصصية استمدت أصولها من خرافات الشعوب البدائية وأساطيرها ، ثم أعيدت صياغتها باستبدال أسماء من بني إسرائيل بأسماء الأبطال الخرافيين لهذه الأساطير ، وهذا أمر لا نستبعده على « مؤلفي » العهد القديم الذين لمسوا في الشعوب ميلا الى تقديس الأسطورة الغيبية والايمان بما يرد في اطارها ، فراحوا يلتمسون كل وسيلة ليلتقطوا من أساطير الشعوب ما يطعمون به كتاباتهم المزورة ، ونحن لسنا بدعا فيما احتملناه في هذا الأمر فان من حسن الحظ أن من الناس من أجتذبت انتباهه الخرافات التي حفلت بها أصحاحات الكتب المقدسة ، فعنوا قبلنا باستجلاء الأساس الأسطوري للمادة القصصية التي صيغت بها هذه الكتب وراح يطابق بينها وبين ما أمدته به عادات الشعوب من مجموعة هائلة من الأساطير والخرافات ووجدها جميعا تشكل الجو الخرافي الذي احيطت به كتابات العهد القديم ، وإنا لنستطيع أن نسوق على ذلك مئات الأدلة ، ولكنا - رغبة في الاختصار - سنكتفي بالإشارة الى السيل الغزير من شواهد هذا الحال ، الذي ساقه كتاب « الفلولكلور في العهد القديم »، ومن أراد التفصيل فهو هناك .

وعلى هذا فان الباحث في هذا التاريخ يجد نفسه أولا في حاجة الى تنقية الوقائع التاريخية مما حولها من جو أسطوري خرافي سيجد ولا شك عناء كبيرا في أستخلاصها منه الى أن يتمكن من التفرقة بين ما هو واقعة تاريخية ، وما هو أسطورة خرافية ، وانه لن يصل الى هذا المستوى من البحث الا بعد ان يبلغ من أمره إرهاقا كبيرا يتفرغ بعده لموازنة الوقائع التاريخية ودراستها .

ثالثا : ان هذا التاريخ لا تعتمد رواياته على أية نوع من الوثائق المكتوبة ، أو حتى الحفريات او الآثار التي يمكنها ان تقف شاهدة على واقعة بعينها أو مؤيدة خبرا بذاته .. خصوصا تلك الوقائع والأخبار التي كان مسرحها فجر التاريخ ، فإن أقدم الوثائق أو الحفريات أو الآثار التي أمكن التفتيش عنها لا تتعدى بأي حال

القرن الأول قبل الميلاد ، وإلى القرن الأول قبل الميلاد لا يكتسب التاريخ اليهودي أية درجة من التوثيق المؤيَّد ، ذلك إذا استثنينا من حسابنا تلك الفترة التي قضوها في مصر بعد زوال الغزو الهكسوسي ، إذ تنبهت حكومة فرعون الى خطرهم على البلاد إذا ما داهمها غزو أجنبي سرعان ما ينحازون اليه فأصبح فرعون يراقبهم وقدمت سجلاته طرفا من تاريخهم في هذه الفترة ، وفيما عدا ذلك لا ترى التاريخ اليهودي الا مجموعة من المسامرات الفولكلورية وحلقات من القصص المسلية التي أقرها الزمان في أذهان الجماعات البدائية واتخذها « مؤلفو » التوراة أساسا « توثيقيا » لرواية تاريخهم .

رابعا : ان التاريخ اليهودي كما ترويه لنا الكتب المقدسة ، ما هو الا تاريخ من صنع أصحابه ، ليس فقط من صنع أقلامهم ، ولكن أيضا من صنع أهوائهم ، وعندما نقول « من صنع أقلامهم »، فاننا نردد ما هو معروف من أن اليهود بعد أن ثوى أمرهم الى الأسر في أسوار بابل عكف أحْبارهم في هذا السبى البابلي على كتابة الأسفار التي يتألف منها كتاب العهد القديم ، ثم لقنوه لأممهم على أنه التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى ، ولهذا نجد إصحاحات هذا الكتاب قد أتخمتها من مظاهر الضعف والركاكة وسوء السياقة وغير ذلك من أوجه القصور ما لا يعقل أن يتضمنه كتاب مُنَزَّل ، وعندما نقول « من صنع أهوائهم » فإننا نعني أن اليهود هم الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بنفسها ، فأضافت اليه وحذفت منه وحورت فيه كما شاءت وكانت فرصتها واسعة لتجعله في الإطار السلوكي والإنساني الذي راق لها ، ولكن ، ومع هذا ، فإن كُتَّاب هذا التاريخ لم يستطيعوا أن يجعلوه تاريخا سلسا مقبولا ، وكل الذي أستطاعوه هو أنهم شوهوا به كتبهم المقدسة ، إذ أنهم ضموه اليها رغبة منهم في تقديسه وإعلائه على مستوى كل نقاش ، فضموه الى الكتب المقدسة ، وجعلوه مُنزلاً من عند « الرب »، في إصحاحاته ، وبكلمات فمه ، فلا ترى الرب ـ في هذه الكتب ـ الا يروي واقعة مختلقة ، أو يستمد أسطورة غيبية ، أو يفسر عادة بدائية ، أو يرتل أنشودة شعبية .. سبحان الله تعالى عما يصفون .. ومن صنع أحْبار اليهود ، جُعِل التاريخ اليهودي نشازا خرافيا متفرقا متناقضا ، ومن رغبتهم في تقديسه ، أدخلت شواهد القصور الإنساني إلى الكتب المقدسة ، ومن كل هذا ومن كل ذاك ، كان تاريخا صعب التحقيق .

المزاعم التاريخية :

وُفِّق اليهود الى بث الدعوة الصهيونية في أصول الدين اليهودي ، ولكنهم لم يوفقوا في التعمية على الفاصل التاريخي بين دعوة موسى واغتصاب فلسطين ، فراحوا يطلبون اعتماد جذور إسرائيلية أقدم من موسى في سكنى المنطقة وساقوا تاريخها من عهد يعقوب ، ثم لم يوفقوا الى إثبات جذورهم فيها فذهبوا يلتمسون

تاريخها من عهد نوح ، ولم يوفقوا فطفقوا يزعمون أنهم كانوا بداية الخليقة فيها ، وقد كان لنا إزاء كل زعم من هذا ما أعان على هدمه على نحو ما سنرى .

موسى لم يدخل بهم فلسطين .

وقد حرص رواتهم على أن يديروا سيرة موسى من خلال فكرة الغزو اليهودي لفلسطين ، حتى مسخوا شخصيته وافسدوا رسالته وأضاعوا دعوته ، ومن خلال الفكرة ذاتها بلوروا حوله ضروبا من الخرافة والأسطورة وصنوفا من القصص الشعبي حملوها سيرته وساعدهم عليها ما كان لموسى من طفولة مثيرة تبعث على اختراع القصص ، إذ بينما ولد موسى في أسرة متواضعة ، فإنه قد نشأ وتربَّى في قصور الملك ، فجمعت طفولته مرة واحدة بين التواضع « الذي يرضي الذوق السامي العربي » والرقي « الذي يرضي الذوق المصري »، هذه النشأة ذات الوجهين ، فضلاً عما كان له من قوة وفتوة وتعلم للحكمة على يد النبي شعيب « أو الكاهن المصري يثرو كما تسميه التوراة »، كل ذلك وجد فيه الرواة اليهود مادة مثيرة وشخصية طريفة راحوا يكيلون لسيرتها من الأساطير الحاضرة والغابرة ومن الصهيونية والعنصرية ما لا تحتمله سيرةُ نبي ، حتى أن بعض المؤرخين – من كثرة ما أثارته الرواية اليهودية حول موسى – كان لا يظنه نبيا من عند الله ، ولكن تصورهُ بطلا من طراز آخر غير طراز الأنبياء. «سيجمون فرويد» مثلا كان يظنه ثائرا مصريا خرج بطائفة من شعب مصر لِيغزو فلسطين .

وهذا الخلط في فهم شخصية موسى ، اتَّخَذ منه اليهود مدخلاً واسعا لبث الدعوة الصهيونية الى تعاليم الدين اليهودي ، فالمطالع لسفر الخروج يجده لا يدير السيرة إلا من خلال أسطورة الوعد الالهي وخُرافة الأرض الموعودة التي ترمي أولا وأخيرا الى ادعاء نوع زائف من الشرعية يُضْفَي على الغزو اليهودي لفلسطين ، ويؤكد على هذه الفكرة في كل مرحلة يتعرض لها من حياة موسى ، فيهيؤه لهذا « الوعد »، ويحصره عنده ، ويحاصر به سمعه أينما حل ، حتى كأننا لسنا بصدد نبي بعثهُ الله ليهدي الى الحق والى صراط مستقيم ، ولكن كأننا بصدد زعيم من دُعاة الصهيونية المعروفين في زمننا هذا عاش في العهد القديم .. فهذا الرجل الذي كان من اوائل الدعاة لتحرير الفكر الأنساني من عبودية البشر ، وصاحب رسالة سماوية ودعوة انسانية كبرى للتمرد على الوهية فرعون وتذكيره بأن من فوق الكل ربا ، هو الله رب العالمين ، مسخه اليهود تماما وأعطاه سفر الخروج صورة قميئة على قدر مقاييسهم ، محدودة على قدر ضيق أفقهم ، وحوَّله الى داعية من دعاة الصهيونية المشهورين عند بني اسرائيل .

ولسنا الآن بصدد استعراض النصوص التوراتية التي تصبغ موسى بالصبغة الصهيونية ، وإنما نحن فقط نؤكد على أن البون الشاسع بين حقيقة موسى وحقيقة

الدين اليهودي من جهة ، وبين حقيقة هذا الشعب المشاكس من جهة أخرى ، تجعل من المتعذر الاعتقاد في أنهم عرفوا من موسى شيئا عن الرب أو شيئا عن الدين .

ثم لننظر الى موسى النبي ، أضاعوه تماما ، أضاعوه (وأضاعوا) توراته ، ثم لم يحتفظوا بشيء من ذكراه من بعده ، فأما التوراة فقد تلاشت من أذهانهم تقريبا وهم الذين عاشوا بدوا رحلا لا يعرفون مدرسة ولا تعليماً ، فكان اعتمادهم على الذاكرة الشفهية ـ فضلا عن تعمدهم التحريف ـ سببا رئيسيا من أسباب ضياعها ، ولم يمض على وفاة موسى جيل واحد ، حتى كانت قد نُسي أمرها وضاعت ألواحها الى أن كان عهد يوشيا الملك بعد سبعة قرون ، فتقدم له أحد كهان المعبد بعدد من الألواح دفعها اليه زاعما أنها هي « سفر الشريعة »، والله أعلم بما قدم له ولكن المعروف جيدا أنها لم تكن إلا « الكتاب المحرف » الذي عكف أحْبار اليهود على كتابته في أسر « بابل ».

وأما موسى فقد نسوهُ وتلاشى اسمه مع أسفارهم تقريبا منذ كان آخر عهدها به الكتاب الخامس من توراته « التثنية »، الذي ذكر اسمَهُ في نص باهت يذكر ـ بالكاد ـ موته ميتة غامضة لم يعرف بعدها شيء عنه ، ولا حتى موضع قبره من أرض مؤاب ، وأصبح موسى نسيا منسيا لا يعرفه المتأخرون من « مُؤَلفي » التوراة ، الى أن ذكرهُ « أشعيا » في الكتاب الثالث والعشرين ـ لاحظ طول الفترة ـ من كتب العهد القديم ، وقد ذكرهُ ذكرا يجعلهُ شيئا غابرا قديما مندثرا ، أو مجرد رائحة قديمة من الأيام الغابرة .. أيام موسى وشعبه ».

وإذ جعلنا في خطتنا الا نواجه « الرواية المقدسة » إلا بذات نصوصها ، فإن المهم ـ والمهم جدا ـ أن « الرواية المقدسة » نفسها التي أدارت سيرة موسى من خلال فكرة الغزو اليهودي لفلسطين ، لم تستطع إلا أن تثبت أن موسى لم يدخل بشعبه الى فلسطين ، وان تؤكد على ان موسى أتم مهمته وأدى رسالته وقضى أجله ولقِيَ ربَّه .. دون أن يدخل الى فلسطين ..، وهذه حقيقة احتار أصحاب التلمود ـ فيما بعد ـ في تفسيرها على نحو لا يضر بـدعاة الصهيونية التي تجعل من اغتصاب فلسطين واحدة من تعاليم الدين اليهودي .

وبالحرف الواحد من الرواية اليهودية ، يقول سفر التثنية مخاطبا موسى : « هذه الأرض التي أقسمتُ لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك إلى هناك لا تعبر ، ومات موسى »، وإزاء هذه الحقيقة ، تطلب الدعاوة الصهيونية اعتماد جذور أقدم من موسى في سكنى هذه الأرض .

أصول ضائعة :

وإزاء هذه الحقيقة ترجو الدعاوي الصهيونية اعتماد جذور أخرى لهم في

سكنى هذه الأرض أول عهدها بالسكان ، والحق ان الحصول على أصولهم الاولى من حيث هي أصولهم الأولى ـ فضلا عن بحث صلتها بفلسطين ـ مهمة بالغة الصعوبة ، سواء من حيث أصل نشأتهم أو من حيث تسميتهم ، وعندما لجأنا الى الكتاب المقدس ليدلّنا عليها وجدناه تلجلج واضطرب ولم يوفق في نسبتهم الى أحد من الناس ، اذ بينما نسب الى موسى أنه قال إن أباه كان « آراميا تائها » ، عاد ليصرح بلسان أشعيا بأنهم منسوبون الى كنعان ، ثم إمعانا في التخبط يعود الكتاب المقدس فيزدري كنعان ويزيله من نسب اليهود ، وقد أزاله رواة التاريخ اليهودي بأسطورة بدئية أثبتوها على نوح ، قالوا إن نوحا شرب الخمر حتى سكر وتعرَّى وكشف عن عورته فرآها ابنه حام « ابو كنعان »، وعندما صحا نوح من سُكره وعلم بالأمر لعن كنعان وقال انه عبد العبيد ذرية حام ، وطبعا لا يمكن اعتماد هذه الخرافة في الحوادث الحقيقية للزمن القديم ، ولكن واضح أن كتب العهد القديم توردها في حيلة صهيونية قميئة ترمي الى استثناء كنعان من زمرة « الشعب الممتاز »، وهذا موضوع آخر يعنينا منه أنهم أوقعوا الرواية المقدسة في اضطراب كبير أضاع أصولهم أن تعرف أو يهتدي اليها احد .. أو يهتدوا اليها هم أنفسهم . وكانوا أولى أن يهتدوا الى أصلهم قبل أن يزعموا أن لهذا الأصل صلة بفلسطين .

بعيداً عن فلسطين :

فاذا ما فرغنا من هذا الاضطراب الشديد ورحنا نبحث عن أصول الجاليات اليهودية المنتشرة في أنحاء الارض كيف نشأت وكيف ولدت أصولها الاولى بعيداً عن فلسطين بآلاف الاميال شرقا وغربا ـ بل وربما بعيدا عن الدين اليهودي نفسه ـ، أوقعتنا الدعاوة الصهيونية على اسطورة أخرى تقول : إن أسباط يهود أُخرجوا من فلسطين وتشبثوا في الأرض فكان منهم هذه السلالات .

الاسرائيلي الاول لم يولد في فلسطين ، ولم يكن أول ساكن لها ، وعاش خارجها دهرا

واقدم جذر يمكن اعتماده لهذا الشعب الذي تسمى بـ « بني اسرائيل »، هو يعقوب عليه السلام فهو بحسب الرواية اليهودية نفسها اول عبري عبر النهر فارا من ارض خاله طالبا رضا أخيه ، وأول من تسمى « اسرائيل »، والحقيقة ان البحث في التسميات التي اطلقت على هذه المجموعة البشرية المحيرة مهمة شاقة نريد ان نُنَجِّي منها هذا المقال المتواضع ، ويكفينا منها ما أورده السفر العجيب

من أسطورة يفسر بها تسمية يعقوب باسم « اسرائيل »، وهي أسطورة نرفضها شكلا وموضوعا ولكن نورد لك ملخصها لتقف منها على خرافتهم حول تسمية « الاسرائيلي الاول » الذي ينتسب اليه بنو اسرائيل ، فاسم « اسرائيل » يعني في اللغة العبرية « قوة الله » ومجمل الاسطورة ان يعقوب استحق هذا الاسم لأنه قابل الرب وقاتله وهزمه ، ولكن كيف ؟، تقول الأسطورة ان الرب استعان بسلم بنته الملائكة وتنزل الى الأرض ليلا ليصارع يعقوب !، فهزمه يعقوب !، وقبض عليه !! ورفض ان يطلقه الى ان طلع الفجر !، فلما توسل اليه الرب الذي كان يخشى ضوء الصباح !!، فرض يعقوب « المنتصر » شروطه ، واضطر الرب ان يباركه ويسميه منذ هذه الحادثة « إسرائيل » ، اي قوة الله .. وذلك ـ كالاسطورة ـ لأنه قاتل الله وغلبه .

ولا أظنك إلا مثلي تستغرب هذا الهراء الذي لا يستقيم له منطق ، ولكن المجال هنا ليس لنشرح كيف أننا نرفض هذه الخرافة جملة وتفصيلا ، وإنما الجلي لنا ان يعقوب ـ في الخرافة المقدسة ـ هو الاسرائيلي الاول الذي يُنسب اليه هؤلاء القوم ، وسوف لا يكون صعبا تقويض كل بناء للدعاوة الصهيونية عندما نعرف من الرواية نفسها ان هذا الاسرائيلي الاول لم يولد في فلسطين ، ولم يدخلها إلا غلاما مع ابيه اسحق الذي استأذن ملكها (أبيمالك) وكان على القوم الذين سكنوها من قبل ، ثم أن هذا الغلام لم يلبث ـ بعد ان صار رجلا ـ ان غادر هذه البلاد هاربا من بطش أخيه الذي عزم على الانتقام منه لأنه ـ كالخرافة ـ خدعه وسرق بركته وجرده من ميراث أبيه ، وقد ندَّ يعقوب الى أرض خاله ، وهناك تزوج من ابنتي خاله ، واقام ردحا من عمره أقله عشرون سنة ، إذ تزوج الاولى بعد ان خدم خاله سبع سنين والثانية بعد سبع أخر ، وأقام حتى أنجب من إحداهما ثم أقام الى أن برئت الثانية ـ وكانت عاقرا ـ من عقرها وولدت له ثم أقام مدةً ثم هرب ، ولم تتركه الخرافة المقدسة يغادر أرض خاله إلا بعد أن ألحقت بسيرته فضيحة كبرى تقول : إنه سرق أغنام خاله وخرج قاصدا أخاه ، ثم كأنَّ الرواة اليهود كبر عندهم أن يتركوا أحداً بلا فضيحة ، فقالت روايتهم ان زوجة يعقوب ـ ابنة خاله ـ سرقت أدوات أبيها قبل الرحيل .

ومعلوم بعد ذلك جيدا ان يعقوب ارتحل ببنيه من فلسطين قاصدا مصر عندما استقدمهم يوسف اليه ليعيشوا معه بعد ان استأذن فرعون في استقدامهم .

ماذا كانت صلتهم بفلسطين اذن ؟:

لم تستطع الرواية المقدسة أن تقنعنا بصلة معقولة لهؤلاء الناس بالمنطقة ، ولم تستطع أن تثبت أنهم كانوا أصل الخلقة في فلسطين كزعم الدعاوة الصهيونية ، بل على العكس أثبتت أنها من قبل كانت مسكونة بغيرهم ، من قبل إبراهيم نفسه ،

واكدت بأن ذكرت أسماء القبائل الذين كانوا سكانها قبله ، « الرفائيم والعناقيم والزمزيم والا يميم والزوزيم - لاحظ الكثرة »، وزادت تأكيداً بأن قدمت أوصافا لهؤلاء القوم ، فقالت إنهم كانوا مردة عمالقة ، وهنا لا بد من الإشارة الى ضرورة وجود النص الخرافي في الرواية اليهودية ، فلا تحسب هذه الاوصاف الا مستمدة من التصور الأسطوري لأوائل الإنسانية السحيقة على انهم كانوا بشرا جِساماً ضِخاَم البنية .

وقد رأينا كيف استنطقنا الرواة اليهود عن أصولهم الاولى فلم يوفقوا في الإجابة ، وكيف أجابوا بأن الاسرائيلي الاول لم يكن أول ساكن لفلسطين وانه عاش خارجها ردحا من عمره ، وبعد طول جهاد مع اصل اليهود وحقيقة صلتهم بالمنطقة ، كاد يستقر عندنا ان نعتبرهم - مع تجاوز كبير - شيئا من القبائل السامية التي انفصمت في هذه المنطقة عن جذعها الكبير ، فان هذه القبائل المنخلعة عن أصولها قد ووجهت بمصير مجهول أمام الصراع الفظيع الذي دار حول المنطقة بين ممالك هذا الزمان ، فمنها ما حافظ على أرومته السامية الأولى ، كالعرب - ومنها ما صهرته الحوادث في الامبراطوريات الاخرى ، ومنها - كاليهود - من ظلوا متقوقعين على هوامش هذه الامبراطوريات ، يعيشون علّلا على اطراف مجتمعاتها ، يخشون الاتصال بها والانخراط فيها ، فكانت صلاتهم الاولى بالمنطقة وجوداً طفيليا ونتوءات شاذة على هوامش الامم ، ولعل الرابطة التي تجعل بعض المنظرين يلحقونهم بطوائف الغجر وقبائلها ، وجدت مبعثها من ذلك الوجود الطفيلي المتوقع دائما على هوامش الأمم .

دخلوها غصبا .. ثم أزيلوا .. في الزمن القديم :

بالكاد ، من عهد شاؤول الملك ، نستطيع الوقوف على تاريخ لليهود تدل عليه الوثائق والحفائر والآثار ، فالكتابات اليهودية التي اكتشفت لا يزيد عمرها بحال عن الالف الاول قبل الميلاد ، وقد بدا هذا التاريخ الحقيقي - لا الخرافي - لليهود بتتويج شاؤول ملكا عليهم ، بجهود سياسية بذلها النبي صامويل بعد دخول اليهود الى فلسطين غصبا بالغزو المسلح في عهد يشوع بن نون « وهو نبي اوقديس تجعله الرواية اليهودية سفاحاً أسطوريا »، ثم توج شاؤول ملكاً عليهم سنة ١٠٢٠ ق . م ومن بعده كان الملكان الكبيران الوحيدان في تاريخ اليهود ، داوود وسليمان ، ملك أولهما سنة ١٠١٠ ق . م ، وخلفه الثاني ٩٧٠ ق . م ، ودام من بعده اربعين سنة ، فقوام حكمهما في الحرث - مضافا اليه حكم شاؤول - لم يبلغ قرنا من الزمان ، وهي فترة يسيرة أتت بعد غزو مسلح لا تصلح لتكوين اي نوع من الحقوق ، او لإقامة أي نوع من الحضارة يؤثر في الانسانية ، ولهذا .. تجد كل امة من الناس أقامت حضارة أوكان لها في الانسانية أثر من نوع ما .. حتى أشد

الأمم امعانا في التخلف .. الا اليهود .. الذين دخلوا الى فلسطين غُصْبا .. وأقاموا اقل من قرن .. ثم أزيلوا .. وكانوا لم يدخلوها إلا غزاة في عصر يوشع وعصور القضاة ، وهي عصور جمعت الى الخرافة والاسطورة وانباء الحرب والسفك قدرا من الرذائل يرى معه أنها كانت عصورا شبيهة الى حد كبير بعصور الصهيونية الحاضرة .

زوال دولتهم بعد سليمان :

ولم تكن لليهود في فلسطين ـ ولا خارجها ـ دولة بالمعنى المفهوم إلا في عهدي داوود وسليمان ، وقد بينا من قبل أن قوام العهدين معا لم يزد على سبعين سنة ، وبعد هذه الفترة اليسيرة ، اتخذت دولة اليهود طريقها الى الزوال ، وكان الانقسام هو أول هذا الطريق ، إذ انقسمت الى مملكتين ، مملكة الشمال وعاصمتها السامرة ، ومملكة الجنوب وعاصمتها القدس ، فأما مملكة الشمال فقد عاشت حياة وثنية وترف وانحلال كل ذلك بلغ الذروة في عهد الملك « آخاب » الذي بُعث في عهده النبي إيليا وقام يدعو الى الله وسط هذا الجو الموبوء ، فكان طبيعيا أن تذهب دعوته سُدًى الى أن رفع الى السماء ، ولكي يكون للاسطورة الفولكلورية مدخل في كل شيء يهودي ، فان الخرافة المقدسة تقول ان ارتفاع ايليا الى السماء كان بمركبة نارية اختطفته وهو سائر جوار تلميذه اليسع ، كما تجعل الرواية لايليا وجها اسطوريا آخر يشبه ما نعرفه اليوم عن اسطورة « بابا نويل » بوجهه الضاحك وملابسه الحمراء ولحيته البيضاء ونزوله في الاعياد حاملا الهدايا والمنح ، الا أن أسطورة إيليا زيدت عليها الزيادة الصهيونية الخاصة ، وهي قتله أعداء اسرائيل ، المهم أن مملكة الشمال انتهت جملة سنة ٧٢٠ق . م عندما هاجمها « سلما نصر » الآشوري وضمها الى آشور .

واما مملكة الجنوب فقد سجل عليها كل من أرميا واشعيا النبيين كثيرا من مظاهر الوثنية والفسوق والانحلال وذبح الاولاد والذكاء في الشر الى ان انتهت جملة بهجوم بختنصر الكلداني الذي دمرها وجعل السيف في اهلها وسبى من بقي منهم الى بابل وأحرق الهيكل ، وهذه المملكة التي لم تخلف للانسانية شيئا مفيداً ، خلفت رواية عنصرية هي رواية المسيح المخلص ، وقد بينا في مقال سابق تحت عنوان الوجود الاسرائيلي ومطامع القوى الكبرى في الوعي الاسلامي العدد ٢١٤ أن هذا المسيح المخلص هو مسيح عنصري صهيوني مكلف باخضاع العالم تحت أقدام اسرائيل ، وكم كانت هذه الرواية سببا في ظهور كثير من الدجالين ينتحلون صفة المسيح المخلص ، وقلنا انه لما ظهر المسيح الحق .. عارضوه وتآمروا عليه ، وذلك ـ ببساطة ـ لأنه لم يكن صهيونياً ولا عنصرياً وأنه دعا إلى الله الحق والى عالمية الدين .

الزوال الكبير :

وبزوال مملكتي الشمال والجنوب زال تماما النفوذ اليهودي من على فلسطين وكادت تنقطع صلاتهم بها بعد ان ذهبوا أسرى في السبى البابلي ، لولا أن طائفة من يهود السبى استطاعوا في عهد قورش ملك فارس ان يعودوا الى هذه الأرض ليعيشوا فيها ـ لا ليحكموها ـ ثم حصل هؤلاء من قبل اليونان على حقوق سياسية خاصة كانت بداية لتطلعات عنصرية جديدة ، حتى كان الغزو الروماني ، وثار اليهود سنة ٦٦م ثم اخمدت ثورتهم وخمدوا إلى أن قامت لهم حركة تمرد سميت بحركة بوكوكبا نسبة الى قائدها سنة ١٣٢م ، ثم أخمدت وكان من نتيجتها أن حمل الرومان عليهم حملة قتل وتشتيت لم يعرف لها مثيل ، فزال اليهود من فلسطين زوالا كبيرا وأخمد صوتهم في العالم كله ولم تقم لهم قائمة الا في العصر الحديث عندما بدأ هرتزل يجمعهم في موجة صهيونية كبرى لاقامة الدولة اليهودية ، ذلك اذا استثنينا ـ كما بينا في المقال المشار اليه سابقا ـ محاولاتهم الانخراط في الموجات الاستعمارية السابقة على هذه الموجة كالحملة الفرنسية والحملات الصليبية .

أصالة الوجود العربي :

ومنذ زوال النفوذ اليهودي عن فلسطين بعد الغزو الاشوري ، ظلت الأرض يتعاقب عليها الغزاة من فرس ويونان ورومان ، ولكن ظلت فلسطين كما كانت دائما ملتقى عناصر وشعوب شتى ، يغلب عليهم طابع الفلسطينيين الاصليين الذين كانوا هم العنصر السكاني المستمر ، ومنهم عرب كثير ، وقد افصحت الرواية اليهودية نفسها عن وجود هذا العنصر العربي ـ بكثرة ـ مقيما يأكل الطعام وتاجرا يمشي في الأسواق . وبشهادة الرواية نفسها كان العرب جزءاً لا يتجزأ من سكان فلسطين الأصليين قبل ان يفد اليها اليهود بآلاف السنين ، وقد حاول مؤرخ اليهود أن يجور على هذا الوجود العربي ليطفيء كثيرا من تألقه تحت تأثير الطمس والتعمية التي مارسها « لاحظ اننا نركز اهتمامنا على الرواية اليهودية » ولكن ما يزال بالامكان الوقوف على كثير من الشواهد التي فات أمرها على هذا المؤرخ الذي لم يكن أمينا بحال .

والدعاوات الصهيونية تعتمد على مغالطة تاريخية هامة تقول إن عمر بن الخطاب هو الذي أدخل العرب الى فلسطين ، وهذه مغالطة تعْمد الصهيونية الى تكبيرها ، والصحيح أن الذين أدخلهم عمر بن الخطاب الى فلسطين هم « المسلمون » لا « العرب »، الذين كان لهم وجود هناك قبله بآلاف السنين ، والذي فعله عمرُ أنه أخرج من هناك المستعمر الأجنبي ، الذي « بدوره » لم يكن اليهود ، وانما الرومان ، أما اليهود ، فالرومان كانوا قد طردوهم في حملة قتل وتشتيت لم

يعرف لها مثيل ، وكانوا فيها مستعمرين غزاة ولم يكونوا سكانا أصليين .

أما سكان فلسطين الأصليين فهم الكنعانيون ، وهم ليسوا يهودا ولا إسرائيليين ، وقد رأينا كيف أن الرواية اليهودية تعتزل نسبتهم عن الشعب الممتاز ، وإنما هم قبائل سامية نزحت من بلاد العرب قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وقال المؤرخ هيرودوت إنهم أتوا من جنوب البحر الأحمر .

ويجب ان نلاحظ ان الرواية اليهودية نفسها أوضحت ان القدِّيس « صفنيا » عندما عنى بأن يلعن « اصحاب هذه الأرض » كان يَصُب لعناته على الكنعانيين « لا اليهود » ، كما يجب ان نلاحظ ان منطقة القدس بالذات سكانها الأصليون هم اليبوسيون وهم طوائف من العرب وهم بناتها وكان عليها ملك منهم هو (مالك صادق) « لاحظ عروبة الاسم » وقد حكمها ذلك الملك حكما دينيا وفات مؤرخ اليهود انه ذكره في سفر التكوين قبل أن يفد إبراهيم الى فلسطين ، اي قبل ان يظهرَ الى الوجود يعقوب وبنوه بأكثر من قرن ، وقد ظل هؤلاءاليبوسيون بالقدس الى أيام هاجمها يشوع ، وكان عليها آنذاك « أدوني صادق » الذي تحالف مع ملوك البقاع الفلسطينية الاخرى في تكتل فلسطيني واسع لرد هجوم اليهود ، وعندما انتصر يشوع ودخل القدس ظل اليبوسيون هناك يقاومون إرهابه إلى أن ذُكر في السفر الذي تسمى باسمه ـ أي بعد وفاته باجيال ـ أنهم بقوا هناك إلى « ذاك اليوم »، ثم هاجمتها موجة يهودية اخرى هم بنو يهوذا واغتصبوها وضربوها بالسيف وأحرقوها ، وبعدهم هاجمها بنو بنيامين ليمارسوا صنوفا جديدة من الضغط السياسي والفكري والعسكري ، كل ذلك واليبوسيون مقيمون في مدينتهم يقاومون ويأبون مغادرتها الى أن كتب في سفر القضاة أنهم أقاموا هناك إلى « هذا اليوم » الذي كتب فيه السفر ، ذلك السفر الذي قرر أن أورشليم يوم كتب لم يكن يسكنها إسرائيلي واحد واشهد على ذلك رجلاً عبرياً كان يعلم جيدا أنها « مدينة اليبوسيين »..

وفي المفكرين من يأخذ من رحلة ابراهيم الى مكة دليلا على الاتصال العربي بالمنطقة ، منذ عهد إبراهيم ، فان إبراهيم ما كان يتخذ من مكة مهاجَراً لزوجته وابنه بمحض الصدفة ، فهو لا يعقل ان تكون للصدفة يد في تحركات رئيس عشيرة كبير كابراهيم ، وإنما لا بد أنه كانت له صلات بذلك المجتمع العربي .

أما القوافل العربية التي كانت تمر بالمنطقة مطمئنة آمنة فلعل أشهرها القافلة التي التقطت يوسف عليه السلام ، وقد كان ذلك في أواخر أيام يعقوب ، ولكننا نعني أن هذا الطريق كان مألوفا آنذاك للعرب .

ثم في نهاية القراءة التاريخية ننتهي الى أنه ليس في تاريخ اليهود شيء هام من تاريخ فلسطين سوى انهم حكموها مدة من الزمان لم تزد على سبعين سنة في العهد القديم ، وأن بعض أجدادهم سكنوا مناطق منها أو كان لهم صلة بها ، وهذا كله لا يصلح لتكوين اي نوع من الحقوق ، يمكن الاعتداد به ، الا وفق نظرة ضيقة الأفق لا يسعنا ازاءها إلا ان نردد مع القائلين بانه مهما طلب اليهود الاعتداد بها فهي

لاتصلح اساسا لمنحهم فلسطين وترحيل أهلها منها ، والا كان واجبا إعادة النظر في توزيع الشعوب على بقاع العالم ودوله .

المزاعم الدينية :

انتهينا تواً إلى أن بداية اتصال هؤلاء الناس بالمنطقة لا تعتمد على أي وثائق تاريخية ، وجل اعتماد الصهيونية في دعاواها على مجموعة من مسامرات العهد القديم وقصصه المسلية التي أقلها من تراثهم الشعبي واكثرها من تراث الامم سرقوه وضموه الى الرواية المقدسة ، ثم ادعوا أن إله آبائهم قد وعدهم بهذه الارض ليخضعوا منها العالمَ تحت اقدامهم ويقيموا فيها وطنهم القومي ، ونحن في حيرة من اثر هذا الوطن القومي الذي تسوق له الصهيونية حججاً تاريخية ودينية زائفة ، فاما الحجج التاريخية فقد خضنا فيها ، واما الحجج الدينية فنصوص مزعومة أدخلها الرواة اليهود على التوراة واستغلتها الصهيونية لكي تجعل من اغتصاب فلسطين امرا دينيا ومشيئة الهيئة . واما كيف ؟؟.. فاليك التفصيل ..

ابراهيم .. والوعد :

ملخص هذه النصوص يزعم ان الله اختار هذه الامة الضالة من دون الناس ليجعلهم شعبه المتميز ويتيح لهم هذه الأرض غَصْبا وطغيانا على ما لغيرهم فيها من حقوق ، ليست فقط حقوقا تاريخية ودينية ، وانما أيضا حقوق مدنية ، هكذا لا تبالي الصهيونية بأن تجعل الرب يساعد على الغصب ويأمر به . وهذا منهم أمر محير يرددون فيه رواياتٍ كثيرة متناقضة ، وصفوة سياقتها أن الرب انعطف على إبراهيم ووعده بان يُوَرِّث ذريته هذه الأرض ملكا أبديا ، بشرط أن يؤمنوا به ويخلصوا له ويتخذوه الها أبدياً لهم ، ولا نريد أن نخوض في تفاصيل التشويه والتحريف الذي تعرضت له النصوص التوراتية ، ولكنا نقول انه اذا كان هناك ثمة مجال للاعتداد بهذا الوعد فأنه قد صدر لابراهيم ، وأن قصارى ما نستطيع فهمه هو ان الله يعد أنبياءه بأن يمكن للذين آمنوا في الأرض ويجعلهم الوارثين ، ولا يمكن بأي حال الاقتناع بأن الله اختص اليهود ليساعدهم على اغتصاب فلسطين كما تريد ان تقنعنا الدعاوة الصهيونية ، أو أنه سبحانه وتعالى يقصر وعده على بني اسرائيل من حيث هم « بنو اسرائيل » بصرف النظر عن صلاحهم أو فسادهم ويستثني منه عباده المؤمنين .

والجدير هنا أن ذرية إبراهيم لا تقتصر على بني إسرائيل « بني يعقوب » ولا حتى على بني إسحاق ، وإنما تضم مع بني إسحق إسماعيل وبنيه ، وبنين آخرين

ذكرتهم الرواية المقدسة لامرأة ثالثة اسمها قطورة ، وبين آخرين ذكرتهم الرواية ذاتها لبعض السراري ، وما بنو اسرائيل إلا بطن من بطون اسحق بن ابراهيم .

وحسب الرواية اليهودية ذاتها قد وعد الله ابراهيم بأن يمكن لاسماعيل أيضا في الارض ، ولكن الرواية الصهيونية تجعله يقصر عهده على إسحق الذي تلده سارة ، ونحن نعلم الوعد القرآني الذي قطعه الله لابراهيم اذ قال له : (**إني جاعلك للناس إماما**) فلما سأل ابراهيم : قال (**ومن ذريتي**) قال الحق : (**لا ينال عهدي الظالمين**) اي لا يشملهم ، ونحن لا نريد ان ندير حجتنا من القرآن لأننا تكفينا على اليهود شواهدنا التي من عند اليهود أنفسهم ، ولكنا لم نجد في الرواية اليهودية نفسها ظلما من إسماعيل وبنيه ، وانما رأيناها تنسب الى يعقوب من الكذب والخديعة والسرقة والغش ما كان عليه السلام منه براء ، فضلا عن الخرافة والاسطورة .

اما الشعب الذي تزعم الرواية ان الله تعالى اختصه ليعده بهذه الارض . فان الرواية ذاتها هي التي تنسب اليه من الكذب والسرقة والغش والقتل والزنا والربا والفجور والفسوق والنهب والسلب .. والى اخر ذلك من ألوان الظلم ما ليس مجاله هنا ، ولكن نشير الى انه ينتشر في الرواية اليهودية حتى لا يكاد يخلو منه اصحاح فيها فاستحال الاقتناع بأنه شعب يمكن ان يختصهم الله ليمكن لهم في الارض ويجعلهم الوارثين .

الوعد .. في الطبعة الثانية :

قلنا انه ان كان هناك مجال للاعتداد بالوعد فانه قد صدر لابراهيم ، ولكن الرواية الصهيونية تصر على استثناء ذرية ابراهيم من الوعد عدا إسحاق ، فلا تلبث ان تنتهز فرصة تحول السيرة الى اسحاق حتى تضيف الى النصوص ما يحول الوعد اليه ، تقول الرواية : « وظهر له الرب ـ اي لاسحاق ـ وقال له .. لك ولنسلك اعطى هذه الارض واوف بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك ..» وواضح هنا ان الرواية التي تقول ان الرب اقسم بوعده لابراهيم ، تعود لتجعله يحنث بقسمه وبوعده له ويحوله الى اسحق دون البقية من نسل أبيه .

الوعد في الطبعة الثالثة :

هذا لا يقبله على الله عاقل .. ولكن الرواية تتمادى عندما يتحول الراوي الى يعقوب ، لتذكر ان الرب « بعد ان نزل الى الارض وصارع يعقوب وانهزم أمامه واضطر ان يباركه ويسميه اسرائيل كما ذكرنا في شأن هذه الاسطورة » عاد كما حول وعده لابراهيم امام اسحاق ، ليحول وعده لاسحاق امام يعقوب ، اذ ظهر له

وقال : « .. انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق .. الارض التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك ..»، وهذا الذي نراه جاء في خرافة اسطورية تنزل الرب الى الارض بسلم تبنيه الملائكة ليساعده في النزول ، الا ان الواضح ان الرواية الصهيونية تجعل الرب من على سلمه الاسطوري يخلف وعده الذي سبق – في الرواية ذاتها – لاسحق ، مستثنيا منه بقية ذريته سوى يعقوب « اسرائيل » وبنيه .

الوعد .. في مهب الريح :

ثم بعد ان نزح ابناء يعقوب الى مصر وارتفع نجمهم هناك في معية يوسف عليه السلام ، لم يلبثوا بعد يوسف ان أصيبوا بنكسة اخرجتهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وفيما كانوا فيه ، ظل كل من سفر الخروج وسفر التثنية يخبط بالوعد الالهي خبط عشواء ، لموسى .. ثم يشوع ، ثم يتقلب الى ان يصل الى داود بعد ان استقر لهم الامر في عهده هناك ، وهكذا .. كان وعد صهيون وعداً سياسيا لا يستقر ، وانما يتحول مع الاعصر ويتقلب في الاجيال تبعا للرياح السياسية ، ولا ندري من في ايامنا هذه سيكون صاحب الوعد اذا رأى اليهود يضيفون الى الكتب المقدسة نصوصا اخرى كالتي سبق ان اضافها اجدادهم .

الوعد .. والوطن القومي .. في السبى :

ولابد هنا أن نسجل أن أسطورة الوعد الإلهي كانت قد تعرضت لنكسة كبرى على أيدي اليهود انفسهم الذين همُّوا بنسيانها تماما وعدم الاحتفال بها منذ أيام السبى البابلي ، وقد قلنا فيما سبق أن بختنصر الكلداني لما هاجم القدس دمرها وجعل السيف في أهلها وأحرق الهيكل وسبى من بقي من اليهود الى بابل ، وأن طائفة من يهود السبى استطاعت أن تعود إلى فلسطين بتصريح من الملك قورش ملك فارس بعد أن غزا بابل وضمها هي ومستعمراتها إلى مستعمراته ، إلا أن هؤلاء الأسرى كانوا قد تعودوا في فترة السبى على الا يحفلوا كثيرا بفكرة الوعد ولا بفكرة العودة الى سفوح صهيون ، ذلك الجبل الذي كان قمة ما بلغه ابراهيم تحت قمته هو أنه اشترى قبرا هناك ، وقمة ما بلغه يعقوب أنه أتاه مع أبيه ثم هرب من هناك ثم عاد ليعيش فيها بعض أيامه الأخيرة ثم يغادرها الى مصر ، وتضاءلت عندهم فكرة الوطن القومي وانطفأ تألقها في أذهانهم هناك ، وربما كان ذلك تحت تأثير الديانات الفارسية والبابلية التي تعلموها في فترة الأسْر ، « كانوا قد تعلموا في السبى بعض الديانات القديمة – راجع العقاد : الصهيونية » أما الذين ظلت الفكرة تلازمهم فكانت فقد فقدت عندهم تماما معناها الديني المزعوم ، واكتسبت

معنىً سياسيا بحتا هو معنى العودة الى المجد المفقود ، ولهذا يستقر في قناعتنا أن هذه الفكرة ليست مبدأ دينيا وإنما هي فكرة صهيونية بحتة ترمي لأهداف سياسية .

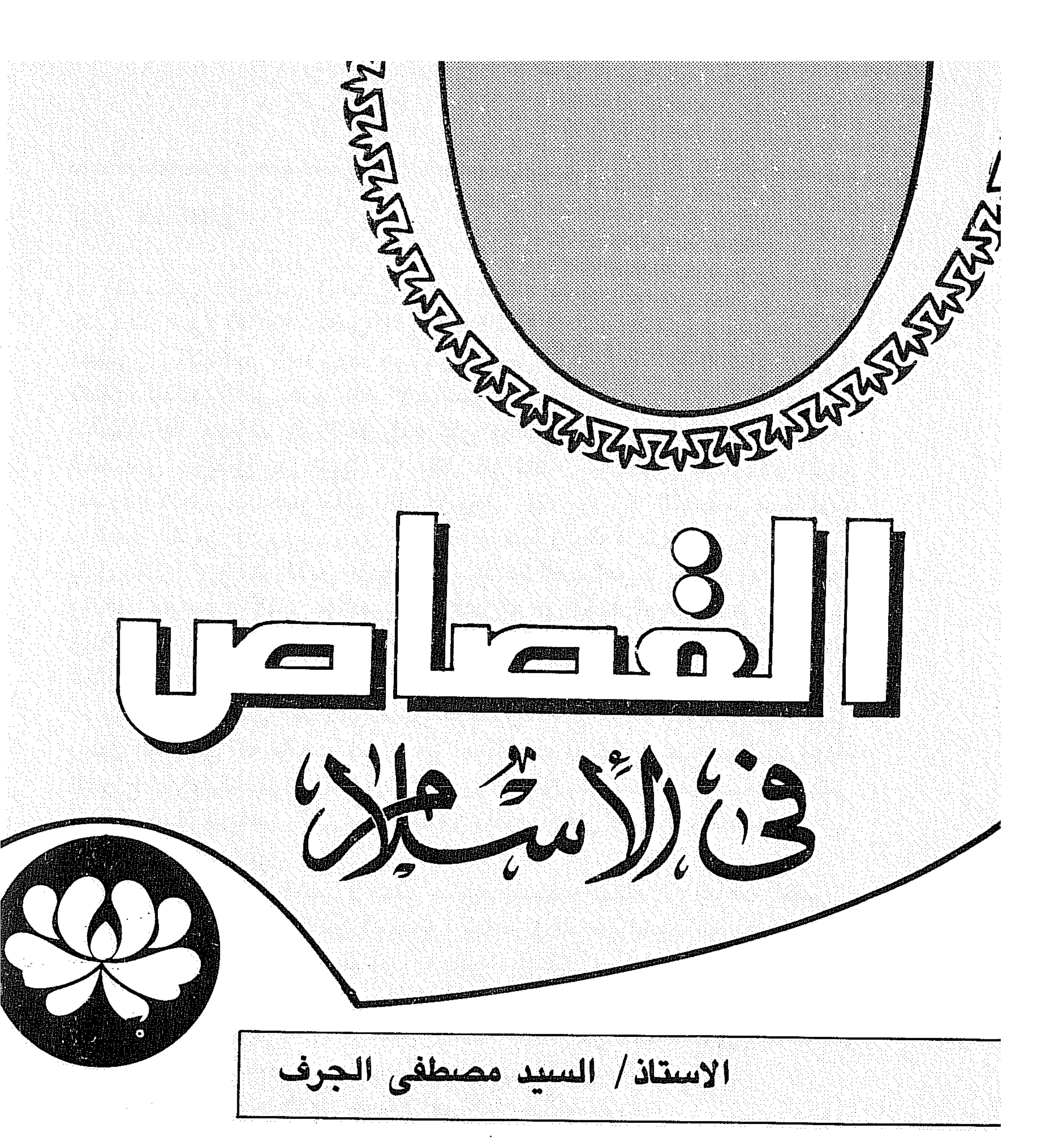
لم يعظِّموه :

ويجب ان نعرف أن في أجيالهم السابقة من لم يعظم هذه البقعة ، ولا الهيكل ، ولم يمنحها التوقير المعتاد الذي يُعطي في العادة للمقدسات الدينية ، فقد دمروا القدس وحطموا الهيكل عدة مرات ، وقد رأينا كيف أن بني يهوذا وبني بنيامين دمروها في موجتي غزو متتاليتين ، كما ان احد ملوكهم « هو الملك يهواش » ، سبق أن دمر الهيكل دون أن يثور اليهود أو يغضبوا عليه او حتى يُبدوا سخطهم عليه أو يُضمروه ، وبقي الى ان مات مرضيا عنه غير مغضوب عليه .

ولكن .. لماذا ؟؟:

بقي ان نقول ، ولكن لماذا تصر إسرائيل : « الشعب » على أن الله اختارها من دون الناس ليورثها هذه الأرض ؟؟، وهم يجيبون على هذا التساؤل بأنهم « شعب الله المختار »، وهذه أكذوبة أخرى حرية بأن نفرد لها في غير هذا المقال ، ولكن دعنا الآن مع هذا الوطن القومي لنقول إن مركز بيت المقدس من الديانة اليهودية ـ باعتبارها رسالة سماوية ـ هو كمركزه من كل الديانات ـ باعتباره موضعا مقدسا ـ، وهذا اعتقاد لا شأن له بما تثيره الدعاوة الصهيونية من أنه الوطن الذي وُعِدَ اليهود بالاقامة حوله ليحكموا العالم من هناك ، إلا أن هذه الإثارة الصهيونية تحمل في طياتها عاملا هاما من عوامل فناء الصهيونية نفسها ، وهو أن هذا الوطن ـ إذا نجحت إسرائيل في إقامته وتأمينه ـ سيأتي عليه يوم لا يتسع ليهود الارض المدعوِّين اليه ، وساعتها لن تستطيع إسرائيل أن ترد عنه المهاجرين الجدد ، وإلا فان الدعوة الصهيونية سوف تنعدم من أساسها ، ولعل الصهاينة شعروا بهذا الخطر الكامن في أساس دعوتهم ، فعمدوا الى التوسع والغزو ، ولن يتوقفوا عن ذلك مادام في الأرض يهود مدعوُّون الى الوطن القومي ، وطالما كان لهذا الوطن القومي جيران يسهل التوسع في أراضيهم .

فأما متى ستكف إسرائيل عن التوسع ،... فهذا ما لا نظنه بالامر الذي يتحقق من تلقاء نفسه ؟ وأما متى سيكف جيران بيت المقدس عن تمكين إسرائيل من البقاء بينهم فضلا عن الغلبة عليهم والتوسع في اراضيهم ؟ فهذا ما نرجوه ، وندعو الله أن يحققه ، والناس أن يعملوا له .. وهم إذا عملوا له .. فالله لا شك ناصرٌ جُنده ، مُنجزُ وعده ، مؤيدٌ حقه ..



القصاص في الإسلام

الاستاذ/ السيد مصطفى الجرف

القصاص لغة هو الجزاء على الذنب اي يفعل بالفاعل مثل ما فعل او يقتل القاتل بدل القتيل . والقِصاص (بكسر القاف) والقَوَد (بفتح وفتح) بمعنى واحد . ومن المعنى اللغوى جاء المفهوم من القصاص في شريعة الاسلام .

ونورد فيما يلي انواعا ثلاثة للقصاص يندرج تحتها كل احكامه لافتين النظر الى حقيقة باهرة مؤداها ان الامم السابقة لم تكن تسوى بين الدماء في القتل او الجرح وانما كانت تكيل بكيلين فكانت عدالتها متهمة تثير الاحقاد في نفس المجني عليه وتدفع به وهو الاضعف ناصرا في اغلب الاحوال ـ الى مهاوي الاستخذاء والهوان كما سنرى بعد .

اولا : **حد القتل** :

وقد يسمى القصاص في القتلى . وهو عقوبة من يقتل انسانا بغير حق واصله في كتاب الله (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**) الانعام/ ١٥١ وهذا هو تحريم الفعل أو تجريمه . وقوله تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) الاسراء/ ٣٣ وهذا هو القصاص . ويقول ابن تيمية : لا يقتل غير قاتله . والعدوان بالقتل شر انواع العدوان لانه سلب لحياة خلقها الله عز وجل . وقد ورد ذكر القصاص نصا اربع مرات في القرآن الكريم ينذر ولي الدم اذا ما تجاوز حقه فاعتدى على غير القاتل . يقول تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم**) البقرة/ ١٧٨

ويتردد هذا النذير للمعتدي ضمن حديث رواه أبو شريح الخزاعي حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اصيب بدم أو خَبْل (بفتح فسكون ومعناه الجراح) فهو بالخيار بين احدى ثلاث فان اراد الرابعة فخذوا على يديه : ان يقتل او يأخذ الدية او يعفو . فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فان له جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » رواه الدرامي

وهكذا يمقت الاسلام البغي في شتى صوره ويسحقه . ذلك لان الباعث النفسي – وهو الذي يرعى جانبه القانون الوضعي المعاصر في الديمقراطيات الغربية وتوابعها من شعوب الامة العربية – لو ترك له المجال في مثل جريمة القتل لأهلك الموتور الحرث والنسل . وهكذا تظل دائرة الانتقام والانتقام المضاد تدور بمزيد من الضحايا الأبرياء وهو امر لا يستقيم به شأن مجتمع من المجتمعات فوجب الحسم بالقصاص العدل وكفى . **والقصاص عدل في ذاته وحياة** .

والقتل ينقسم من حيث هو جريمة الى ثلاث مراتب هي :

١ – **العمد المحض** : او ما نعبر عنه بالمصطلح الجنائي الحديث : القتل العمد .
٢ – **الخطأ الذي يشبه العمد** : وهو ما نطلق عليه الضرب المفضى إلى الموت .
٣ – **الخطأ المحض** : والاصطلاح المقابل له في قانون العقوبات ، القتل الخطأ .

وجرائم القصاص وقد يسميها بعض الأئمة من فقهاء الاسلام بجرائم الدماء تقررت بالكتاب والسنة على سبيل الحصر فلا جريمة ولا عقوبة بغير نص وهكذا سبقت أمة الاسلام دول أوروبا بما يناهز ألفا ومائتين من السنين في تقرير هذا المبدأ الذي هو جماع فخر الثورة الفرنسية وعنوان ما يطلق عليه حقوق الانسان !

وعقوبة النوع الأول (العمد المحض) عند الامام ابن تيمية أن القصاص في تلك

الجريمة واجب على من قتل شخصا بالسيف أو بآلة حديدية أو نحوها ومن شأنها أن تؤدي الى القتل أو بالتحريق والتغريق والالقاء من مكان شاهق والخنق وامساك الخصيتين حتى تخرج الروح وغم الوجه (أي تغطيته) وسقى السموم ويمكن أن نضيف الى ذلك الصعق بالتيار الكهربائي أو دفع شخص فجأة أمام سيارة أو قطار لقتله ونحو ذلك من أفعال .

فهنا يجب تمكين أولياء المقتول من القاتل فان أحبوا قتلوا ، وإن أحبوا عفوا ، وان أحبوا أخذوا الدية (ونلاحظ أن الدولة هي التي تنهض بمهمة تنفيذ القصاص وليس المجني عليه بنفسه أو ولي الدم) . ويفتي الامام أبوحنيفة بأنه لا قصاص في جريمة العمد المحض الا اذا تم القتل (بمحدد ينفذ في الجسم) !! كسيف أو رمح ويمنع القصاص في القتل الذي يقع بآلة ثقيلة من شأنها أن تقتل ولا يمكن أن يقصد بها غير القتل !! ولكنه يوجب تعزير القاتل بهذه الطريقة بأشد أنواع التعزير . وغني عن البيان أن الامام يرى هنا إيجاب الدية على القاتل فضلا عن التعزير . والتعزير عقوبة متروك للدولة تقديرها بما يناسب كل جرم يرتكب أو ايذاء للغير بفعل أو قول أو اشارة فيما لم يرد به نص من الجرائم . والدِّيَة في جريمة القتل العمد المحض مائة من الابل .

والنوع الثاني يحدده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « ألا ان دية قتيل الخطأ شِبه العمد (بكسر الشين) ما كان بالسوط والعصا مائة من الابل منها أربعون خَلِفَة (بفتح الخاء ثم كسر ففتح) أي حوامل ، في بطونها أولادها » رواه الدارمي والنسائي وابن ماجة وأبوداود عن ابن عمر .. ونلاحظ أن الجرائم العمدية ذات أركان ثلاثة هي : الركن الشرعي أي وجود النص المجرم للفعل والمحدد للعقاب ، والركن المادي وهو صدور الفعل المكون للجريمة – من المجرم ايجابا وسلبا (أي أن الجريمة وقعت بفعل صادر عن المجرم أو وقعت لأنه ترك فعل شيء) ، والركن الأدبي وهو مدى توافر مسؤولية المجرم عن الأمر الذي وقع منه من حيث الادراك والارادة . لذلك ففي جرائم النوع الثاني نفتقد الركن الأدبي وهو القصد الى القتل ، فالجاني لم يكن يقصد الا الضرب فوقع القتل رغما عنه وبغير ارادة منه ، وهذا هو القصد المتعدى كما يعبر عنه في فقه القانون الوضعي .

أما النوع الثالث فمشروعيته ثابتة بكتاب الله . قال تعالى : (**... ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء/٩٢ ..

ومثال تلك الجريمة ، قتل شخص بمقذوف ناري طائش في حفل ما ، أو أن يخطيء سائق السيارة فيقتل انسانا بلا قصد القتل ، وهذه الجرائم ليس فيها قصاص بالقتل وانما فيها الدية وهي مائة من الابل فضلا عن الكفارة كنص الكتاب وسواء كان العبد المحرر ذكرا أو أنثى ، والا فالصوم كما تحدد في الآية الكريمة .

ثانيا : القصاص في الجراح :

وهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ، بشرط المساواة فاذا فقأ أحد الأشخاص عين شخص آخر كان للأخير أن يفقأ عين المعتدي اذا كان عامدا متعمدا ، وكذلك ان كسر سنا له وجب القصاص بالمثل . وهنا تفصيل لن نلبث عنده الا بما يكفي لبيان الحكم في قصاص الجراح . فنجد الامام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن يورد في هذا الباب ثلاثين مسألة وهو يستشرف الآية الكريمة التي نزلت بحكم الله في أمر اليهود المختلفين في القصاص وهم بنو النضير وبنو قريظة حيث كان النضيري يأنف أن يساويه القرظي في دمه عند القصاص فنزل قول الله تعالى : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسِّنَّ بالسِّنِّ والجروح قصاص فمن تصدَّق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/ ٤٥ .. وخلاصة ما انتهى اليه الفقهاء أن الامام ابن تيمية يقول بالمساواة ، وكذلك يرى أبوحنيفة والشافعي خاصة فيما لو كانت الجريمة فقء عين وكان المجرم ذا عين واحدة (أي أعور) فحتى في هذه الحالة يرى الامامان وجوب القصَاص أي أن المقتص منه سيصير أعمى ! وأما مالك بن أنس فيقول في هذه الجريمة إن شاء المجني عليه اقتص فتركه أعمى وان شاء أخذ الدية كاملة والمقصود هنا دية عين الأعور . والحق ان الحديث في هذا الباب أكبر من أن يستقصى في مقال ولكن عمق البحث الذي خلفه كل من الأئمة المجتهدين وتلاميذهم يدلنا على روعة الفكر القانوني عندهم وقدرتهم وذكائهم في استكناه واستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية في الكتاب والسنة والله أعدل الحاكمين .

أما في الاعتداء على الأطراف (كالرجلين والأصابع واليدين) فقد اتفق جمهور الفقهاء على أن الاستواء أو المماثلة (أي المساواة) فيها لا يمكن أن يكون مقدرا تقديرا تاما فليس من الميسور غالبا احداث جرح مماثل تماما لجرح آخر ولذلك شاعت عبارة جامعة كأصل شرعي بين الفقهاء وهي قولهم « ان الاعتداء على الأطراف عمده كخطئة في كثير من الأحوال » بمعنى أنه في حالة احداث جرح بشخص ما ، فان حقه ازاء الجاني يقتصر على الدية أو العفو حتى ولو كان هذا الجاني عامدا متعمدا للحكمة التي تلخصها العبارة الآنفة . ولكن هناك حالة واحدة يمكن فيها القصاص في الجراح وهي ما يسمى بالموضحة (بتشديد الضاد مع الكسر) وهو نفوذ الجرح في لحم المجني عليه حتى يمكن رؤية العظم وهنا يمكن للقصاص أن يكون صورة ومعنى أي أن الجرح يكون بجرح مثله وهذه هي الصورة ، أما المعنى فهو ما يسمى بأرش الجناية أو ديتها أي العقوبة المالية بسبب العدوان بالجرح والشج للجسم . ويتفق الفقهاء على أن يضاف التعزير اذا كان المعتدى عليه ممن اشتهر بالتطاول على الناس والتعدي عليهم .

أما اذا كانت الجريمة عبارة عن ضرب باليد او بالعصا او بالسوط ففيه خلاف فيرى البعض القصاص استنادا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة ، وهو يلفت نظر أنس بن مالك حيث أراد الأخير حض المجني عليها على قبول الدية وكانت جارية لعمته « يا أنس : كتاب الله القصد » وكانت عمته قد كسرت لها سنا . ولكن لعدم توافر ركن العمد (أي القصاص المصر) بلغة القانون الوضعي في مثل هذه الجريمة ، يرى البعض الآخر من العلماء المجتهدين أنه لا قصاص بل يجب التعزير لعدم امكان المساواة .

ثالثا : القصاص في الأعراض :

وهو ثابت بدوره ، بالكتاب والسنة والاجماع ،؛ قال تعالى : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)** الشورى/ ٤٠ ويقضي الرسول العادل الرحيم بحكمه فيقول صلوات الله عليه وسلامه : « المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما ما لم يعتد المظلوم » وهو ما يطلق عليه الانتصار نسبة الى ما جاء في محكم آياته عز وجل : **(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)** الشورى/ ٤١ .. والقصاص هنا يكون برد الاهانة أو الشتم أو القذف في العرض على ألا تكون بزنا أو لواط فان لذلك حدا معروفا ومقررا هو حد القذف . وأما اذا كان المعتدي قد افترى أي ذكر كلاما غير حقيقي في الشخص المعتدى عليه كأن قال له : يا شيوعي أو ياكافر وهو ليس كذلك فلا يرد عليه ، ويكون للحاكم أن يعزر مثل هذا المعتدي بشرط أن يتقدم بالشكوى من وجه اليه اللفظ المنكر .

خاتمة :

هذا وكل ما ورد في وجوب القصاص انما يكون في الجرائم العمدية أو ما يطلق عليه في الفقه الشرعي العمد المحض أما اذا تخلفت الارادة فلم يكن هناك عمد ـ أي افتقد الركن الأدبي من أركان الجريمة ـ فيحل حق المجني عليه في أحد أمرين لا ثالث لهما : العفو أو الدية كما سبق البيان . هذا ولا يمنع القصاص تعزير الجاني لمنع الفساد في الأرض ، اذا توافرت شروط ذلك .

كذلك فان عفو المعتدى عليه (المجني عليه) عن الجانى لا يمنع الا ايقاع القصاص به ولكنه لا يغل يد الحاكم عن تأديبه وزجره ان كان لذلك مقتض وحكمة . ولئن حبب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو حيث يقول : « ما زاد عبد بعفو الا عزا » النسائي .. فان ذلة الجاني المعفو عنه ، بين يدي المجني عليه أو ولي دمه ، ربما كانت في بعض الأحوال أشد أيلاما لنفس الجاني من كل عقوبة .

هذا وأستغفر الله لقصور أو تقصير والله تعالى أعلم .

للاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي

شاء الله لقلب الصغير أن يعتصره ألم اليتم ، وشاء له أن يأسى كما يأسى سائر الناس بالرغم من أنه أحب خلقه ومصطفاه ، وكان المتوقع في معايير الناس ومقاييسهم العابرة غير الفاحصة ـ أن يعيش أحب خلق الله الى الله بمنأى عن الأسى والالتياع ، وأن يحيا حياة مترفة باذخة لا تشوبها شائبة ألم أو شظف ، ولكن ذلك لم يكن ؛ لأن هذا المصطفى من خلق الله سيغدو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والأسوة الحسنة ، والسراج المنير لأمة سيكون من بينها ـ شأن سائر الأمم ـ من ستضغط عليهم بأساء الحياة وضراؤها ، وهم في بأسائهم تلك سيتطلعون إلى من يمسح على قلوبهم بيد رحيمة حانية ، ولا يفعل ذلك إلا من عاش ظروفهم ، وآسى كما يأسون ، ولقى ما يلقون من كل ما يصيب النفس البشرية عبر حياتها بشيء من الأسى والألم .

وليس ألم لنفس غضة كبرعم صغير ـ من فقد الوالد أو الوالدين ،

فبفقدهما يشعر الصغير كأن منافذ الرحمة في الوجود قد أوصدت أمامه :« .. هذان في الدنيا هما الرحماء ». وشاء الله تعالى أن يجمع لديه فقد الأب والأم ، وهو بعد غض نضير ، لا يقوى على تحمل الأسى ، ولا يطيق فؤاده فراق مصادر الرحمة والحنان ، ولكن الله الذي شاء له ذلك كان يهيئه تهيئة جذرية - إن صح ذلك التعبير - لأجل رسالة ، وأعظم عمل ؛ ليكون هداية ورحمة للعالمين ، فالعمل من الخطورة بحيث يستدعي التهيئة المبكرة ، حتى لكأنه بيتمه في صغره يوضع موضع الرجال ، بحيث يواجه مآسي الحياة من فجر وعيه حتى يستجمع طاقاته الموهوبة ، وحتى يحصر استعانته على الخطوب في الله وحده : « .. وإياك نستعين ». فاليتم المبكر كما أشعره بالأسى ليكون رحمة للعالمين - مرنه على أن يتجه في استقامة إلى الله تعالى وحده إذ لا والد ولا والدة منذ نعومة الظفر ، وحتى لا يذكر في كبره عندما يجابه إعراض المعارضين ، وصد الصادين - معونة أب أو أم ، فلكم سمعنا ونسمع كبارا يقولون في معترك الحياة ، وعند ضغط الشدائد والخطوب : « أين أبي ؟ وأين أمي ؟!» إن من يقول ذلك - ولو كان رجلا كبيرا - هو قطعا إنسان عاش في كنف الوالدين ، بين الترف والنعيم والتدليل ، وكان دائما يهرع إلى الوالدين كلما حز به أمر من أمور حياته الصغيرة ، فنشأ لا يعرف ملجأ وملاذا إلا هذين الوالدين . وشاء الله تعالى أن يكون فقد الوالد قبل أن يرى الصغير النور ، ربما - والله أعلم - ليعيش فجر عمره في كنف ينبوع الرحمة .. في كنف الأم ، إذ أنه يعد ليكون رحيما : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/ ١٠٧

ثم نخطو معه بعض مراحل عمره بما كان فيها من صبر على الشدائد ولجوء إلى الله تعالى ، وانقطاع إليه في إيام تحنثه وتعبده الليالي ذوات

العدد - حتى نقف لدى رحمته المنداحة التي تفجرت ينابيعها بصورة لم يعهدها تاريخ البشرية من قبل ؛ لندرك أن مراحله الأولى - بما اكتنفها من صنوف الأسى ، وبخاصة اليتم - لم تكن إلا تهيئة لتلك الرحمة الشاملة التي لم تدع ذا كبد رطبة إلا عمته في رحابها الفسيحة الندية ، فهو الذي كان يمسح على رأس اليتيم - أي يتيم - ثم يقول : « أنا وكافل اليتيم كهذين في الجنة » ويشير إلى السبابة والوسطى ، وهو الذي كان يغسل الطفل الصغير بيديه الشريفتين ، ثم يرفعه إلى صدره ويقبله في عطف غامر ، وحنان دافق لا يعدلهما إلا حنان الأم وعطفها ، ثم يقول لمن يعجب من ذلك - وهو الأقرع ابن حابس - : « من لا يرحم لا يرحم » ، وهو الذي يحس أدنى الألم يصاب به المسلم ، فيألم له ، وينهى عنه ، وكأنه ذاق منه ، فلقد كان أصحابه في سفر معه ، فأخذ بعضهم من أخيه وهو نائم حبلا ، فاستيقظ ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » ، وينظر صلى الله عليه وسلم فيرى نماذج من الناس غير اليتيم والصغير وضعتهم ظروف الحياة في مواضع تستدعي البر والرحمة ، فيفيض عليهم من رحمته توجيها وعملا ، إنهم الخدم الذين تكاد نفوسهم تنفطر ، وقلوبهم تتقطع أسى ولوعة حينما يجدون بشرا مثلهم في قمة الحياة بذخا ونعيما ، وهم دونهم بمراحل ، ولن يسرى عنهم ، أو يرضيهم بمكانتهم إلا يد رحيمة تمسح الأسى من قلوبهم ، وبسمة ندية ترف على ثغر إنسان رحيم يفتح لهم صدره ، ويشعرهم بإنسانيتهم ، اذ ما ذنبهم في وضعهم ؟ وهنا نجد اليتيم الرحيم : محمدا صلى الله عليه وسلم - يولي هذه الطوائف من البشر رحمة وعناية ترتفعان بهم إلى مصاف اخوانهم الذين يفوقونهم في حظوظ الحياة ، فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه - قال : ساببت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟! ، إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم مما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ».

ونجده - صلى الله عليه وسلم لا يدع نمطا من البشر يحتاج إلى الرحمة إلا رحمة ، وأوصى برحمته ، والبر به فالنساء قديما قبل الاسلام كن يعاملن في مجتمعهن معاملة تدعو إلى الأسى ، ثم إلى الرحمة التي تنقذهم من الجور والإعنات ، وهن مخلوقات ضعيفات ، فكانت وصاته - صلى الله عليه وسلم - بهن نداء نديا : « استوصوا بالنساء خيرا » ويقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ».

ورحمته صلى الله عليه وسلم - رحمة إنسانية لا تفرق بين جنس

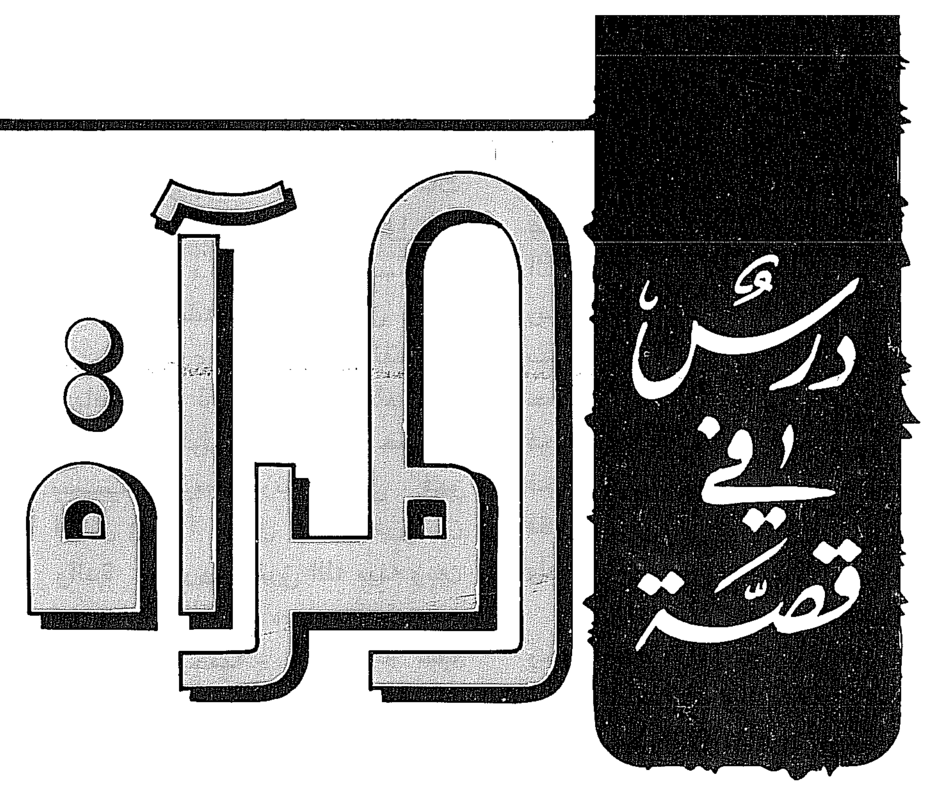
وجنس ، أو لون ولون ، ومن ثم لم يحرمها أصحاب الديانات الأخرى ، حتى ولو كانوا من الأعداء ، ما داموا في وضع يستدعي العطف والاشفاق ، فلقد كان يوصي جنده بالأسرى خيرا ، حتى لقد كان ينهاهم عن أن يأسروا الأم دون الولد ، أو الولد دون الأم ، حتى لا يسبب لقلبيهما حزنا أو أسى ، فهو القائل في هذا المجال : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ».

وتنداح رحمته - صلى الله عليه وسلم - فتبسط جناحيها على كل ذي كبد رطبة ، فالحيوان الأعجم له في رحمته أوفر نصيب ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا ، فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله : وإن لنا في البهائم أجرا ؟! فقال : نعم ، في كل ذات كبد رطبة أجر » - رواه الشيخان -

والأم من الطير تهز رحمته فيحس أساها وألمها حينما يعتدي صحابي على فراخها ، فيأمر برد فراخها إليها وكأنه يذكر ألم الفراق بين أشد المخلوقات تعلقا والتصاقا : بين الوالدين والأبناء ، فيستشعر أسى عصفورة خطف فرخاها ، فعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلقت لحاجتي ، فرأيت حمرة معها فرخان ، فأخذت فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تُعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : « من فجع هذه بولدها ؟! ردوا ولدها إليها ».

من هذا التطواف العابر في رياض رحمته صلى الله عليه وسلم ، ومن تذكر تاريخ مولده ، وأحواله في نشأته - ندرك أن الله سبحانه وتعالى قد وضع نبيه ومصطفاه في ظروف من الحياة تجعله يحس - حينما يقوى على العمل - مآسي من وضعوا في ظروفه ، أما كونه - صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين من جهة مجيئه بخير دين أضاء ظلام الحياة - فهذا أمر معروف من الدين بالضرورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يفي بتجليته مقال .

وبعد ، فما أحرانا نحن المسلمين - أن نسير على نهج النبي الرحيم في الرحمة الندية ، والأريحية الانسانية ، والمثالية البشرية ، ذاكرين أن التراحم أقوى دعائم السعادة التي كان ينشدها رسول الله صلى عليه وسلم لأمته : (**لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) التوبة/ ١٢٨



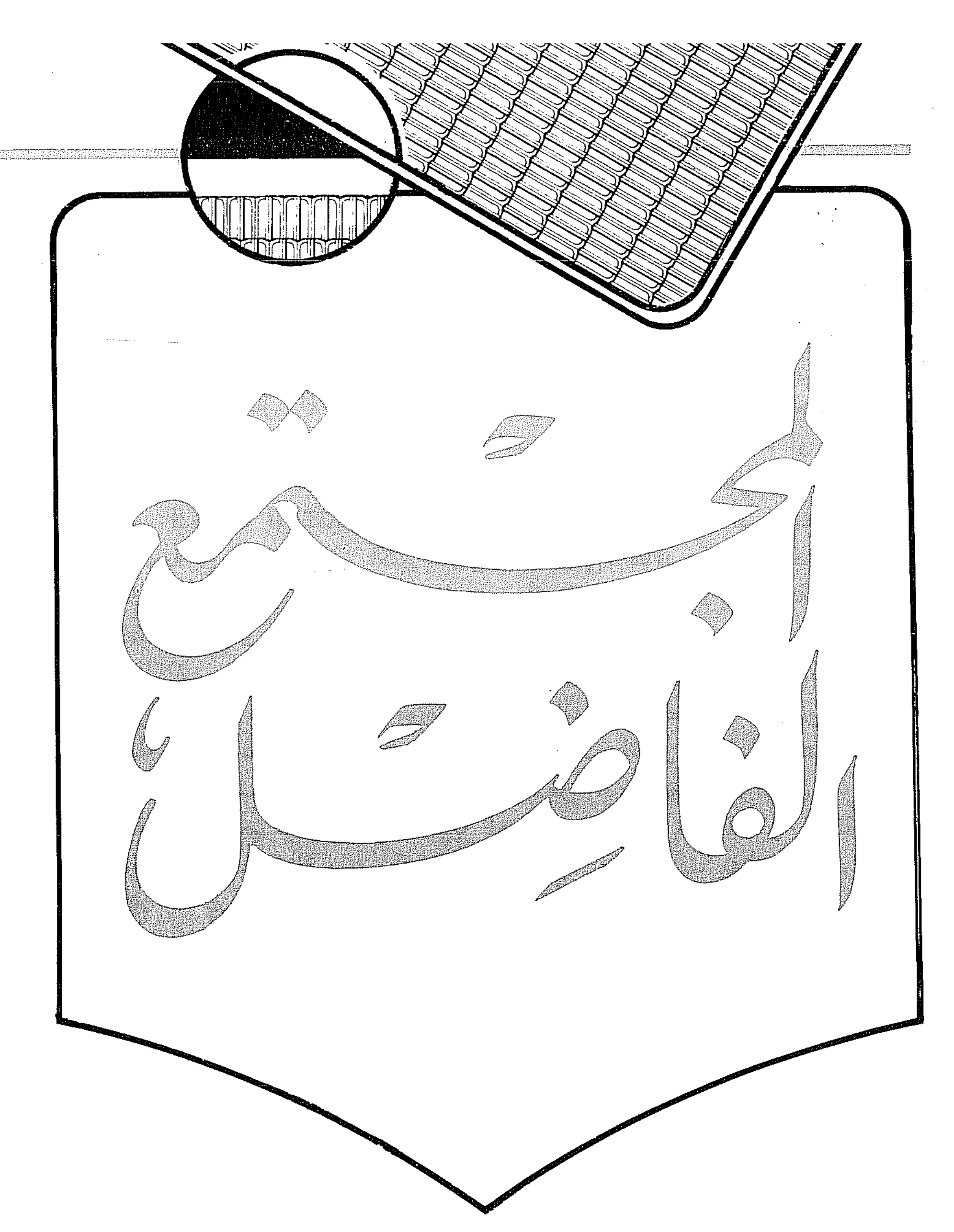
: محمد عبد الرحمن صان الدين

كان شيخنا ـ رحمه الله ـ بحر علم زاخر ، وكانت له سبحات في سماوات الفكر والمعاني بأجنحة من صفاء الروح وتقوى القلب ، يرتاد مجاهل النصوص ويجوب منحنياتها ليستخرج من جيوبها أدق الاحكام واروع العبر ، وكان اذا اراد التحدث في موضوع ما ، قدم له مسبقا بارهاصات ومثيرات تشغل افكار تلاميذه ، وتوقظ عقول مريديه ، وتستولي على اهتمامهم وتطلعهم الى المعرفة ، حتى اذا استحكم الظمأ وبلغ الجوى من النفوس مداه أخذ يسكب عليها سلسالا من فيض علمه حتى ترتوي . وكان من بين رواد حلقة الشيخ شخصان ، على طرفي نقيض من أمرهما ، فأحدهما يبالغ في التزين والتأنق في ملبسه ومنطقه وتحركه الى حد يثير الاعجاب عند القلة ، والاشمئزاز عند الكثرة ، والآخر كان مثالا للفوضى والاضطراب في قوله وفعله فضلا عن رثاثة ملبسه وهيئته ، ولكنهما يتفقان في شيء واحد . هو الحضور الى الحلقة متأخرين دائما ، وكأنهما يعرضان علينا كل يوم النقيضين ، فتسمع الهمسات والتعليقات المختلفة الى أن يأخذ كل منهما مكانه القاصي من الحلقة ، ويمضي الشيخ في حديثه فتنصرف الأنظار والعقول اليه حرصا على استيعاب كل ما يتفوه به ، وذات يوم قال الشيخ بعد ان فرغ من الدرس :ـ أيها الابناء إني أهيب بكل واحد منكم أن يتخذ له

مرآة يجتهد في أن تكون نقية صافية حتى تنعكس عليها صورته الحقيقية وتكشف له عن حاله ، فيصلح من شأنه ويقوم معوجه وينفي شوائبه ، وأحب أن أرى مرآة كل منكم ، لاعرف مدى درايته وحسن اختياره للمرآة التي يرى فيها نفسه . فأخذناالعجب من أمر الشيخ اذ كيف تنال المرآة منه هذا الاهتمام وهو الزاهد الورع الذي يحيا بروحه وحسه في السماء ، وليس لجسمه ولا لقوانين الأرض سلطان عليه إلا بالقدر الضروري للحياة ، فكيف يحثنا على اتخاذ مرايا ، وقد كنا نعدها من لوازم النساء ، ونعد الناظر فيها من الرجال مفتونا ، ولكننا نعلم علم اليقين ان الشيخ لا يهزل ولا يمزح ، وانه لا يصدر الا عن فكر وروية ، وانه يعني ما يقول . فما أن انتهى من الدرس وانفرط عقد الحلقة حتى انصرف كل منا الى السوق يجوب الحوانيت والمتاجر مجتهدا في اختيار مرآة على جانب كبير من الجودة والأناقة علها تحوز رضاء الشيخ واعجابه فيزداد عنده حظوة وتقديرا لخبرته ومهارته . وجاء اليوم التالي وانتظمت الحلقة وأقبل الشيخ في هالة من نور العلم والتقى ، وجلس على كرسيه في دعة ووقار تحف به القلوب والأبصار ، ونظر فرأى الكل متحفزا وقد وضع كل واحد يده في جيبه أو حقيبته فقال : هل استحضرتم مراياكم ؟ فأجبنا بصوت واحد : نعم نعم يا شيخنا ، ومضى كل منا يعرض مرآته في ثقة وازدهاء فوالله ما التفت الى احداها وما زاد عن قوله : ضعها في جيبك ، ضعها في حقيبتك ، وقد لاحظنا انه كلما عرضت عليه مرآة تغشت وجهه المشرق مسحة من ضباب الامتعاض والأسف فاستحكم عجبنا ، وأخذتنا الحيرة ، وانتهينا من عرض مرايانا غير واحد منا قد اعتذر في حياء بأنه لم يستطع احضار مرآ ته اليوم ووعد باحضارها في الغد فعزونا ذلك الى رقة حاله وضيق ذات يده عن شراء مرآة جيدة ، والتفت الشيخ قائلا : إني محدثكم عن المرآة في الغد ان شاء الله تعالى ، وسار في درسه كالمعتاد حتى انـتهى منه وانصرف وانصرفنا ونحن نتساءل ترى ماذا يقول الشيخ عن المرآة ؟ وماذا يعرف عنها وعن أنواعها وجيدها ورديئها ؟ وما سر اهتمامه بها الى حد أن يخصها بحديث . وجاء الغد ونحن في لهفة بالغة الى ما يقول الشيخ عن المرآة ، توافد الجميع الى الحلقة ولم يتخلف احد ، وما إن أخذ الشيخ مجلسه حتى أشار الى زميلنا الذي لم يحضر مرآ ته بالامس وقال له : هل أحضرت مرآتك يا هذا ؟ فأجاب : أجل يا شيخنا الجليل قال الشيخ : فأرنيها اذا فمد الزميل يده اليمنى ووضعها على كتف شخص بجواره - لم نره من قبل في الحلقة - واشار بسبابة يده اليسرى الى وجهه الذي هو أقرب الى السحمة والدمامة منه الى البياض والوسامة وقال في ثقة واعتزاز : هذا هو مرآتي يا سيدي الشيخ : فضحكنا جميعا لهذه الدعابة الطريفة التي تعودنا مثلها من هذا الزميل المرح ، ولكن سرعان ما تلاشت ضحكاتنا حينما رأينا الشيخ - وقد تهلل وجهه - يضرب بكفه على فخذه

ويقول في نشوة غامرة : فقيه والله ، فطين وربي ، أنت الذي فقه ووعى ، زادك الله يا بني علما وفقها ، وبارك لك في مرآتك ، وبارك له فيك ، فأسقط في أيدينا وبدأنا ندرك ما كان يرمي اليه الشيخ واننا كنا نمر باختبار لقياس الفهم والادراك . ثم اخذ الشيخ يتحدث قائلا بعد ان سمى الله وحمده واثنى عليه : يا أبنائي : طبيعة المرآة ووظيفتها انها تعكس الصور التي تقابلها ، فتكشف للناظر فيها صورته وهيئته فيرى ما خفى عنه وما لا تقع عليه عينه ، وبقدر جودة المرآة ونقائها تكون درجة الكشف من الصدق والصحة والوضوح . والمؤمن في حاجة ماسة الى مرآة جيدة ليرى فيها نفسه ، ويعرف ذاته كما هي ؟ ولكن مرآة المؤمن ليست من البلور وان صفا جوهره وجادت صنعته ، فالبلور لا يكشف الا ما يواجه به ، ولا يعكس الا ظاهرا محسوسا بالعين من الاجرام والأجسام ، ويستوي امامه الانسان وغير الانسان ، والطيب والخبيث ، المؤمن والكافر . وانما هي ـ أي مرآة المؤمن ـ من عنصر آخر اكثر شفافية وأدق تصويرا ، إنها تعكس المعاني الملابسة للمحسوسات ، الصورة وما وراء الصورة ، دون تزويق أو تزوير أو حذف أو اضافة ، فيهتدي الناظر فيها الى ما فيه من محاسن ونقائص حسية او معنوية فيزيد من محاسنه او يحافظ عليها ، ويأخذ في تلافي نقائصه وعلاجها وما هذه المرآة الا الانسان المؤمن . روي ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن مرآة المؤمن » وأطرق الشيخ قليلا ثم رفع رأسه وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة وهو يقول في صوت حالم : أجل « المؤمن مرآة المؤمن » وكأن صورا حية من واقع الحياة طافت بخاطره تقول : صدق رسول الله ، وأجال نظره في الحلقة مستأنفا حديثه السلسال قائلا : انها ـ اي مرآة المؤمن ـ الانسان المؤمن . اذا هي مرآة حساسة مميزة . نقاذة بصيرة ذات فراسة وفطنة . فالمؤمن كيس فطن . وهي لا تعكس الا الصورة النقية الطاهرة الخالية من الأوشاب ، صورة المؤمن الذي يجانسها ويشاركها عنصر الايمان . وارتفع صوت الشيخ في نبرات تهز المشاعر وكأنها اختلاجات قلبه وهو يقول : ان الايمان نور وهل يكون من النور الا الهداية والارشاد ؟ وهل يرى النور الا مبصر ؟! أما غير المؤمن وان حسن مظهره وراق منظره فان صورته لا تنعكس ولا تظهر على مرآتنا هذه ، لانها صورة شائهة يحجبها عن الظهور ضباب الكفران ، وأدران الذنوب ، وأبخرة الشهوات الداكنة ثم انظروا يا ابنائي الى اسرار النطق النبوي وخفاياه الجليلة في ايجاز معجز فقد شبه عليه الصلاة والسلام المؤمن الذي هو في أسمى درجات الانسانية صفاء ونقاء وعنصرا بالمرآة التي لا شك أنها في أعلى درجات البلور صفاء ونقاء وعنصرا ليتطابق وجه الشبه بينهما وهو الكشف الصادق والوضوح الكامل . وارتفع صوت من آخر الحلقة سائلا : أيها الشيخ : قد يصدق شخص في نقد شخص آخر فيقابله بامتعاض أو بنقد

أشد وقد ينتهي الأمر بالملاحاة ثم القطيعة ، لذلك يؤثر أكثر الناس في وقتنا الحاضر كتمان ما يرى ويفضل السكوت عليه ابقاء على الصلات والعلاقات فما التدبير والحالة هكذا ؟ فأجاب الشيخ قائلا : انظر الحديث الشريف انه يقول : « المؤمن مرآة المؤمن » فايمان هنا وايمان هناك وحيث يوجد الايمان توجد المصارحة والصدق من طرف ، ويوجد القبول والإذعان من الطرف الآخر . ولتعلم ـ رعاك الله ـ ان ما مثل المؤمنين في الحديث الشريف الا كجهازي الارسال والاستقبال المرئي (التلفاز) ان اختلا أو اختل أحدهما ، أو تكدر ما بينهما توقف الارسال والاستقبال أو توقف احدهما او ظهرت الصورة مضطربة مرتعشة ، مصغرة او مكبرة او معتمة الجوانب ، وبذلك تخفي الحقيقة أو تلتبس على الرائي ، وفي غيبة الايمان أو اضمحلاله وشحوبه في النفوس فان اكثر الناس اما شانىء حاقد يجحد المحاسن في الآخرين ويواريها ، ويبرز المساوىء والهنات وينشرها مضخمة بدافع الحقد الهادر في الأفئدة ، او بعكس ذلك بدافع الحب الأحمق الكاذب النابع من الكلف بالمنفعة المادية او المعنوية او الخوف او الرجاء ، فهو اذاً ملقٌ ونفاقٌ وتزويرٌ ، وفي الحالين يوردان موارد الهلكة والضياع ، ويؤديان الى البلبلة والفساد ، فالأولى تقف دون أهل المواهب والقدرات الممتازة عن تبوء المكانة التي هم بها جديرون ، وتوسد الامر الذي هم له مؤهلون ، واما الثانية فهي قاصمة الظهور ومصمية الصدور بما تجلب من الاغترار بالنفس واعتقاد وجود ما لا وجود له فيكون السلوك والتصرف وفق ذلك الوهم الخادع ، فيخيل للمرء انه يمسك السماء ان تقع وما يمسك الا غروره وحمقه ، وبذلك يقع الفساد الكبير والبلاء الماحق في الافراد والأمم ، وحينئذ لا يكون ايمان ولا مرآة ، ولا أُمن ولا امان بل لا تكون الا الشكوك والريب ، والهدم والتدمير . وهنا أطرق الشيخ في صمت ، وطال اطراقه وصمته حتى ظننا أن سنة من النوم قد أخذته ، فسرى في الحلقة شيء من اللغط والحركة يهدف ايقاظه وتنبيهه فرفع رأسه وقد تغير وجهه وبرقت في عينيه دمعة وقال بصوت مخفوق حزين : أقول حينما تختفي تلك المرآة مرآة الايمان من المجتمع ـ والعياذ بالله ـ تنطمس معالم الطريق وتتوارى الحقائق ويعبث الحق بالباطل ، فيقف الحليم حيرانا لا يدري ما يمينه وما شماله ولا اين يضع قدميه ولا كيف يسير ، ولا من يسمع ومن يجيب الا من عصم الله وقليل هم ، انها الداهية الدهياء التي تمحق البركة في الأرض وتغتال الهناءة والسكينة في بني الانسان . وقانا الله شرها وطهر مجتمع الاسلام من بوادرها ، وبصرنا سبيل الرشاد والنجاة . وانتهى الشيخ من حديثه وانصرف وانصرفنا وفي النفوس شحنة هائلة تعمل عملها في العقل والوجدان ، وراح كل منا يفكر في نفسه تارة وفيمن يعايشهم تارة اخرى باحثا عن المرآة .



للأستاذ / حسنين نعيم

ليس ثمة شك في ان الاسلام يبني المجتمع على اسس سليمة وقواعد متينة ، تكفل له البقاء شامخا قويا وعزيزا أبيا ، وذلك بما احتوى من مبادىء وأخلاق وبما اشتمل عليه من نظم ومثاليات ولقد رأينا كيف ان مجتمع ما قبل الاسلام بما كان عليه من تفكك وتمزق وانهيار وانحراف وفساد ، قد تحول بالاسلام الى مجتمع فاضل قوي سعيد متماسك ، تسود بين افراده المودة والمحبة ، ولذا

لا نعجب حين نرى المنصفين من المستشرقين يشيدون بالاسلام ويمجدون تعاليمه معترفين صراحة وضمنا بأنه هو الطريق الوحيد الذي يمكن بواسطته اقامة المجتمع الفاضل السعيد كما انه هو الذي يمكن ان يكفل للانسان حقوقه وان يحقق للمجتمع نهوضه ، على اسس الاخاء والمساواة والعدالة التي هي من مبادئه السامية ، يقول المستشرق المجري « عبد الكريم جرمانوس » « كان الذائع ان فكرة المساواة والاخاء والديمقراطية والحرية من ابتكار اوروبا في القرن السابع عشر بينما هي حقيقة من حقائق الاسلام واصوله منذ نشأ » ويقول جاك استروي في كتابه « الاسلام امام التطور الاقتصادي »: ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة وان الشريعة الاسلامية اعدل الشرائع واحكمها فأساسها رعاية المصالح ودرء المفاسد وغايتها اسعاد الناس في الدنيا والآخرة وهي بحر زاخر يحوي كل اسباب القوة والرخاء للامم والشعوب وهي الاساس المكين لبناء الحضارة وفيها من الاصول المرنة والقواعد الشاملة ما يجعلها مسايرة لمصلحة الناس في كل زمان ومكان .

ففي التشريع الاسلامي الوفاء كل الوفاء بحاجات المجتمعات الكبيرة والصغيرة وبمطالب الدول في مختلف الاجيال لأن هذا التشريع هو تشريع منزل من احكم الحاكمين ، ورب العالمين لخير الناس ولمصلحة ورخاء الشعوب ، والمسلمون يملكون بهذا التشريع اعظم المصادر والمقومات الكفيلة ببناء عزة الامم ووحدتها وتقدمها . هذا وقد عقد العالم الامريكي هوكنج استاذ الفلسفة في جامعة هارفرد فصلا مستفيضا عن مصير الثقافة الاسلامية في كتابه « روح السياسة العالمية » حيث تكلم فيه باسهاب عن اصول الفقه الاسلامي ، وعن المذاهب الاربعة ، وقال ان الاسلام يستطيع توليد افكار جديدة ، واصدار احكام مستقلة ، تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ، وفي نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانما في انعدام الميل نحو استخدامها ، واني اشعر بأني على حق حينما اقرر ان الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة جميع المبادىء اللازمة للنهوض .. ثم قال « ان سبيل تقدم الشعوب الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعي ان الدين ليس له ان يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية وعن القانون في النظم السماوية وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم واحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام قادرا على الصمود امام مشكلات العصر » واقول : « انه لا يعدل الاسلام في ذلك مذهب من المذاهب » والواقع الذي لا مرية فيه ان الاسلام يشتمل على كل ما يحتاجه المجتمع ليحيا حياة دنيوية

سعيدة واخروية تحظى برضا الله بفضل تعاليمه السمحة التي لم ترق الى مستواها اي تعاليم اخرى ، والتي تجلت في الاخاء والمساواة والعدل والشورى كما دعت من قبل ذلك الى الايمان بوحدانية الله تعالى الى غيرذلك من المحبة والعطاء والبذل والتضحية والفداء فهذه المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين كان لها ابعد الاثر في تربية النفوس على المساواة والايثار والمحبة والمودة الأمر الذي رأينا معه الانصار لا يفتحون بيوتهم فقط لاخوانهم المهاجرين بل فتحوا لهم ايضا قلوبهم حيث قدموا لهم اعز ما عندهم عن رضا نفس وسماحة خلق . وهؤلاء هم سادة العرب ومنهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يذهبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له ان سادة العرب يأتونك فيستحيون من ان يراهم العرب جلوسا مع اصحابك من الارقاء . امثال بلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم ، فاذا جئناك فأقمهم واذا ذهبنا فأجلسهم حيث شئت فأنزل الله قوله : « **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** » كما يقول جل وعلا « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا** ».

ولقد رأينا كيف ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان حاكما عاما للمسلمين قد وقف يخطب يوما في المسجد واراد ان يحدد مهور النساء لارتفاعها نسبيا حينذاك . فتنبرى له امرأة من آخر الصفوف وتقول : يا عمر . كيف تقول هذا والله تعالى يقول « **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا** » .

وهنا لا يملك عمر الا ان يرجع عن رأيه ويقول قولته المشهورة « اصابت امرأة واخطأ عمر ».

وان نظرة واحدة الى جميع العبادات الاسلامية ترينا كيف ان الاسلام قد سوى فيها بين الناس جميعا فالصلاة يقف فيها الجميع امام رب العالمين واحكم الحاكمين صفوفا منتظمة لا فرق بين غني وفقير ولا بين خادم وامير والحج يستوى الجميع في اقامة شعائره متجردين من الثياب الا ما يستر العورات وكذا الصوم يمتنع المسلمون عن تناول المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس وايضا يستوى المسلمون في القوانين التشريعية روى عن عائشة رضي الله عنها ان قريشا اهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا . ومن يجترىء على ذلك الا اسامة بن زيد حب رسول الله . فكلمه اسامة فقال له الرسول: « اتشفع في حد من حدود الله ثم قال انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا

اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » البخاري ومسلم .

والاسلام مع هذا دعوة اصلاحية تهذب الفرد وتقومه وتوجهه نحو الخير وتحثه على ان يكون سمحا عفوا كريما مهذبا نبيلا عادلا مع ربه وخالقه ومع روحه ونفسه ومع مجتمعه وبني جنسه يقول تبارك وتعالى « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** » وهذا هو رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يطالب الناس بأخذ حقهم منه ان كان لهم حق فعن الفضل بن عباس قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت اليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه فقال خذ بيدي يافضل فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال : ناد في الناس فناديت فاجتمعوا له . فقال : اما بعد . ايها الناس فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو وانه قد دنامني خفوق (غياب) من بين اظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه (يقتص) ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن اخذت له ما لا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني الا وان احبكم الى من اخذ مني حقا ان كان له او حللني فلقيت ربي وانا طيب النفس وقد ارى ان هذا غير مغن عني حتى اقوم فيكم مرارا ».

وحدث ان ابا ذر الغفاري تطاول على بلال الحبشي وقال له يا ابن السوداء فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول :« أساببت فلانا قال : نعم ، قال أعيرته بأمه ، قال : نعم عندئذ قال له الرسول انك امرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » البخاري . فقام ابو ذر ووضع خده على الارض وقال لبلال طأ بنعلك على خدي وكأنه اراد بذلك ان يكفر عما بدر منه في حق بلال ولكن بلالا المسلم الذي تربى على يد الرسول صلى الله عليه وسلم واستقى من معينه ضرب المثل الاعلى في العفو والسماحة عملا بقول الله تعالى « **وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم** » . وكما طبق رسول الله العدالة والمساواة وسائر الحقوق تطبيقا عمليا تمسك اصحابه صلوات الله عليهم بهذه الحقوق وطبقوها تطبيقا يدل على مدى شعورهم بالمسئولية الملقاة على عاتقهم كحكام مسئولين امام الله وامام رعاياهم . فها هو ذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد ضرب الأمثال في تطبيق العدالة وفي تحري الدقة في قبول الشهادة فعندما تقدم اليه رجل لاداء الشهادة قال له ائتني بمن يعرفك ، فأتاه برجل اثنى عليه خيرا ، فقال له عمر : هل انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا : قال هل رافقته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق . قال لا قال فهل عاملته

بالدينار والدرهم الذي تستبين منه ورع الرجل قال لا . قال : اظنك رأيته قائما في المسجد يتلو القرآن يخفض رأسه تارة ويرفعه اخرى . قال نعم . قال عمر . اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك اجل لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والمسلمون الاولون يتحرون العدل في احكامهم فقد اهاب الاسلام بكل مسئول ان يتحرى العدل في تقديره للمرءوسين وحكمه عليهم من اجل ان يشعر المجتمع بالامان والاستقرار ويتفرغ افراده للعمل والبناء ومن ثم ضرب قضاة المسلمين المثل الاعلى في العدالة فذلك محمد بن بشير قاضي قرطبة عندما بعث اليه الخليفة عبد الرحمن الناصر بكتاب يشهد فيه لصالح عمه سعيد في قضية كان عمه احد خصومها رد شهادته قائلا لو قبلت شهادة الخليفة فلن يجترىء احد على القدح فيها وبذلك ابخس المشهود عليه حقه وتحقيقا للعدالة التي لا تفرق بين الناس ..

حكم ذات مرة على الخليفة عبدالرحمن الناصر وذلك في قضية رفعها عليه احد الرعية وابلغ الخليفة بالحكم مصحوبا بالاستقالة اذا لم ينفذ الحكم فورا .

وروى صاحب العقد الفريد للملك السعيد قال . قال عمر بن حبيب القاضي : حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم : ابو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم . فقلت انا : الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم البث ان جاءني غلام فقال اجب امير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نبيك واجللت نبيك أن يطعن على اصحابه فسلمني منه وادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي وهو حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت علي فقلت يا أمير المؤمنين : ان الذي قلته ووافقت عليه وملت اليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به : فانه اذا كان اصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة فالله الله يا امير المؤمنين ان تظن ذلك او تصغى اليه وانت اولى ان تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم . فلما سمع كلامي رجع الى نفسه ثم قال احييتني يا عمر بن حبيب . احياك الله . احييتني احياك الله . احييتني احياك الله . ولا شك ان هذا كله مستمد من رسول الله عليه الصلاة

والسلام فما كان لعمر ولا لغيره مما اسلفنا من ان يتحرى الدقة في تطبيق العدالة لولا ان تعلم هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا ان تربى على يد الرسول الذي يقول : « يؤتي بالولاة يوم القيامة فيقول الله عز وجل انتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في ارضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي امرت به فيقول يارب لأنهم عصوك وخالفوك . ثم يقول لأحدهم لم عاقبت عبادي اقل من الحد الذي امرت به فيقول يارب اني رحمتهم فيقول تعالى كيف تكون ارحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص واحشوا بهما زوايا جهنم » .

بعد فهذا هو الاسلام الذي مكن للمسلمين الأولين من إقامة المجتمع الفاضل حيث كانوا يطبقون تعاليمه تطبيقا عمليا ومن هنا فلم يزل أمرا غريبا بل وغير مستساغ ان يتحاكم المسلمون الى قوانين موضوعة وبينهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . هذا مع خلو التشريعات الموضوعة من الجوانب الخلقية والمثاليات الادبية وتجردها من كل ماله مساس بالدين والاخلاق باعتراف مفكري الاوروبيين وفلاسفتهم اذ يقول سبنسر بعد الثورة الفرنسية اخذ المشرعون الاوروبيون في تجريد القوانين من كل ما له مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية فاقتصرت رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد المادية وما يمس الامن ونظام الحكم وقد ادى انعدام العنصر الخلقي في القوانين وسيادة المذاهب النفعية والمادية الى افساد الارض واباحة جنسية بشعة واستهتار مجنون بالقيم والمثاليات .

وعلى ضوء هذا يمكن القول بأن الذين بهرت الحضارة الاوروبية اعينهم فلم يبصروا ان هناك حضارة سوى هذه الحضارة الاوروبية بعيدون عن الصواب وهم مع هذا يسجلون على عقولهم طفولة ساذجة بل ان الذين يعلنون ان شريعة الله غير صالحة لهذا الزمان هم قوم جاحدون للحق كما يمكن ان نقول بأن حاجتنا الى الشريعة الاسلامية وتطبيقها حاجة حضارية اذا اردنا اقامة مجتمع فاضل يقول الدكتور جورج سارطون « ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام والعلوم التي حث الاسلام على الأخذ بها ».

ولكن للأسف الشديد رأينا المسلمين قد اطفأوا مصابيح عقولهم وبهرتهم الحضارة الاوروبية وحبست تفكيرهم في نطاقها ومن ثم نسوا شريعتهم وتراثهم الخالد ولا نغالي اذا قلنا فقدوا ذاتيتهم الاسلامية وعاشوا بذاتية اوروبية حتى اصبحوا لا يؤمنون الا بحضارتها وقوانينها فلم يمر بخاطرهم يوما ان هناك انظمة اسلامية شاملة لكل شئون الحياة وقوانين وتشريعات قرآنية تسبق هذه القوانين بل وتفضلها بما فيها من اجلال للروح واكبار للاخلاق وما اشتملت عليه من نور وهدى ورحمة للعالمين .



تأليف ـ الدكتور/ احمد النجار

عرض الاستاذ : عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

يعتبر هذا الكتاب من اهم الكتب التي تعالج موضوع البنوك اللاربوية ، حيث تعرض فيه المؤلف لثلاث نقاط على درجة كبيرة من الاهمية ، تمثل الابواب الثلاثة التي يتكون منها المرجع وهي :

١) التنظيم الاقتصادي في الاسلام .

٢) تجربة البنوك الاسلامية في

مصر .
٣) صور البنوك الاسلامية خارج مصر مع بيان لاعمال وخدمات البنك الاسلامي .

ففي الباب الاول « التنظيم الاقتصادي في الاسلام » يشير الكاتب لشمول منهج الله على التشريع الكامل للحياة بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جنبا الى جنب مع الجوانب الاعتقادية والعبادية ، لذا فالجانب الاقتصادي ليس شيئا مستقلا له أحكامه ونظمه ، وانما هو جزء من منهج شامل وتلك هي النقطة الهامة لكي يستقيم الحديث .

فالجانب الاقتصادي مترامي الاطراف من الناحية الاسلامية ، ولا يمكن الاحاطة بكل جوانبه ، ولذا فالحديث سيتركز حول اهم النقاط فيه ، والذي يهمنا في هذا المقام ذلك الخاص بالبنك اللاربوي او البنك الاسلامي ، فهما شيء واحد .

ولذلك فقد اوضح الكاتب لنا مقصده في هذا الركن العظيم الاهمية البالغ الفائدة في الامور التالية :ـ

١ ـ المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي .
٢ ـ الخصائص الرئيسية للبنك الاسلامي .
٣ ـ المدخل للعمليات الرئيسية للبنك الاسلامي .
٤ ـ المنهج الاسلامي وحده .. هو الطريق .

ـ فمن حيث المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي فقد بينها الكاتب بوضوح ونجملها في :

* ان ملكية المال والتعليم التي وضعها الله عندما استخلف البشر في هذه الملكية ، هي دائما نقطة البداية في التفكير ، فالمال مال الله وللبشر حق الإنتفاع به وبذلك فهو يحدد للمال دوره ويرسم له وظيفته التي لا يجب أن يحيد عنها في الحياة ، ويضع الناس شروط وحدود العمل عندما تسند اليهم هذه الملكية عن طريق الاستخلاف أو النيابة .

* ويعتبر المبدأ الثاني من المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي ، قيام ذلك الاقتصاد على أساس من القيم والمعايير الخلقية .

* أما المبدأ الثالث من تلك المبادىء فهو الواقعية في التوجيهات والضمانات في التنفيذ .

ـ ومن حيث الخصائص الرئيسية الأساسية للبنك الاسلامي : فقد بين الكاتب أن النظرة والتصور الذي تنطلق منه البنوك الربوية يختلف تماما عن النظرة والتصور الذي تنطلق منه البنوك اللاربوية حيث قام البنك الاسلامي اللاربوي ليؤدي :

* كل الوظائف التي تقوم بها البنوك الربوية من تمويل وتيسير للمعاملات وجذب للودائع وتحويل وصرف .. ليس فقط ، بل ويتميز عنه :

* بتطبيق الشريعة الاسلامية والسير على مبادئها .

* والالتزام بالاسس الاقتصادية السليمة التي تتفق مع المبادىء الاساسية .

ولذا فالخصائص التي يتميز بها البنك

الاسلامي تتمثل في :
* استبعاد التعامل بالفائدة ، حيث تشكل هذه الخاصية المعلم الرئيسي للبنك وبدونها يصبح البنك شيئا آخر غير كونه بنكا اسلاميا .
* توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الاستثمارات .
* ربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية .
- أما من حيث المدخل للعمليات الرئيسية بالبنك الاسلامي . فقد قام الكاتب بتقسيمها إلى جانبين رئيسيين هما :-
أ) الموارد التي يقبسها البنك وتتمثل في إجمالي الموارد التي تأخذ صورة الودائع الادخارية والاستثمارية : ولكي لا يبهم على البعض أو يداخلهم سوء الفهم في القيام بهذه الخدمة في البنوك الربوية فقد بين الكاتب :
* أن البنك الربوي يسعى إلى غرض واحد هو الربح ، والربح فحسب ، أما البنك اللاربوي فتعنيه مصلحة المجتمع ومعه مصلحة كل الافراد الذين يمثلون هذا المجتمع ، وكلما اكتسب البنك عميلا جديدا فقد عمل على توسيع قاعدة المطبقين لتعاليم الاسلام والملتزمين بها . ولذا فحجم الوديعة لا يهم البنك اللاربوي وإنما يهمه جذب الأفراد ليسلكوا سلوكا ادخاريا بما يتفق والشريعة .
* البنك اللاربوي يستهدف غاية تختلف عن تلك التي يستهدفها البنك الربوي ، فهو يعمل على بصيرة ووعي على شد الناس من خلال تحقيق مصالحهم عن طريق الله ، والبنك الربوي يعمل ولا غاية له إلا الربح .
* البنك اللاربوي يرى في نفسه مؤسسة ، هي جزء من كل تنظيم اسلامي عام مهمته خدمة المجتمع الاسلامي بكل مفرداته .
ولذا فيترتب على سياسة البنك اللاربوي في قبول الودائع :
* ترشيد الانفاق ومحاربة الاسراف .
* اتباع تعاليم الدين وبذلك يمكن أن يمضي البنك في خطة التنمية بثقة واطمئنان .
* زيادة عدد الصالحين في المجتمع الاسلامي وبذلك يزيد المجتمع قوة ومنعة وقدرة على تحقيق اعظم معدلات للارباح .
* نمو الملكيات الفردية وتحقيق عمليات التوازن بين الفرد والسلطة .
ب) أما الاستخدامات فقد بينها الكاتب في :
* الاستثمار المباشر من قبل البنك .
* التمويل بالمشاركة ، ويعني مساهمة البنك في رأس مال المشروع الانتاجي مما يترتب عليه أن يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع الانتاجي وشريكا في ادارته وتسعيره والاشراف عليه ، كذلك ما ينتج عنه من ربح أو خسارة .
وطالما أن الزكاة وظيفة اقتصادية إجتماعية بالدرجة الأولى ، وأن الفهم الصحيح لها ليس مجرد سد جوع الفقير أو إقالة عثرته بدريهمات ، وإنما هي وظيفة تمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسه بحيث يكون له دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره .

لذا يقوم البنك الاسلامي بجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية وإدارة أموالها في البلاد التي لا يقوم فيها ولي الأمر بهذا العمل .

* قروض بدون فوائد في حالات معينة .

- وبالنسبة للنقطة الاخيرة - المنهج الاسلامي وحده .. هو الطريق - بين الكاتب أن تبنى منهجا مستوردا ثبت نجاحه هنا أو هناك يمكن أن يكون من أسباب تعويق خطواتنا في المنطقة الاسلامية وأن مشكلتنا تعود إلى :

١ - ما تركه الاستعمار من آثار ليست استعمارية عسكرية أو توطينية ، ولكنها آثار ثقافية أو فكرية بما يساعد على إهدار القيم الاصيلة والتراث والثقافة .

٢ - ما كان للغرب من حضارة بهرت أبصار أبناء المنطقة دون فحص للأسباب الموضوعية التي أدت إليها ، بحيث استقر في الأذهان اللحاق بركب هذه الحضارة وذلك بالتقليد والمحاكاة بنفس الأساليب والوسائل والمناهج . مما أدى إلى عملية أسر فكري لجمع غفير من المثقفين والمتعلمين .

وتطرق الكاتب إلى الأساس الذي تكونت على أعمدته هذه الحضارة في أوربا متناولا آراء كثير من العلماء والمؤرخين أمثال أبي الحسن الندوي وما قاله إقبال عما آل إليه حال المسيحية واليهودية ومدى تطبيقها للدين ومناهجه ، وانتقل إلى ما يتعلق بنظرية دارون المادية وما قاله ماركس عن أسلوب الانتاج ودوره في الحياة المادية وتحديده للعمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية .

وما استتبع ذلك من أفكار لفرويد وما تركته نظريته من آثار سيئة ، وخلص الكاتب إلى نتيجة هامة هي أن الحضارة الاوربية « شرقية وغربية » فرضت عليها الظروف الاختيار ما بين الدين أو العقل وقادتها الظروف الموضوعية والتاريخية أن تختار العقل فحسب وتنصبه إلها يعبد واستبعدت الدين عن الحياة . ولا يصلح لنا في عالمنا الاسلامي الاستفادة من أسلوب طبق في هذه البيئة تطبيقا أعمى بلا دراسة أو تحليل ، وأن أمامنا طريقا واضح المعالم ، هو المنهج الاسلامي ، والبحث فيه عن النظم والبرامج التي تصلح للعالم الاسلامي الحالي ، فهذا هو الطريق الذي لا يصادم المشاعر الظاهرة أو الخفية للقاعدة العريضة من أهل هذه المنطقة ومن ثم فانه يكفل التفاعل الذي هو أساس النجاح .

وفي الباب الثاني « تجربة البنوك الاسلامية في مصر » يعتبر هذا الجزء من أهم وأوضح ما كتب عن تجربة مصر في مجال البنوك اللاربوية ، فقد تعرض الكاتب لنقاط هامة تجيب على ما يجول بالخاطر حول هذه التجربة مثل :

* كيف نشأ التفكير فيها ؟
* كيف أمكن تطبيقها ؟
* الصعوبات التي واجهتها .
* كيف توقفت التجربة عن الاستمرار ولماذا ؟
* الآثار التي أسفرت عنها هذه التجربة .

ولذا فقد عرض الكاتب لثلاث نقاط

جوهرية هي :
١) المناخ العام الذي عاصر تطبيق التجربة .
٢) مراحل التجربة .
٣) مرحلة الانقضاض .
(١) المناخ العام الذي عاصر تطبيق التجربة : لقد كانت هناك عناصر كثيرة لها تأثيرها الكبير على التجربة وتتمثل في :-
١ - عدم تبلور الذاتية المصرية في المجال الفكري حيث كان الاعتماد على تبني الأفكار المستوردة إلى حد الايمان بها إيمانا يعطل القدرة على الابداع أو التغيير بما يوحي بالتبعية الفكرية آنذاك .
٢ - تواجد جيل من المثقفين الببغاوات أو ما يمكن تسميتهم « تجار شنطة » في المجال الفكري ، حيث كثر تواجد مثل هؤلاء للاسف الشديد بشكل مؤلم مرير لدى المنتمين للمجال الاقتصادي .. ولا يستطيع أن يسلم مخلص مستنير بأنه يمكن أن يصلح لمجتمعنا في يوم من الأيام أمثال هؤلاء .
٣ - الجمود والخوف من الإقدام على تغيير القوالب القديمة التي فتحنا أعيننا عليها في نظم الاجهزة والمؤسسات .
٤ - وجود استعداد رسمي واضح لمحاصرة الحركة الاسلامية والتضييق عليها وإعناتها واتجاه صريح نحو تبني أفكار أخرى لا تركز على معطيات الفكرة الدينية .
٥ - الشكلية والمظهرية والعمل على تلميع الواجهة في كل عمل أو مشروع دون أدنى اهتمام بالجوهر ..
٦ - مراكز القوى والشلل التابعة لها ، فقد كان ذلك هو الاتجاه الطبيعي لحكم الفرد الذي يعايشه اتباع وحملة مشاعل لتمهيد الطريق ليأخذ الاتجاه الفردي مجراه .

وقد أسفر كل ما تقدم ذكره عن ظاهرة شملت المجتمع كله ، تلك الظاهرة التمزق الذي نتج بالضرورة عن الصراع المحتدم بين سلوك يجد المواطن نفسه مجبرا عليه ، وسلوك آخر تتجه إليه فطرته السليمة بين حرص - لا يكاد يفقده مواطن - على بلده ومصالحها وبين ما يجده من المسئولين من واقع بعيد كل البعد عن أن يقود الوطن أو أن يصل به وبمصالحه الى المرفأ المنشود .

(٢) مراحل التجربة : وقد عرضها الكاتب كالتالي :

المرحلة الأولى : وفيها تناول الكاتب محاولة سرد دخول فكرة بنوك الادخار المحلية الى مصر ، وذلك في ظل المناخ العام الذي سبق ذكره ، أسوة بما لاقته هذه البنوك من نجاح في المانيا ، مبينا ما تعرض له سيادته من جمود فكري وروتين مميت عند مقابلة المسئولين وعرض الفكرة عليهم ، وذلك حتى بعد موافقة رئيس مؤسسات الادخار الالمانية على تكوين لجنة في أواخر يناير ١٩٦١ لزيارة مصر وبحث التعاون الادخاري لنقل مثل هذه النماذج إليها . وانتهى الكاتب إلى بيان الملامح الأساسية التي تميزت بها هذه المرحلة في :

* وجود الروتين المعطل للاعمال حتى

فيما يتعلق بالمصلحة العامة التي تتصل مباشرة بتنمية المجتمع وتطويره .
* لجوء الجانب الألماني إلى المراوغة والتطويل في بعض الأحيان عندما علموا أن نماذجهم لن تنقل إلى مصر كما هي ، وكان الأمر بالنسبة لهم كسبا دعائيا سياسيا .
* وجود فئة مصرية تعتبر أهلا للثقة والخبرة ، وما دونها يشك في وجود أي دوافع طيبة لديهم .
* عدم وجود سياسات ثابتة لتنمية المجتمع وارتباط السياسات الضرورية بالأشخاص شاغلة المناصب وليس العكس .
* حرص الأجهزة على احتكار العمل والخوف الشديد من أية صورة من صور المنافسة ومقاومة كل جديد .
* الحفاظ على الشكليات حتى وإن ضاعت معه كبريات المصالح العامة .
* تفشى ظاهرة هجرة الخبرة إلى خارج الوطن لعدم قدرتها على آداء دورها أو التأثير أو العطاء أو أن تصبح محل تقدير وثقة .
المرحلة الثانية : وفيها ناقش الكاتب ما يتصل بوضع الخطوات العملية لأول مصرف لاربوي متعرضا للآتي :
* ارسال العاملين الذين تم اختيارهم للعمل إلى المانيا من عدمه والأسباب الداعية والمحبذة لذلك والمحددات التي تقف حيال ذلك .
* إختيار المنطقة المناسبة لبدء العمل فيها والتي انتهى البت فيها باختيار محافظة الدقهلية واختيار مدينة ميت غمر من بين مدن المحافظة التسع .
* وضع النظام الذي تعمل التجربة من خلاله بدون سعر فائدة ودون الاخلال بالمبادىء الاقتصادية السليمة .
* الاختيار الفعلي لمدينة ميت غمر وبيان أهمية المدينة وخصائصها الاقتصادية والاجتماعية .
* بدء النشاط الفعلي للتجربة في ميت غمر تحت إسم مركز الادخار الذي تغير بعد ذلك إلى بنك الادخار المحلي وقد لاقت التجربة نجاحا كبيرا .
وقد خلص الكاتب إلى تحديد ملامح رئيسية للمرحلة الثانية التي تتلخص في :
* تعطش الشعب إلى أن يرتد إلى أصوله الروحية وتراثه ، فقد اندفع الناس إلى هذا النظام والتفوا حوله عندما علموا مدى إتصاله بعقيدتهم وتراثهم الاصيل .
* أن توفر الجانب العقدي لدى العاملين في هذا المجال لا بديل عنه .
المرحلة الثالثة : وبين فيها الكاتب ما يتصل بالغطاء القانوني للمشروع وبيان للصراعات التي دارت حول نظام العمل ، ولذا فقد تناول الحديث هنا :-
* صياغة قواعد العمل لاستكمال جوانب التجربة ووضع أركان نظامها موضع التطبيق العملي .
* ما يتعلق ببداية أعمال الاستثمار والمشاركة خاصة في ظل التعامل بدون فائدة آنذاك .
* ما قام د . ريدي ببحثه وكتابته عن التجربة ١٩٦٦ وما نشره تحت عنوان « المجتمع العربي في مرحلة التغيير » .

* التخبط الكبير الذي ساير المؤسسة المصرية العامة للادخار منذ نشأتها وإشرافها على بنوك الادخار المحلية وعدم الاستعداد للمشاركة الايجابية في تنمية أعمال هذه البنوك .

* إدماج المؤسسة المصرية العامة للادخار في المؤسسة المصرية العامة للتأمين لتشتمل المؤسسة الجديدة على قطاعين أحدهما للادخار والآخر للتأمين .

وبين الكاتب ملامح هذه المرحلة في النقاط التالية :

* تواجد فئة من أعداء الاسلام همها ألا تتوافر أسباب النجاح لهذه البنوك والوقوف عائقا دون تطبيق شرع الله ، ووقع بعض أبناء البلد تحت تأثير الاجانب بانبهار أو عن غفلة .

* وجود بطانة سيئة من الرجال تسوق المخلصين إلى البعد عن طريق الحق والصواب .

* روعة مبادىء الاسلام قد يدركها الغرباء عن هذا الدين أكثر مما يدركها أبناؤه ومعتنقوه .

* المسلم يجب أن يتحلى بالفطنة والمرونة ومواصلة الجد والعمل في سبيل الله وألا ينصرف قلبه أو همته عن الأخذ بكل الأسباب وترك الأمر لله .

المرحلة الرابعة : مرحلة التوسع ولقد تعرض الكاتب هنا إلى :

* طبيعة عمل المشروع حتى الآن وقيام بنك ميت غمر بالانشطة المصرفية على نهج الشريعة الاسلامية .

* كسب التجربة للتأييد الشعبي والعمل على استمرار ذلك والحفاظ عليه ، وذلك بكسب مواقع جديدة وإثراء الفكر النظري وتكوين كيان يمكن أن تشكل وحداته فيما بعد إتحادا يحمي هذه الوحدات ويدعمها .

* انشاء تجارب جديدة في مدن الدقهلية .

ووقف الكاتب على أهم ملامح هذه المرحلة وبينها في :-

* تبلور نظام مصرفي بشكل إسلامي بدرجة مناسبة في بنك ميت غمر ، ووضع نظام للعمل ووضوح المعالم والممارسة العملية ، قد ساعد في وضع كثير من التفاصيل .

* كان فهم المسئولين سطحيا لفكرة البنك الذي يعمل بدون فائدة ، بحيث انحصر فكرهم لتلك البنوك على أنها فكرة جديدة تحقق نجاحا في تجميع المدخرات وجذب الناس ، بحيث تمنى أكثرهم تكرار هذه الفكرة على أوسع نطاق ممكن .

* لم يصل مجتمعنا بعد إلى إمكان فصل الهوى عن المصلحة العامة أو فصل المصلحة الخاصة على تقرير الذات وبين ما يحقق مصالح الناس والبلاد .

* التمسك بالمركزية بحيث أدت في كثير من الحالات إلى إخماد أي مبادأة وتجميدها وعجز كثير من الأفراد عن التخلي عنها .

(٣) مرحلة الانقضاض لاحتواء البنوك : في غياب الديمقراطية نجد

وفرة شديدة في عدد المنافقين وتفننا في أساليب النفاق ، وغياب أهل الخبرة واتساع قاعدة المضللين ، ولقد تناول الكاتب هنا ما يتعلق بمرحلة محاربة هذه البنوك صراحة وما يتصل بمراكز القوى حينئذ ودورها الكبير في الاجهاز على المشروع .

ثم انتقل الكاتب الى وضع بنوك الادخار المحلية بعد ذلك لتكون تحت إدارة البنوك الربوية ، بحيث أصبح الهدف الذي يعمل من أجله ، تغيير نظام مشروع بنوك الادخار من نظام إسلامي إلى نظام ربوي .

ويخلص الكاتب إلى الخسائر والانحرافات والتصرفات الأخرى ، التي لحقت بنوك الادخار ، المستمرة من البيانات المقدمة من إدارة الرقابة على البنوك بالبنك المركزي ، ولم تكن الادارة مسئولة منذ ٦٣ وحتى منتصف ١٩٦٧ ولكن المسئول عنها :

* عدم اعطاء الفرصة لبنوك الادخار ومشروعاتها الاستثمارية في نهاية مراحل البداية وتحطيم الخبرات وثقة المتعاملين معها .
* سوء إختيار المشرفين على البنوك منذ منتصف ١٩٦٧ بعد عزل المدير الأول بها .
* عزل الكفايات التي اكتسبت الخبرة في إدارة البنوك منذ « ٦٣ - ٦٧ » واعتبار معظمهم عمالة زائدة بالرغم من تخصص بعضهم .
* عدم استقرار الكيان القانوني الذي يحمي هذه التجربة من تعدد جهات الاشراف .
* عدم التزام الحيدة والأمانة في عرض المشاكل ، ونواحي القصور التي تصاحب التجارب الوليدة عادة ، لوضع الأسس السليمة للعلاج في هذا المشروع الحيوي .

وفي الباب الثالث « البنوك الاسلامية خارج مصر ووظائف البنك الاسلامي »

(أ) البنوك الاسلامية خارج مصر ، ألمح الكاتب هنا إلى بعض صور البنوك الاسلامية خارج مصر مثل :

١ - البنك الاسلامي للتنمية : فقيام هذا البنك يعتبر أحد آمال الأمة الاسلامية في المجال الاقتصادي ، ويرجع التفكير في هذا البنك إلى الاقتراحين اللذين قدمهما وفدا مصر وباكستان في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الثاني ١٩٧٠ ، وبين الكاتب ما تعرض له البنك من صعوبات ومناورات في أول الأمر ، وناقش الصورة الرئيسية لعمل البنك والخدمات التي يمكن أن يقوم بتقديمها .

٢ - بنك دبي الاسلامي - ١٩٧٥ ، والذي نص في مصدره التشريعي على التزام الشركة بصفة أساسية والقيام بجميع الأعمال طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية أخذا وعطاء ، ولا تخرج الاغراض الأساسية للبنك عن أغراض نظائره من البنوك الاسلامية المحلية ، ويقوم بجميع الخدمات والعمليات المصرفية لحسابه أو

حساب الغير ، ويقوم بأعمال الاستثمار المباشر أو بشراء أو تمويل المشروعات .

٣ ـ بنك الادخار السوداني : الذي بدأ التفكير فيه عام ١٩٦٨ على غرار بنوك الادخار المصرية ، وقد قابله كثير من المشكلات عند صياغة اللوائح والنظم الداخلية ، حيث تعذر النص صراحة على التزامه بالشريعة الاسلامية وخلو معاملاته من المحظورات الشرعية ، وقد افتتح البنك عام ١٩٧٥ تقريبا ويسير على نمط بنوك الادخار الايطالية التي نجحت في الاشتراك مع الجانب السوداني في إعداد لوائح ونظم العمل .

٤ ـ بنك فيصل الاسلامي : بين الكاتب الدور الكبير الذي يقوم به سمو الأمير محمد الفيصل آل سعود واهتمامه بفكرة البنوك الاسلامية المحلية ، وتم الاتفاق حينئذ مع حكومة مصر والسودان على إنشاء فروع بها لبنك الفيصل الاسلامي ، ورأس سمو الأمير مجموعة من الخبراء لتقوم باعداد دليل للعمل في البنوك الاسلامية ليشمل على تفاصيل التنظيم المحاسبي والاداري والفني والتنظيمي للبنوك الاسلامية .

(ب) مناقشة عملية لشرعية الوظائف التي يقوم بها البنك الاسلامي المحلي :

بين الكاتب في أول الفصل الاركان التي يستند إليها البنك الاسلامي في عمله وهي :

* تقرير العمل كمصدر للكسب بديلا عن إعتبار المال مصدرا وحيدا للكسب .

* تقرير مبدأ المشاركة في الغنم والغرم .

* تصحيح وظيفة رأس المال في المجتمع كخادم للمصلحة وليس سيدا .

ثم بين الكاتب الاعمال التي يقوم بها البنك الاسلامي ممثلة في :

١ ـ قبول الودائع
- تحت الطلب
- الادخارية
- لأجل

٢ ـ القروض والسلفيات
٣ ـ الشيكات
٤ ـ تحصيل الكمبيالات
٥ ـ الاعتمادات المستندية
٦ ـ خطابات الضمان
٧ ـ التمويل مقابل كمبيالات
٨ ـ حفظ الأوراق المالية
٩ ـ عمليات الاكتتاب
١٠ ـ التحويلات
١١ ـ بيع وشراء العملات الاجنبية
١٢ ـ القروض لاغراض استهلاكية .

وناقش الكاتب بعد ذلك إحتمالات إحجام العملاء والرد على ذلك بالحديث عن ضمان الوديعة ثم العائد والربح وذلك بالحديث عن كيفية حساب الارباح في حالة المشاركة وتحديد أنصبة المستثمرين من الربح .

لماذا خلق الله الناس؟

اغتنموا حياتكم قبل موتكم

جاءنا من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلاميةبـالاردن - هذه الكلمة .. ننشرها تعميما للفائدة :-

قال الله تعالى : (**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**)

ومعرفة الله وعبادته أشرف الأعمال وأعظمها قدرا وأجلها شأنا فما بال هؤلاء الناس انصرفوا إلى الشؤون الحقيرة والمتع الزائلة والشهوات الفانية ، وعصوا الله وأطاعوا عدوهم الشيطان ؟ ألا يؤمنون باليوم الآخر ؟ ألا يصدقون بيوم الحساب والعقاب ؟

إن الله تعالى يقول : (**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**) . والذكر هنا الصلاة . فالله تعالى قد حكم بالخسران على من الهاه ماله وولده عن الصلاة الموقوتة . ويقول : (**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) أي فريضة تؤدى في أوقاتها .

جريمة تارك الصلاة

قال الامام العلامة ابن قيم الجوزية (لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، وأن أثم تارك الصلاة عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الاموال ، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وإنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة) .

وقد افتى مالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل وأصحابهم بأن تارك الصلاة يقتل . وأفتى سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة بأنه يحبس حتى يموت أو يتوب .

ـ من ترك الصلاة فقد كفر ـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الكفر ترك

الصلاة) . وقال : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) . وقال : (لا تشركوا بالله شيئا ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمداً متعمدا فقد خرج من الملة) .

وقال (من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) فمن يرضى لنفسه أن يكون كافرا . وخارجا عن ملة الاسلام ؟

الصلاة أول ما يسأل عنها العبد

جاء في الحديث (لاحَظَّ في الاسلام لمن ترك الصلاة) فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالاسلام مستهين به ، وإنما حظك من الاسلام على قدر حظك في الصلاة ورغبتك في الاسلام على قدر رغبتك في الصلاة جاء في الحديث الشريف (الصلاة عمود الاسلام) .

وجاء في الحديث : (أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة عن صلاته ، فان تقبلت تقبل منه سائر عمله ، وإن ردت صلاته رد سائر عمله) . هذا في شأن من يصلي ولكن صلاته سيئة فكيف بمن لا يصلي إطلاقا ؟

والصلاة أول فريضة فرضها الله على المسلمين وهي آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وهو على فراش الموت فقال : (الصلاة الصلاة) والصلاة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (آخر وصية كل نبي لأمته وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا) فكيف تنكر الوصية وتخون العهد يا تارك الصلاة .

- جزاء تارك الصلاة في جماعة -

وقد هدد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا يشهدون الصلاة في جماعة بحرق منازلهم عليهم فقال : (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أخالف إلى قوم في منازلهم لا يشهدون الصلاة في جماعة فاحرقها عليهم) فكيف إذن حال الذين لا يؤدون الصلاة لا في البيوت ولا في المساجد ؟

- ويل لمؤخر الصلاة عن وقتها -

قال تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون**) وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال : (هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها) . فكيف حال من لا يصلي ؟ يا هذا لم يفت الأوان ما دمت حيا وباب التوبة مفتوح ، فتدارك نفسك وأبدأ فورا قبل أن يدركك المرض أو الموت وعندئذ لا ينفع الندم .

ـ صلاة العصر ـ

جاء في الحديث الشريف (الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله) أي فكأنما فقد أهله وماله فأصبح بلا أهل ولا مال . هذا لمن ترك صلاة العصر مرة واحدة فكيف شأن الذي لا يصلي إطلاقا لا عصرا ولا غيره ؟

ذلك هو الخسران المبين ، وسوف تظهر له الحقائق بعد الموت فيطلب من الله العودة إلى الدنيا ليعبد الله ويكون من الصالحين ، ولكن هيهات . لا رجوع .

فكيف يصبر على عذاب النار ؟

أيها المسلم :

أنت تعمل ليلا ونهارا لتحوز لنفسك ولأولادك عيشا هنيئا وحياة رغدة طيلة بقائك في الدنيا وهو سنين محدودة يعقبها الموت فلماذا لا تجد وتجتهد لتؤمن لنفسك ولأولادك أمنا وسلاما وحياة سعيدة في الآخرة دائمة أبدية لا انقضاء لها ولا نهاية ؟ أيهما أولى بالسعي والعمل المتواصل الدنيا الفانية أم الحياة الأبدية ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (والذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) فاختر لنفسك !

ـ ظن قاتل واعتقاد باطل ـ

فريق من المسلمين يزعمون أنهم مستقيمون في أخلاقهم ، لا يكذبون ، ولا يخدعون ولا يؤذون الناس ، ولا يسرقون ولا يخونون وأنهم يفعلون الخير ويخدمون الناس ويعدلون في أقوالهم وأعمالهم فيتسرب إليهم الوهم الخادع بأنهم وقد توافرت فيهم هذه الآداب ليسوا في حاجة إلى الصلاة ، وأن تلك المزايا أثقل في الميزان من الركوع والسجود . ذلك ظن قاتل واعتقاد باطل وجريمة ذات شقين أحدهما أنه يزكي نفسه ، وأنه معجب بها ، والآخر انه يرفع مقامه فوق مقام الأنبياء والرسل . فلو كانت الأخلاق الحميدة تغني عن الصلاة لما فرضها الله على الانبياء والرسل ولأعفاهم منها . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل صلاة تطوع حتى تتورم قدماه ، فتسأله ام المؤمنين عائشة لماذا يفعل ذلك وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ؟

إن أعرف الناس بالله هم اكثرهم له خشية ، وكان رسول الله أكثر الناس خشية لله فكان أعبدهم لله . وأجهل الناس بالله هم الذين يلهون ويلعبون ويتمنون الأماني الكاذبة ، ويخادعون أنفسهم ويقنعون بالباطل ويحسبون أنهم مهتدون ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وبعد الموت ستنكشف لهم الأمور .

بريد الوعي الاسلامي

رؤية الله سبحانه

تلقى بريد الوعي هذه الرسالة من الاخت الفاضلة/ ماجدة فوزي احمد العليمي .. تقول إنه دار نقاش بينها وبين أحد أقربائها .. حيث قال :

أنا لا أخشى دخول النار .. لان الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقني .. وهو سبحانه يتصرف في كيف يشاء . ولا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه ..

كما أنني لا أفرح بدخول الجنة . لأن هناك ما هو أحلى وأجمل من الجنة ونعيمها ..

إن كل ما أتمناه هو رؤية الاله العظيم . الذي خلق فسوى . وقدر فهدى . الاله الواحد . الفرد . الذي أبدع كل هذا الكون . وسيره بمفرده من مشرقه لمغربه .

هذه هي المتعة الكبرى . عندما أعيش في نشوة محياه .

قلت له :

ولكن العلم الحديث أثبت أن النور لا يرى وترى به الاشياء .. والله سبحانه أخبرنا بأنه « نور السموات والأرض ».

فرد قائلا :

هذا في الدنيا ـ ونعتقد أن هناك في الآخرة غيبيات يجب أن نؤمن بها دون أن نراها . وهذه أعلى مراتب الايمان . لأن هذا معناه التصديق بما أخبرنا به الله على لسان رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه . والتصديق إذا تمكن بالقلب . وتشبعت به الروح وصل إلى درجة عين اليقين .

في الدنيا نعتقد اعتقادا جازما أن الله سبحانه وتعالى « **ليس كمثله شيء** » ولهذا فقد حذرنا من البحث في ذاته جل شأنه .

أما في الآخرة فطلاقة القدرة لا حدود لها . فالله سبحانه وتعالى في قدرته أن يعطني من القدرة ما يجعلني أتمتع بمحياه »..

وهنا نمسك عن الكلام ..

فما رأي سيادتكم هل حقا سيتحقق هذا الأمل . ونرى الله ؟

في انتظار ردكم .. وشكرا .

المحرر : ونقول للاخت الفاضلة مستعينين بالله سبحانه :ـ

يظل المؤمن في الحياة الدنيا يعيش بين الخوف والرجاء .. الخوف من عذاب الله .. فإن الله سبحانه لو

آخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهر الارض أحدا من البشر ، فكلنا يخطىء .. فالانسان خطاء .. وخير الخطائين التوابون .. من هنا فإن المسلم يخشى عذاب الله .. معتقدا أن من يزحزح عن النار في الآخرة فقد فاز .. هذا هو جانب الخوف بسبب ما نرتكب من ذنوب .. وعندما نضع في اعتبارنا رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وأنه كتبها لعباده الذين يخشونه ويتقونه ، وعندما نتذكر أن الله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. فإننا نعيش في دائرة الرجاء والأمل .. نرجو رحمة الله ولطفه ، وعفوه وصفحه ، ونأمل في رضوانه ودخول جنته .. فالله سبحانه واسع الفضل .. ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات . وغاية المنى أن ينجينا الله من النار ، ويدخلنا الجنة فننعم بالنعيم الدائم .. وكيف لا نفرح بذلك !! أما رؤية الله في الآخرة .. فذاك هو الفضل العظيم منه سبحانه ، وهي غاية السعادة للمؤمنين .. ورؤية الله تعالى في الآخرة ممكنة للمؤمنين .. بدليل قوله تعالى عن الذين يكذبون بيوم الدين : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فإنه سبحانه لما حجب الكافرين عن رؤيته في الآخرة دل على أنه سبحانه سوف يتجلى لعباده المؤمنين - وكما قال الرسول الكريم : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ».. وأيضا قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة » ومعنى هذا أن المؤمنين سوف يرون الله سبحانه بأعينهم .. ولكن بلا حدود .. ولا تشبيه .. فالله سبحانه فوق الحد ، وفوق الوصف ، وليس كمثله شيء .. وهذا هو ما ندين به .. والله أعلم .

خشية الله ..

الأخ / ممدوح عدلي ابو هميلة .. من مصر .. يسأل عن معنى قوله تعالى : « إنما يخشى اللهَ من عبادهِ العلماءُ »

ونقول باختصار .. إن الآيات في سورة فاطر (رقم ٢٧ و٢٨) تدعو الى النظر والتأمل في مخلوقات الله ، ومظاهر قدرته ، ليرى الانسان آثار قدرة الله فيزداد علما بعظمة الله الخالق ومعرفة بأسرار أودعها الله في سمائه وأرضه ، في الناس والدواب والأنعام ، وكلما ازداد علماً ازداد خشية من الله تعالى ، وتعظيما له ، فالذين يخشون الله حق خشيته هم العلماء .. لأنهم يدركون عن علم أن المخلوقات كلّها من صنع الله القادر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .



القدوة والمثل الأعلى

تحت هذا العنوان كتب الصديق الاستاذ/ علال البوزيدي ـ المغرب الشقيق يقول :

اذا كان الله جلت قدرته قد خلق الانسان في أحسن تقويم وميزه عن باقي المخلوقات بجميل الصفات :

خلقة وعلما ، وإرادة ومكانة ؛ وملكة وعقلا ، وإدراكا واستعدادا أخلاقيا ، فإن هذا الانسان الذي استحق هذا التكريم الرباني **ولقد كرمنا بني آدم** ، **واستحق خلافة الله** في الأرض ، لم يكن ذلك عبثا ، بل لغاية وللقيام برسالة وتحمل أمانة في هذا الوجود . ولذلك فلا بد لهذا الانسان من توجيه ، ومن قيادة وقدوة ومثل أعلى ، وهذه الصفات لا تجتمع في عامة البشر ، ولكنها صفات خص الله بها الرسل والأنبياء عليهم السلام .

وإذا نحن بحثنا جوانب من السيرة النبوية ودرسنا بعمق وإمعان الأدب النبوي نجد تجليات ذلك بارزة وواضحة في شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فقد توافرت فيه صفات :

الصدق ، والالتزام ، والتبليغ ، والعقل السليم .

ونصت كتب السيرة بالاضافة إلى ذلك على التكوين الجسمي للرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فأبرع الواصفون في وصف كمالاته الخلقية وصفاته المثالية الفريدة .

وفي هذا المقام الوصفي للرسول الكريم يقول عبد الله بن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة .
لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد دارت كتابات الكتاب الذين اهتموا بالسيرة المحمدية على أنه يمثل عليه الصلاة والسلام القدوة والمثل الأعلى للبشر في مختلف جوانب الحياة لأنه كان في كل جانب في القمة العليا من الكمال والتوفيق ، والتنصيص على هذه الانفرادية تؤكده البشارات كما تؤكده استطاعته عليه الصلاة والسلام الاستمرار بدعوته تبليغا وإقناعا ، وكذا إستيعابه لأسس دعوته نظريا وعمليا ، وتمسكه بها وثقته بانتصارها في وقت كانت البشرية فيه تعيش في ظلمات الجهل والجور والطغيان ونحن نعرف مدى المصاعب الكثيرة التي واجهها في سبيل القيام بنشر دعوة ورسالة الاسلام بين الأنام .

وكانت الدعوة المحمدية عقيدية سياسية وكانت بالتالي وبشهادة التاريخ دعوة ناجحة لم تشاهد مثلها أية أمة من الأمم الأرضية ، ولذلك جاء في حق الأمة الاسلامية : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » لكونها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله . وأمة خصها الله بهذا التكريم لا بد وأن لها قيادة حكيمة ، وبالفعل فإن الحكمة القيادية كانت متوفرة في الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتجليات ذلك واضحة في سياسته الموفقة في كل مجالات الحياة وكذا في الكيفية الخارقة التي كان صلى الله عليه وسلم يحل بها المشاكل الخطيرة المعقدة التي كانت تنشأ من حين لآخر ، وما أكثر المشاكل في مجتمعات الجهالة والكفر والشرك بالله ، إلا أن صمود الرسول وتجلده وصبره على طيش وغطرسة المشركين الضالين وطد عزيمته وبلغ به حدا لا مثيل له في تاريخ البشرية من الايمان الراسخ ، والعزم القوي ، وهذه البوادر ظهرت فيه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة المحمدية وتضاعفت بعد البعثة ، ولذلك كانت كل خطواته في الحياة موفقة .

الشيء الذي لم يسبق لبشر أن ارتقى إلى مكانته لا في الصفات ولا في السلوك ولا في القيادة والحكمة وبعد النظر كانت استمرارية مسيرة الدعوة المحمدية تعتمد منطلقات فذة لا يديرها إلا عقل عظيم وفكر ثاقب ، وهذه الاستمرارية تواصلت من بداية الدعوة حتى تحقيق النصر ، ثم تواصلت لتطبيق ما كانت تهدف إليه الدعوة وبدأ العهد النبوي المشرق ،

وانطلقت الدولة الاسلامية على أساس إحكام البناء حتى يكون قادرا على الصمود والاستمرار في المستقبل ، ثم وضع أسس النمو والتطور وتحصين الدعوة الاسلامية وتعزيزها بما يكفل لها السير نحو الغد المشرق عبر الأجيال والعصور .

فتميزت مسيرة الأمة الاسلامية في صدر الاسلام بخصائص القدوة المحمدية وتحركت لبناء أمجاد الاسلام ، وهنا برزت الشخصية القيادية العسكرية للرسول فكانت

الفتوحات الاسلامية ، وتواصلت انتصارات الدين الحنيف بقيادة صاحب الرسالة وناشر الدعوة الاسلامية محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه .

وهكذا فإن خصائص القدوة والمثل الأعلى كثيرة جدا فهو رسول الله صادق أمين ، قام بتبليغ دعوة الله حقا وصدقا ، وهو أعقل البشر ، وهو المعلم الأول ، وهو أكمل الخلق في ممارساته ومسؤولياته الأبوية والزوجية والأخلاقية والقيادية ولذلك قال في حقه الله عز وجل : « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ، **فهو** صلى الله عليه وسلم بعث للانسانية جمعاء فأخرج الناس من ظلمات الشرك بالله إلى نور الايمان ، وشرع للبشرية بإذن الله ما يصلح أحوال البشر في مجالات الحياة العقيدية والعبادية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، ومجمل القول أن محمدا رسول الله القدوة والمثل الأعلى للانسانية .

الشعر ونظرة الاسلام إليه

تحت هذا العنوان كتب الاخ /رياض عبدالكريم محمد ـ من مصر ـ يقول :

الشعر طبيعة في الانسان ، وهو فن من الفنون الانسانية الجميلة وليس هناك أمة من الامم أو جماعة من الجماعات لم يكن الشعر آداة من أدوات التعبير الجارية على لسانها ، كأن الشعر إدام حياتها في هذه الحياة القاسية المجدبة التي كانت تعيش فيها قبل الاسلام واذا كان الشعر على تلك الصفة في حياة الناس ، وفي حياة العرب بخاصة فان الاسلام بسماحته وانسانيته لا يمكن أن يقيم حظرا على هذا المتنفس الذي تنطلق منه مشاعر الناس وكان هدف الاسلام هو تخليص هذا الفن الجميل مما دخل عليه من تلك الألوان الصارخة من الفحش والهذر واللغو ، حتى تصفو موارده ، ويكون للكلمة الصادقة فيه وزنها وقدرها في تربية النفوس وتقويم الأخلاق اذ كان للثوب الذي تلبسه الكلمة في القالب الشعري تأثير عظيم في كشف مضمونها وتجسيد مستواها حتى لتكاد تتمثل كائنا حيا يعيش في وجدان السامع ويتحرك في كيانه ومن هنا كان موقف الاسلام من الشعر قائما على تقديره له ووزن خطره وأثره في النفوس وسلطانه على القلوب والعقول ، فاذا لم يقم على هذا الفن

حارس من خلق أو دين .. كان قوة من قوى الشر المدمرة التي تأتي على كل صالحة في المجتمع الذي تتحرك فيه شياطين هذا الفن ، ومن هنا نجد شاعرا من أصحاب النفوس الكبيرة كالمتنبي مثلا تحمله نفسه الكبيرة على أن يقف موقف الند مع ممدوحه سيف الدولة أمير الدولة الحمداني ولا يرضى أن يكون حاشية من حواشيه حتى اذا التقى بكافور صاحب مصر نظر اليه من سماء عالية فلم يستطيع أن يكتم ما بنفسه من مشاعر التقدير لذاته والاحقار لكافور فيظهر ذلك في كل شعر قال فيه ، فان المتنبي أبى عليه صدق نفسه أن يلتزم الشعر العربي من مطالع الغزل في كل قصيدة مدحا كانت أو ذما أو رثاء فصرخ من أعماقه تلك الصرخه المدوية التي رمى بها في وجه هذا الغزل المصطنع وقال :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم ؟

أكل فصيح قال شعرا متيم

نقول هذا لنصحح هذا الخطأ الذي وقع فيه كثير من الدارسين للأدب العربي الذي نسبوا الي الدعوة الاسلامية أنها أصابت الشعر العربي الصميم في حياته وأنها دمغت الشعراء بهذا الوصف الذي يخرجهم من دائرة الاسلام وينأى بهم بعيدا عن المثل الفاضلة التي يتمثلها الاسلام في أهله أليس القرآن الكريم يقول في الشعراء : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

فأي مسلم حريص على سلامة دينه يرضى لنفسه أن يكون من زمرة الشعراء ؟ وعلى هذا فقد حبس كثير من المسلمين في صدر الاسلام ملكة الشعر التي كانت تغرد الشعر في صدورهم ، من كان منهم شاعرا في الجاهلية أمسك عن قول الشعر في الاسلام والشعر العربي هو مجلي اللغة العربية ، ومظهر بيانها ، و شاهد بلاغتها ، فكيف يجيئون ليقتلوا هذا الشاهد الوحيد الذي ينطق باعجازه ، فاذا مات هذا الشعر العربي أو اختفى من الميدان فمن أين يعرف للقرآن الكريم مكانته ومن أين يؤخذ الدليل على مواقع الاعجاز فيه .

ان المنهى عنه في الشعر هو الشعر القبيح ، فشأن الشعر هو شأن الكلام عامة ، حسنه حسن ، وقبيحة قبيح ، فاذا كان الشعر سامي الهدف شريف القصد ، يدافع عن الحق ، وينتصر للايمان ، فهو سلاح مشروع ، ولذا نرى ختام السورة الكريمة.. « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

هذا ولقد سجل التاريخ الاسلامي للصحابة رضوان الله عليهم مواقف من الشعر تدل على تقديرهم له ، وحرصهم عليه .

مع الصحافة

○ سراب السلام

لم تدم طويلا تهويمة التفاؤل بما يدعى السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ، وسرعان ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه ، ولكن في صور جديدة تمليها الأوضاع التي نشأت عن الغزو الصهيوني الأخير للبنان . إن خيبة الأمل تبدو واضحة في كثير من الصحف العربية ، بعد أن أظهرت هذه الصحف اهتماما كبيرا بالمساعي الدبلوماسية ، والتحركات السياسية ، والمبادرات السلمية ، بيد أن ذلك كله كان يتلاشى هباء حين يصطدم بالحقيقة العنيدة القاسية : أن لاسلام الا على حساب الضعيف حين تفرض القوة الغاشمة على الجميع منطقا خاصا بها ، وان من طبائع الاشياء في هذا العالم أن تبدأ الحلول السياسية دائما من حيث انتهت طلقات البنادق ، وأن البنادق الخرساء لا تجد في ميدان الحوار السياسي من يجيد التعبير عنها . وهكذا تغدو حمى المبادرات في رأي كثير من الأقلام في الصحافة العربية عملية تخدير محض :

حول هذا الموضوع نشرت « الوطن » في ٢١ من المحرم مقالا جاء فيه :

سكت الجميع .. واصبحوا في حالة استرخاء بعد ان انتقلوا الى عالم الخيال والأوهام .

« الرئيس الاميركي ريغان » اصدر مبادرته « ليخدر » بها « اصحاب القرار العربي » . وهؤلاء بدورهم اصدروا « مبادرتهم » لتخدير « الرأي العام العربي » !!

والاعتداءات التي حدثت مازالت موجودة . فاسرائيل مازالت موجودة في بيروت وكل جنوب لبنان .. وباقي الأراضي العربية القدس والضفة وغزة والجولان لا احد يتحدث عنها .. حتى المجزرة الشهيرة اصاب الاسترخاء ردود الفعل ازاءها وتم للجميع دفن « القتيل » واداة الجريمة وانتهى كل شيء .

ثم يزداد « اخراج » الموقف « حبكة » بالقيام ببعض الزيارات الغامضة ، او بعقد بعض الاجتماعات التي لم تسفر طوال عمرها عن شيء ، او بالقاء تصريح هناك يختلف على تفسيره هنا ، ثم تعديل للتصريح ليرضى عنه البعض ويرفضه البعض الاخر ، ثم اذا احس الرأي العام بالقلق - اي وبالاصطلاح الفني بدأ يسترجع وعيه - تختلق قضايا داخلية او خارجية لتنقله بعيدا عن مركز المشاكل واسبابها !!

البلد الوحيد الذي يعمل - سواء بطريقة صحيحة او مدمرة - هو اسرائيل تختلق المواقف الجديدة حتى تبتلع المكاسب القديمة وحينما تضم « القديم » تختلق مواقف جديدة اخرى حتى تضم « القديم » الذي كان « جديدا » من فترة قصيرة او طويلة حسب المواقف والضغوط !!

إن حالة الاسترخاء والتحركات الدبلوماسية الخائبة يقابلها في الجانب الآخر المعادي سعي تنفيذي حثيث لاستخلاص أقصى ما تتيحه من مكاسب نتائج الغزو الصهيوني الأخير، ولمنع الدبلوماسية الخائبة من أن تحصّل ولو حدا أدنى من الحقوق الضائعة. فاليهود وأعوانهم يجهدون الآن لشراء أكبر قدر ممكن من مساحات الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة :

حول هذا الموضوع نشرت « الوطن » في ٨ صفر مقالا ، تعليقا على خبر ، جاء فيه :

كيسنجر يقود الآن حملة في الدول الأوروبية الغربية ، وخاصة في بريطانيا وفرنسا ، بهدف اقامة وكالة « سرية » مهمتها شراء اكبر عدد ممكن من مساحات الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة من اصحابها العرب ، بهدف منع قيام الدولة الفلسطينية ، وقبل نضوج الظروف الدولية والموضوعية لاقامة هذه الدولة .

واغلب الظن ان كيسنجر اليهودي اصلا ، لم يبادر الى قيادة هذه الحملة « الشرائية » الا بعد تلقيه الضوء الأخضر من واشنطن ، والأمر بالعمل والتنفيذ من تل ابيب .

والحركة الكيسنجرية الجديدة اليوم ، هي في الواقع بعث لئيم لتحركات وحركات الوكالة اليهودية وحاضنتها البريطانية منذ العام ١٩١٨ حتى العام ١٩٤٨ .. واية ذلك ان وزير الخارجية الاميركي الاسبق ، اسرع فركز خلال زيارته الاخيرة لبريطانيا ، على بحث هذا الموضوع مع كبار رجال المال اليهود والمؤيدين للصهيونية ، وزاد فتعهد لهم بدعم مالي ملحوظ من مصادر اميركية و « شرق اوسطية » لم تحدد طبيعتها ، لتوفير ارصدة مالية ضخمة والشروع في شراء اراضي الضفة الغربية والقطاع عبر شركات ومؤسسات ، بادارة اسرائيلية صهيونية ، لاقتطاعها سلفا من كيان الدولة الفلسطينية التي يقال انها « نضجت » او هي على وشك النضوج .

○ المسلمون : بين الذبح والتهجير

أما أوضاع المسلمين في سائر بقاع العالم الاسلامي فلم تنل ما يضارع خطورتها من اهتمام الاعلام العربي والعالمي . فقد استبدت الزوابع السياسية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط بمعظم وسائل الاعلام ، حتى لقد مرت الأحداث الدموية التي تقع في نيجيريا مثلا أو في الهند دون أن يحفل بها الكثيرون .

١ ـ الذبح

ففي خلال شهر المحرم قتل أكثر من (٣٠٠) شخص في اشتباكات بمدينة مايدوغري ، ولم تهتم وسائل الاعلام بعرض التفاصيل ، بل اكتفت بوصف الاشتباكات أنها طائفية . بيد أن نيجيريا بلد فيه أكثر من (٧٠) مليون مسلم ، وهي كذلك من أغنى بلدان افريقية وأقواها ، وإذا أضفنا إلى ذلك أنها بلد منتج للنفط ، وأنها كذلك أهم سوق للصادرات البريطانية خارج أوربا .. كان من العسير علينا أن نغفل عن الأبعاد السياسية والاقتصادية المحرضة لهذه الأحداث التي يدفع فيها المسلمون دائما ثمنا باهظا من دمائهم وإمكاناتهم . فنيجيريا لم تبرأ بعد من العلل

والأمراض التي زرعها فيها المستعمر قبل أن يغادرها اسميا ، مثلها في ذلك مثل معظم بلدان المسلمين . ولعل بعض الصورة يتضح من دراسة نشرتها القبس عن نيجيريا في ٢٦ من المحرم جاء في الدراسة :

ان المسلمين في نيجيريا يتخطفهم العدو من كل مكان وذلك لاضعاف قوتهم وتشتيتهم ، مع انهم في شوق لنشر الدعوة الاسلامية ، ومجرد رؤيتهم لانسان عربي يحاول ان يعلمهم شيئا من القرآن او بعض الأحكام الشرعية فانهم يتعلقون به أيما تعلق وما ذلك الا لحاجتهم الى الدعوة الاسلامية .

واذا مررت بهم وجدتهم في حقولهم يقرأون القرآن ويعلمونه لأولادهم ، ولهذا الحب الكبير في نفوسهم ، ولقلة الدعاة المسلمين الذين قد الهتهم الدنيا عن كل شيء ظهر كثير من الأدعياء ليفسدوا الاسلام في نفوس المسلمين في نيجيريا وغيرها من بلدان افريقيا .

وتمضي الدراسة في الكشف عن معاول الهدم والفساد في نيجيريا ، فتتحدث عن اعداء ثلاثة للمسلمين هناك : الفرق المارقة ، والحركات التبشيرية المنظمة ، والجمعيات السرية الصهيونية .

عن الفرق المارقة تقول الدراسة :

« واكثر هذه الفرق انتشارا الاحمدية القاديانية والاسماعيلية ، ومما تدعو إليه القاديانية ان على كل مسلم طاعة ولي الأمر حتى ولو كان كافرا .

ولهذا كان المستعمر البريطاني من اكبر المشجعين لهذه الطوائف لانها تضمن بقاءه واستمراره مستعمرا للشعوب واراضيها ، وقد امدها الاستعمار بالتأييد المادي والأدبي في شرق وغرب افريقيا .

ومازالت هذه الطوائف اداة طبيعية بيد أعداء الاسلام يحركونها متى شاؤوا لضرب المسلمين » .

وعن الحركات التبشيرية جاء في الدراسة :

« هذا ومن اسباب الهدم والفساد في نيجيريا حركة التبشير في القارة الافريقية وذلك لهدم الاسلام في تلك المنطقة ، اذ انتشر التبشير بطرق سياسية ودعامة دولية وأموال غزيرة بانشاء المدارس والخدمات الطبية وتعليم اللغة الانكليزية او الفرنسية وبث وتعليم كراهية الاسلام في نفوس الناس واستطاع الاستعمار بقوته ونفوذه أن يجعل الأقلية المسيحية في كثير من المناطق الافريقية هي الطبقة الحاكمة القوية التي لا تنازع ، وعلى أثر ذلك ظهرت الحرب الأهلية في نيجيريا بين الأكثرية المسلمة والأقلية المسيحية التي دعمت من الغرب بقوة طمعا بخيرات البلاد والثروات البترولية ، وعندما أراد الاميركيون أن يوسعوا وجودهم ونفوذهم بالبلاد أنهوا الحكم العسكري ، ولجأوا الى الاسلام واستخدموه سلاحا لهم واستعاضوا عن الحاكم العسكري بلقب الحاج ... واصبح الحجاج اداة طيعة بيد المستعمر الغاشم » .

ويواجه المسلمون في نيجيريا هذه الهجمات الشرسة بدأب وايمان :

عن ذلك تقول الدراسة :

ولكن بالمقابل ظهرت فئات اسلامية قوية لها وزنها السياسي في نيجيريا ، وانتشر رجال الدين في كل بقعة حول ابار النفط الغنية وتغلغلوا في المكاتب الحكومية والمعاهد والجامعات .

وادرك الغرب ان الروح الاسلامية الدينية في نيجيريا لها خطر عظيم ، حتى ان الشباب الجامعي المسلم في « زاريا » وهي من اكبر المدن في شمال نيجيريا

صاروا يهتفون (الاسلام فقط) وقد كتب الدكتور اوارد فان : « ان الحركة الاسلامية سيكون لها شأن كبير في مستقبل نيجيريا السياسي ، وهي اخطر كثيرا من المنظمات الارهابية المتطرفة على النفوذ الغربي والثقافة الغربية » .

أما في الهند فالمسلمون يتعرضون للاجتثاث بالأسلوب نفسه : « اشتباكات طائفية » ، ولولا تقرير ورد في مجلة الدعوة التي تصدر في الهند لكان من الصعب علينا أن نعرف شيئا عن أحوال المسلمين هناك . ومما يلفت النظر ما ذكرته (الدعوة) : ان ٣٤٦ « اضطرابا طائفيا » حدثت في غضون الشهور العشرة الماضية ، سقط فيها ١١٨ قتيلا .

وقد نقلت (الدعوة) بتاريخ ٢٨ من المحرم في تقريرها أجزاء من خطاب أحد أعضاء البرلمان جاء فيه :

ان رجال الشرطة (P.A.C) انتهكوا حرمة النساء وانهم ارتكبوا فاحشة مع بنت اسمها نور فاطمة نظيرة واسم ابيها كريم الدين وانه لظلم صريح ارتكبه رجال الشرطة ، ولنا ان نعترف به ونسعى لايجاد حلول للقضايا . وذلك لان الاحداث لا تزال يتسع نطاقها .

ويظهر ان هناك فئات وأناسا يخالفون الأقلية المسلمة ويريدون القضاء عليها وارجو من الحكومة اخبارنا بهويتهم من هم ؟ وهنا اسأل الحكومة هل تريد اتخاذ اجراءات شديدة ضد الذين يضايقون الاقلية ؟

هذا واريد ان اذكر شيئا آخر .. ان الهنادك يريدون استبقاء شرطة P.A.C في ميرت .

أفلا يظهر بهذا ان هناك شيئا من المؤامرة ؟! إن الشرطة المسلحة للولاية (P.A.C) تغمض عينها عن المشاغبين الذين يشنون الغارة على الأقلية المسلمة وينهبون اموالها . ومن اجل هذا يحبها الهنادك فنظرا الى هذه الأوضاع الراهنة اقدم التماسي الى معالي الوزير لابعاد شرطة P.A.C هذا بعض ما قاله نائب في البرلمان ، ولا ريب في أن صورة ما يحدث أشد قسوة ومرارة بكثير مما يقال عادة في البرلمانات ، حيث تلبس الحقائق الموجعة أقنعة من الابتسام تسمى عادة « لباقة المحافل الدبلوماسية » .

٢ ـ التهجير

ذبح المسلمين واجتثاثهم هو نصف الحقيقة ونصف الصورة التي عليها اوضاع معظم المسلمين في هذا العصر ، اما النصف الثاني من الحقيقة او الصورة فهو مصير الذين كتب لهم أن يظلوا أحياء ، وهو مع ذلك مصير لا يقل بؤسا وإيلاما عن المصير الأول . فمن الملاحظ أن عمليات التهجير الدموية التي يتعرض لها المسلمون تتكرر في غير بلد من بلدانهم : في فلسطين ، ولبنان ، وفي افغانستان ، وفي مناطق أخرى لم تحظ بعد باهتمام كاف من وسائل الاعلام . والظروف التي تحيط بالمسلمين في كلا المصيرين متشابهة : فهناك من جهة ذبح ونهب وهتك للاعراض وقمع .. وهناك من جهة أخرى آلاف مؤلفة من المشردين الذين يعانون من المرض والفقر وقسوة العيش والخوف .. ههنا في لبنان وفلسطين ، وهنالك في افغانستان : عن اللاجئين الأفغان كتبت صحيفة (فرانكفورتر

الغمانية) في أواسط المحرم مقالا جاء فيه :

« إن ما يقرب من مليونين وسبعمائة الف من اللاجئين الأفغان يعيشون الآن في معسكرات بائسة في باكستان . وقد تضاعف عدد اللاجئين الأفغان الذين يصلون باكستان شهريا من اربعة عشر الفا الى ثمانية وعشرين الفا منذ بدء الهجوم السوفياتي في وادي بانـدشير وتعزيز النشاط القتالي في منطقة كابول . ويخشى ان يـؤدي سـوء الاحـوال الاقتصادية وتناقص المواد الغذائية في افغانستان الى زيادة اعداد المهاجرين الأفغان الى باكستان خلال فصل الشتاء القادم . ومن المحتمل كما يخشى مهاجرون افغان والسلطات الباكستانية ان يزداد تدفق اللاجئين الافغان على معسكرات اللاجئين في باكستان اذا حدثت مجاعة في افغانستان بسبب تلف جزء من المحاصيل الزراعية من جراء العمليات الحربية .

وبوسع المرء ان يتخيل النتـائج الوخيمة النـاجمة عن ذلـك بالنسبـة للوضع في الثلاثمائة والتسعة والثلاثين مخيمـا الموجـودة على طـول الحـدود الافغانية الباكستانية . ولذا فان الحاجة للمساعدة المقدمة من بلدان اخرى ماسة جدا خاصة وان الكثيرين من اللاجئين الجدد يسكنون في خيام لا تقيهم برد الشتاء القارس في تلك المناطق .

وقـد اصبـح الـوضـع الصحـي في المخيمـات سيئـا جـدا بسبب نقص امكانيات النظـافة وسـوء التغذيـة ، وهنالك خطر كبير من انتشار السل على شكل وباء بين اللاجئين . وبينما تبلغ نسبة المصابين بالسل بين الباكستانيين اثنين بالمائة تجدها تصل بين اللاجئين الافغان الى ستة بالمائـة مع ميـل الى الارتفاع .

وتتمثل المشكلة الصعبة الثانية في تزايد اعداد المصابين في الحرب فنقص الاجهزة الحديثة او الخبرة يحول دون اجراء العديد من العمليات الجراحية وخاصة تلك التي يتطلب اجراؤها قطع الاعصاب او الشرايين . ولذا فان الاطباء المهاجرين الأفغان ، يسعون سعيا حثيثا لتوفير امكانية اجراء عمليات لمثل هؤلاء المصابين في اسرع وقت ممكن قبل فوات الأوان .

وتتشابه ظروف اللاجئين الأفغان من جراء الغزو الروسي مع ظروف اللاجئين الفلسطينيين من جراء الغزو الصهيوني : عن « مدينة الخيام » في عين الحلوة ورد مقال في (النيوزويك) في أواسط المحرم جاء فيه :

بين خرائب مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان ، راقب جمهور غاضب من النساء والأطفال الفلسطينيين فريقا كبيرا تابعا لوكالة غـوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وهو يقوم بنصب خيام زيتية اللون لا تتجاوز مساحة الأرض التي تقام عليها الواحدة منها ١٢ قدما مربعا .

وفجأة قام الصغار بهدم الخيمة التي نصبت ثم صبوا عليها الغازولين واشعلوا فيها النار . وصاحوا « لا نريد خيامكم » ! ان ما يقدر بخمسة وستين الفا من الفلسطينيين دمـرت بيـوتهم في الأيـام الأولى للغـزو الاسرائيلي للبنان الذي وقع في شهر حزيران الماضي ، وما زالوا بدون مأوى رغم مرور خمسة اشهر على تدمير بيوتهم .

محمد ابو النعاج (٦٣ سنة) من لاجئي عين الحلوة يقول : « كانت اسرتي المؤلفة من ١٣ شخصا تعيش في بيت مؤلف من ٨ غرف . فكيف سنتمكن من النوم والاستحمام وجميعنا في خيمة واحدة » ؟ وتثير زهرة ابو العسل (٣٤ سنة) وهي ام لعشرة اطفال مخاوف اشد عمقا حين تقول : « اننا نخشى ان تقوم الميليشيات اليمينية او غيرها بحرق خيامنا وخطفنا وقتلنا او طردنا من هذه الأرض . ان الخيمة لا توفر اية حماية لسكانها » .

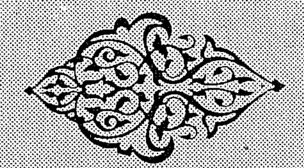


تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ